

كتاب

عين الادب والسياسة

وزين الحسب والرياسة لابى

الحسن على بن هذيل

رحمه الله

تعالى

الطبعة الاولى

بالمطبعة الاعلامية بمصر

سنة ١٣٠٢ هجرية



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي وهب لنا العقول والاذهان ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان وحضنا على التحلي بالحلى الادبية والتخلق بالمكارم العلية ورغبنا في الاقتداء بالسنن السنية والاهتداء بالاقوال المرضية الزكية المتكفلة بالسعادة الدينية والدنيوية وأرشدنا الى الطريق الاسنى وأمرنا بالاحسان والافعال الحسنى ونهانا عن الاخلاق الدنيئة اللئيمة والافعال الرديئة الدميمة وأنعم علينا بالبلاغة والبيان فقال جل وعلا في محكم القرآن يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فبالبيان تستخرج الدقائق وتنمق الحكم والرقائق ويتوصل الى معرفة الخالق ويستعان على شرح العلوم ويتفنن في الكلام المنثور والمنظوم وبمكارم الاخلاق يستدل على فضل الطبع وكرم النجر وطيب الاعراق وبالاستمساك بحبل المروءة والآداب تظهر نتيجة العقل وثمرة الالباب فهدانا سبحانه وما كنا لنهتدي لولا عونه وفضله ووفقنا ولم نكن نتوفق لولا امتنانه وطوله (نحمده) تعالى والحمد من احسانه الجسيم ونشكره والشكر من انعامه العميم (ونصلي) على سيدنا ومولانا محمد النبي الامي الكريم المخصوص في الانبياء بمزية التفضيل والتقديم المحفوف بالعصمة المؤيد بالحكمة الذي أوتي من البيان الحظ الاوفى والقسم الافضل الاعلى فلا كلام يعدل بكلامه ولا بيان كبيانه في حكمه البالغة وأحكامه فسبق في فصاحة اللسان

الناطقين وحاز فى الفضل ومكارم الاخلاق قصب السابقين صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين والمرسلين كثيرا (وبعد) فان التأليف غير موقوف على زمان والتصنيف ليس بمقصور على أوان لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الافهام وسبيل ربما حادت عنها أقدام الاوهام (قال بعض الحكماء) لكل شئ صناعة وصناعة التأليف صناعة العقل (قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) لولا تقييد العلماء ونقلهم آثار الاوائل فى الصحف لبطل أول العلم وضاع آخره ولذلك قيل لايزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر (وقال أبو الحسن ابن فارس) صاحب كتاب مجمل اللغة لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت افهام ثاقبة ولكلت السنة لسنة ولجت الاسماع كل مردد ولفظت القلوب كل مرجع

(قال الشاعر)

اذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم * من الحديث بما يمضى وما ياتى
فلا تعاود حديثا ان طبعهم * موكل بمعادات المعادات

والذى عليه فى التأليف المدار هو حسن الانتقاء والاختيار مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب (قال بعض العلماء) اختيار الكلام أشد من نحت السلام (وقالوا) اختيار المرء وافد عقله ورائد فضله وفضيلة هذا التأليف هى فى جمع ما افترق مما تناسب واتسق واختيار عيون وترتيب فنون من أحاديث نبوية ومكارم أدبية وحكم باهره وأبيات نادرة وامثال شارده واخبار واردة ووصايا نافعة ومواعظ جامعة ومروآت مربية وسياسات سنية ومعان مستظرفة وحكايات

مستطرفة وجميع ذلك مطرد بكل شعر جزل سهل برىء من الغزل والهزل (قال الشاعر)

الجد ما خلق الانسان فالتمس * بالجد حظك لا باللهو واللعب

لا خير فى الهزل فاتركه بجملته واهرب بعرضك منه غاية الهرب

ما يلبث الهزل ان يعني لصاحبه * ذما ويذهب عنه بهجة الادب

وانما يذم ويكره من الكلام ما كان لغوا غير نافع وهزلا عن منهج الجد مانع (وأما) ما ينبه به غافل ويعلم به جاهل ويذكر به عاقل فذاك مما يحسن ويجمل ويرجح به عقل سامعه ويقبل ويقرب ما بعد مأخذه عليه ويسهل ما صعب تناوله بالتنبيه والاشارة اليه اذ الشكل مضاف الى شكله والجنس الى جنسه ومثله أجعله ان شاء الله مختصرا جامعا وتصنيفا مفيدا نافعا تصغي اليه الافئدة والاسماع ولا تمله القلوب والطباع لان التطويل داع الى الملل وكثيرا ما يقع فيه الخطل والزلل وأقسمه على أربعة أقسام

القسم الاول

فى نبذة من الاحاديث والحكم والامثال التى يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

القسم الثانى

فى السودد والمروءة ومكارم الاخلاق ومدارة الناس والتأدب معهم فى حالتى الغنى والاملاق

القسم الثالث

فى طرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولى الالباب والاحساب

القسم

القسم الرابع

في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان الخليمة الفائدة والمنفعة لكل انسان (وفي كل ذلك) ما يحتاج اليه المتأدب العاقل ويحظى ببراعته المبتدئ والمتدرب الفاضل فالناظر فيه مجالس صاحباً لا يمل مجالسته ويحاضر منه مأموناً غيباً ومشهداً يمتعه بفوائده ومؤانسته وفي أبنيه ولدي وفلذة كبدي أمل الله عز وجل يرشده به ويجذبه الى سبيل الخير بسببه اذ في جواز الغفلة على البشر ما دعا الى التنبيه والتذكير للفطن والنبيه (قال بعض العلماء) وفي حكم الحكماء وفي كلام الالباء العقلاء من أئمة السلف وصالحي الخلف الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم آداب التنزيل ومعاني سنن الرسول ونوادر العرب وامثالها واجوبتها ومقاطعها ومباديها وفصولها الى ما حووه من حكم العجم وسائر الامم وتقييد اخبارهم وحفظ أمثالهم وأشعارهم التي هي صوب البابهم وثمار آدابهم ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها واتباع آثارهم واقتفائها (وفي) معرفة الامثال والتمثيل وفهمهما معادن من العلوم وينابيع من الحكم واستكشاف لاسرارهما وبلوغ الى حقائقهما (روي عن الشعبي) انه قال لو ان رجلاً سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت ان سفره قد ضاع (وقد جمعت) بعون الله عز وجل في كتابي هذا من الكلام الذي يحصل الانتفاع به أنواعاً جمة في فنون مختلفة وضروب متفرقة ومعان مؤتلفة وحسبنا وكفى ما نقلت فيه من آيات التنزيل وكلام النبي المصطفى (وسميته) بعين الادب والسياسة وزين

الحسب والرياسة والله تعالى الموفق لما فيه له الرضى والنجاة لنا فى الآخرة والاولى وهذا حين ابتدائى بذكر الاقسام وتقييد الكلام بحول الله تعالى وقوته

﴿القسم الاول فى نبذ من الاحاديث والحكم والامثال﴾
التى يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

اعلم ان كلام الحكما أكثر من أن يدركه الاحصاء ويستوفيه الاستقصاء لكنى أوردت فى هذا القسم من الحكم المأثورة والامثال المشهورة والفقر المنظومة والمنثورة مافيه مقنع وكفاية وان كنت لا ادرك من ذلك غاية ولا أبلغ الى نهاية (قال بعضهم) من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة وان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة والحكمة شجرة تنبت فى القلب وتثمر فى اللسان وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومحيية لها من موت الجهالة ومخرجة لها من ضيق الضلالة وقد اثنى الله سبحانه على الحكمة فقال ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ووصف بها لقمان عليه السلام فقال عز من قائل ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب ليس فيه من الحكمة شئ كبيت خراب ولا عامر له وقال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها ثم اتبع ضالة أخرى وقال لقمان ان القلب ليحيي بالكلمة من الحكمة كما تحيي الارض بوابل المطر (وقال أبان بن سليم) كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك لان المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك (وقال بعض السلف) القلوب تحتاج الى

قوتها كما تحتاج الابدان الى قوتها من الغـذاء (وقال بعض الحكماء) الحكمة حلية العقل وميزان العـدل ولسان الايمـان وعين البيـان وروضة الارواح ومزاح الهموم عن النفوس وأنس المستوحش وأمن الخائف ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة وسـلامة العاجل والآجل (وقال بعضهم) الحكمة نور الابصـار وروضة الافكار ومطيـة الحلم وكفيل النجح وضمين الخير والرشـد والداعية الى الصواب والسفير بين العقل والقلوب لاتندرس آثارها ولا تغور ينابيعها ولا يهلك امرؤ يعد عمله بها (قال افلاطون) كما ان لهـذه الدنيا شمسا يستضاء بها ويعرف بها الليل من النهار والاوقات والاشخاص والاجرام فكذلك للنفس نور تميز به بين الخير والشر وهو الحكمة فان الحكمة أشد ضـياء من الشمس وان للنفس صحة وسقما وحياة وموتا فصحتها بالحكمة وسقمها بالجهل وحياتها بان تعرف خالقها وتتقرب اليه بالبر وموتها ان تجهل خالقها وتتباعد منه بالفجور (وقال بقراط) من اتخـذ الحكمة لجاما اتخـذه الناس اماما (قال بعض الحكماء) صـلاح استقام النفس أفضـل من صلاح استقـام البدن لفضل النفس على البدن لان البـدن آلة للنفس والنفس باقية والبدن فان مضمحل ومصلحة الباقي والعناية به وتعديله أفضل من اصلاح الفاني ومع ذلك فان اصلاح أنفسنا أسهل وأخف من مؤونة اصلاح أبداننا لان صلاح النفس انما هو بالحكمة واتباع الآداب العقلية ولزوم العادة الفاضلة المؤدية لمن تمسك بها الى سبيل الفـلاح وطرق النجاح لا بدواء مشروب ولا غير ذلك من أصناف العلاجات التي لا تتهيأ الا بالكلفة العظيمة في البـدن والمـال وانما هي نتائج العقول والاذهان وفوائد التجارب في

مرور العصور والازمان واولاها بالتقديم واحقها بالتكريم والتعظيم ماصدر عن النبي المصطفى الكريم وكذلك أيضا للامثال مواقع فى نفوس الانام ولذلك ضرب الله سبحانه الامثال فى كتابه الكريم (وينبط) الكلام فى هذا القسم فى عشرين فصلا من المقال عشرة راجعة الى بعض حروف المعانى المصدرة بها الاداب والامثال وعشرة من الاعداد التى تقوم المنتهية بها مقام الاحتفال والقصد فى ذلك الاختصار وترك الاكثار ومن الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق

﴿فصل ان﴾

في الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم

(ان) الحكمة تزيد الشريف شرفا (ان) من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (ان) القلوب تصدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار (ان) الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (ان) مكارم الاخلاق من أعمال أهل الجنة (ان) حسن العهد من الايمان (ان) أحساب أهل الدنيا هذا المال (ان) أحسن الحسن الخلق الحسن (ان) أشكر الناس لله أشكرهم للناس (ان) لكل دين خلقا وان خلق هذا الدين الحياء (ان) لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (ان) الله يحب الرفق فى الامر كله (ان) الله يحب معالى الامور واشرافها ويكره سفسافها (ان) الله لا يرحم من عباده الا الرحماء (ان) الله عند لسان كل قائل (ان) من موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المؤمن (ان) من اشد الناس هذا اليوم

القيامة من اتقاه الناس لشره (ان) الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض (ان) الله حي كريم يستحيي أن يمد العبد يديه اليه فيردها خائبة (ان) لله عبادا يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله (ان) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (ان) لله (ان) لله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير (ان) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا ينفعكم الله (ان) الناس لم يعطوا شيئا أفضل من العفو والعافية فسلوهما الله (ان) الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه رحمتي تغلب غضبي (ان) الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (ان) لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت (ان) الله يحب الملحين في الدعاء (ان) ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (ان) الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة (ان) الله يبغض الخصم الالد (ان) لله عند قوم نعما يقرها عليهم ما كانوا في حوائج الناس فاذا ملوها نقلها من عندهم الى غيرهم (ان) العبد ليبدي من نفسه ما ستره الله حتى يمقته الله (ان) الرجل ليتكلم بالكلمة يرضي بها جلساءه يهوي بها في نار جهنم (ان) من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم (ان) المؤمن اذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت صدقة (ان) الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير

﴿ ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(ان) حب الخير فعل وان عجزت منه القدرة (ان) الصواب فى الاسد لا الاشد (ان) امرءاً ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموت (ان) فى ذهاب الذاهبين لعبرة للقوم الغابرين (ان) للامور بغتات فكن منها على حذر (ان) ولاية المرء ثوبه فان قصر عنه عرى منه وان طال عليه عثر فيه (ان) من قضاء الحاجة تعجيل اليأس اذا اعطلك قضاؤها (ان) الطلب وان قل أعظم من الحاجة وان كثرت (ان) العدو الشديد الذى لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل الخضوع له (ان) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة (ان) القدرة تصغر الامنية (ان) العلم عوض كل لذة ومغن عن كل شهوة (ان) من السياسة للراعى ان يجز غنمه جزا لا يذهب معه الصوف ولا تضيع له الغنم (ان) للشافى مال الشريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون اخس الشريكاء حظا فافعل (ان) اضعف الرأى ما سبق فى البديهة (ان) أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه (ان) المصيبة اذا نزلت تغاضى واحدة فان جزع صاحبها كانت اثنتين (ان) من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب ان يتبلد رأيه فى بعض المطلوب ويعمى عليه الصواب المطلوب (ان) لكل قوم كلبا فلا تكن كلب أصحابك (ان) الله عز وجل وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا ان الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة (ان) أشد الناس غما الذى نزل غيره فى المكان الذى هو أحق به منه (ان) لكل فضل زكاة وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج وان زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته وان زكاة الجاه ان يعاد به على من لا جاه له وان زكاة العلم التعليم لمن

قصر

قصيرعمله (ان) أهل البيت اذا كثروا كان فيهم الغرور والعرر (ان) في صلاح مالك بقاء عزك وبقاء عرضك (ان) من علامة المؤمن قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحكما في علم وكيسا في رفق وعطاء في حق وقصدا في غنى وغنى في فاقة واحسانا في قدرة وطاعة في نصيحة وتورعا في رغبة وتعففا في جهد وصبرا في شدة (ان) الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان (ان) الوعظ الذى لايمجه سمع ولا يعدله نفع ما يصمت عنه لسان القول وينطق به لسان الفعل (ان) النفس لامارة بالسوء فاذا جاء العزم من الله كانت هى التى تدعوك الى الخير (ان) الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غر من رآه وأخلف من رجاه (ان) الركون الى الدنيا مع ما يعاين من الموت جهل وان التقصير في حسن الاعمال مع معرفة الثواب عليها عجز وان الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق (ان) بقاءك الى فناء فخذ من بقائك الذى لا يبقى لفنائك الذى لا يفنى (ان) الفاسق اذا كان حسن الخلق عاش بخلقه وخف على الناس وأحبوه وان العابد اذا كان سيء الخلق ثقل على الناس وملوه (ان) المرء لن ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

﴿غيره﴾

ان الشدائد قد تغشى الكريم لان
تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يقصده الا ليصلحه

﴿ غيره ﴾

ان المروءة ما لها * متألق القناعة والخمول
تعدو وليس على يدي * لك يد تصول ولا تطول

﴿ غيره ﴾

ان الدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد ينام الفتى صحيحا فيردى * ولقد بات آمنا مسرورا

﴿ غيره ﴾

ان الاهلة والشهور خناجر * بشفارها تتقرض الاعمار
فبها يرى بعضنا بعضا بها * وعيشها بذهابنا انذار

﴿ غيره ﴾

ان الحوائج ربما أزرى بها * عند الذي تقضى له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة * فاعلم بان تمامها تعجيلها

﴿ غيره ﴾

ان في نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوت له * فاذ غرقته فيه طفى

﴿ غيره ﴾

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

﴿ غيره ﴾

ان من عضت الكلاب عصاه * في اتباع الخيام والابواب
ثم أثرى فكيف يغنم شيأ * فاتقوا الله يا ذوى الالباب

﴿ غيره ﴾

ان

ان فى صحبة الاخاء من الناس * من وفى شاة الوفا فقله
فالبس الناس ما استطعت على النقص * والا لم تستقم لك خله

﴿ غيره ﴾

ان أخاك الصدق من يضدمك * وان رآك طالباسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك * ومن اذا ريب الزمان صرعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

﴿ غيره ﴾

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا

﴿ غيره ﴾

ان صح اليوم فاعلن غدا * فانظر عما تقتضى عجى غده
ما ارتد طرف امرئ بلذته * الا وشئ يموت من جسده

﴿ غيره ﴾

ان المرايا لاترى * لك خموش وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لاترى * لك عيوب نفسك فى هواها

﴿ غيره ﴾

ان الرشاد وان الغين فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمنن وان أصبحت فى حرم * ان المنايا بجنبى كل انسان

﴿ غيره ﴾

ان النساء كاشجار نبتن لنا * منها المرار وبعض المر ما كول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لابد مفعول

﴿ غيره ﴾

ان العدو ان أبدى مودته * اذا رأى فيك يوما فرصة وثبا

﴿ غيره ﴾

ان المقدم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

﴿ غيره ﴾

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

﴿ غيره ﴾

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

﴿ غيره ﴾

ان المسرة للساءة موعد * حقا ورهن للعشية أو غد

﴿ غيره ﴾

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور اتى

﴿ غيره ﴾

ان الليالى لم تحسن الى احد * الا أساءت اليه بعد احسان

﴿ غيره ﴾

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر

﴿ غيره ﴾

ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

﴿ غيره ﴾

ان الكريم ليخفى عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود

﴿ غيره ﴾

ان الكريم اذا نابته نائبة * ألفيته وجميل الصبر فى قرن

﴿ غيره ﴾

ان

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

﴿ غيره ﴾

ان السعيد له من غيره عظة * وفى التجارب تحكيم ومعتبر

﴿ غيره ﴾

ان المقام على الهوان مذلة * والعجز آفة حيلة المحتال

﴿ غيره ﴾

ان من أضعف الضعاف لدى الا * قوى يستضعف الضعفاء

﴿ غيره ﴾

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا

﴿ غيره ﴾

ان المنيه والفراق لواحد * أو توأمان تراضعا بلبان

﴿ فصل انما ﴾

فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم (انما) يعرف الفضل لاهل الفضل ذووا الفضل (انما) شفاء العى السؤال (انما) الاعمال بالنيات (انما) الاعمال بالخواتم (انما) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (انما) اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (انما) جعل الامام ليأتم به فلا تختلفوا عليه (انما) أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الاهواء (انما) يرحم الله من عباده الرحماء (انما) يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(انما) لك من مالك ما أمضيته فى حياتك (انما) هو درهمك وسيفك

فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك (انما) تأكل ماتشتهى والذى لاتشتهيه يأكلك (انما) يرضى بالدون من رضى بالدنيا (انما) يعز الذهب فى معدنه (انما) الدنيا شرك فانظر اين تضع قدميك منها (انما) المرء لاصغريه قلبه ولسانه وانما العلم بالتعلم (انما) الكيس الماهر من استسلم فى قبضة القاهر (انما) الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضى والتسليم (انما) تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب (انما) يختبر ود الرجل عند الحاجة (انما) أباد القرون انقطاع الحركات والسكون (انما) السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه (انما) الناس رجلان شامت بنكبة أو حاسد لنعمة (انما) الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها (انما) هى الصديق صديقا الصدقة فيما يدعيه لك وانما هى العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفر بك (انما) يستحق اسم الانسانية من حسن خلقه (انما) يحبك من لايتملق لك ويثنى عليك من لايسمعك (انما) يختبر ذو البأس عند اللقاء وانما يختبر ذو الامانة عند الاخذ والعطاء وانما يختبر الاهل عند الفاقة وانما يختبر الاخوان عند النوائب

﴿ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم﴾

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد مقدار ساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

﴿آخر﴾

انما الدنيا هبات * وعوار مسترده

شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

﴿آخر﴾

انما هذه الحياة متاع * فالظلوم الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

﴿آخر﴾

انما نعمة دنيا متعة * وحياة المرء ثوب مستعار
وصروف الدهر فى اطباقه * خلقة فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس على عليائها * اذ هووا فى هوة منها فغاروا

﴿آخر﴾

انما الناس منا * حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

﴿آخر﴾

انما تعرف الصديق اذا ما * جئته من خلاف ما يشتهيه

﴿آخر﴾

انما الجود ان تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

﴿فصل ان﴾

﴿فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(ان) أمر عليكم عبد حبشى مجزع فاسمعوا وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله (ان) دعيتم الى كراع فاجيبوا (ان) يكن شئ مما تعالجون به شفاء ففى شرطة محجم أوشربة عسل أولذعة من نار تصيب ألما (ان) أحببتم الله ورسوله فاصدقوا اذا حدثتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وأحسنوا جوار نعم

الله من جلوركم

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم

(ان) عجزمالك عن المسكين أو دواؤك عن المريض أو حيلتك عن استخراج المحبوس فلا تعجزنهم رحمتك وعيادتك (ان) قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر (ان) شئت ان تعلم كيف صاحبك لك فانظر كيف كان لغيرك (ان) سفه عليك فاحلم (ان) قارضت الناس قارضوك وان تركتهم لم يتركوك (ان) شوورت فانصح وان عدى عليك فاصفح (ان) أردت ان تصل الى ذروة المجد فعليك بحفظ العهد (ان) سكت الجاهل يكن عالما (ان) لم تمت لم تفت (ان) كان في الكلام بلاغة فان في الصمت عافية (ان) لم يساعدنا القضاء ساعدناه (ان) يكن الشغل محمدة فان الفراغ مفسدة (ان) لم تصلح على تقدير الله عز وجل لم تصلح على تدبيرك لنفسك (ان) أحببت ان تطاع فلا تحمل مالا يستطاع (ان) شئت ان تكون غنيا وتعيش هنيا مرضيا فاقتن العلم

﴿ ومن الشعر في هذا الفصل قولهم ﴾

ان شئت ان تفوز بطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضي منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ بحط النفس مهاجا

﴿ غيره ﴾

ان خانك الدهر فكن عائذا * بالبيد والظلماء والعيس
ولا تكن عبد المنى انه * رؤس أموال المفاليس

﴿ غيره ﴾

ان

ان يحسدونى فانى لا ألومهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

﴿غيره﴾

ان تأدبت يابنى صغيرا * كنت يوما تعد فى الكبراء
واذا ما أضعت نفسك ألفيـ * ـت كبيرا فى زمرة الغوغاء
ليس عطف القضيب ان كان رطبا * واذا كان يابسا بسواء

﴿غيره﴾

ان كنت متخذا خليلا * فتنق وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا * فى الود فابغ به بديلا
وعليك نفسك فارعها * واكسب لها خلقا جميلا

﴿غيره﴾

ان كان مقصدك الكمال فلا تكن * أبدا بما تلتذه متهمما
وانصب لاحصاء العلوم ورعيها * تنل السعادة والمفاز الاعظما
فابوك آدم قبل آثر شهوة * فاذا بها قد جرعته العلقما

﴿غيره﴾

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما فى الارض لا يغنيكا

﴿غيره﴾

ان شئت أن يسود ظنك كله * فأجله فى هذا السواد الاعظم

﴿غيره﴾

ان أردتم حوائجا من أناس * فنقفوا لها الوجوه الصباحا

﴿غيره﴾

ان تحلى الفتى بما ليس فيه * فضح الامتحان ما يدعيه

﴿فصل ما﴾

﴿ في الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(ما) نزعت الرحمة الا من شقي (ما) رزق العبد رزقا أوسع عليه من الصبر (ما) نقص مال من صدقة (ما) عفا الرجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا (ما) هلك امرؤ عرف قدره (ما) نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن (ما) كان الرفق في شيء قط الا زانه وما كان الخرق في شيء قط الا شانه (ما) زان الله عبدا بزينة أفضل من عفاف في دينه وفرجه (ما) عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه (ما) من عبد الا وله صيت في السماء فاذا كان صيته في السماء حسنا وضع له في الارض واذا كان صيته في السماء سيئا وضع له في الارض (ما) من عبد يسلك طريقا يلتمس به العلم الا سهل الله له طريقا الى الجنة (ما) من مسلم ينصر مسلما الا نصره الله وما من مسلم يخذل مسلما الا خذله الله (ما) من مسلم اطلع على عورة فسترها الا كان حقا على الله أن يدخله في ستره (ما) من زينة تزين العباد بها أفضل من العقل (ما) وقى المرء به عرضه فهو صدقة (ما) أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم فان يك خيرا فذاك هاواها وان يك شرا فوا هاواها (ما) أهدى المرء المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من حكمة يزيده بها هدى أو يرده بها عن ردى (ما) انتقصت جارحة انسان الا كانت زيادة في عقله (ما) المبتلى وان اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(ما)

(ما) وذلك من أهمل ودك ولا أحبك من أبغض حبك (ما) عصى الله كريم ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم (ما) ذب عن الأعراض كالصفح والاعراض (ما) يظهرا لود المستقيم الامن القلب السليم (ما) الانسان لولا اللسان الاصورة ممثلة أو بهيمة مهملة (ما) استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر (ما) يزيد متزيد فى أمره الالنقص يجده فى نفسه (ما) أقرب النقمة من أهل البغى (ما) كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك (ما) رأيت تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع (ما) أنصفك من كلفك اجلاله ومنعك ماله (ما) أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل اذا لم يصدها الهوى (ما) الدخان على النار ولا العجاج على الريح بأدل من ظاهر الانسان على باطنه (ما) أطال عبد الامل الا أساء العمل (ما) أعطى رجل من الدنيا شيأ الا قيل له خذه ومثله من الحرص (ما) مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما (ما) عفا عن الذنب من يقرع به (ما) أكثر من يعرف الحق فلا يطيعه (ما) أكثر الدفاتر والعمل بها فاتر (ما) ظفر من ظفر به الاثم (ما) أحب أحد الرياسة الا حسد وبغى وطغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير (ما) أقبح التكبر عند الاستغناء وما أقبح الخضوع عند الحاجة (ما) من شئ الا وهو يحتاج الى فضوله يوما ما الا فضول الكلام (ما) لا ينبغى ان تفعله احذر أن يخطر ببالك (ما) تواضع فى ولايته الا من كبر عنها ولا تكبر فيها الا من كبرت عنه (ما) فجر غيور قط (ما) بقى للشيخ من مناسك الحج الا الوداع (ما) أسهل الموت عمن أيقن بما بعده وأصعبه على من شك فيما بعده

﴿ ومن الشعر في هذا الفصل قولهم ﴾

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له * ولن ترى قانعا من عاش مفتقرا
والعرف من يأته يحمد عواقبه * ما ضاع عرف وان أوليته حجرا

﴿ آخر ﴾

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ما كان أقصر أيام الشباب وما * أبقى حلاوة ذكراه التي يدع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنه ومرتدع

﴿ آخر ﴾

ما هذه الدنيا لطالبها * الا بلاء وهو لا يدرى
ان أقبلت فسدت أمانته * أو أدبرت شغلته بالفكر

﴿ آخر ﴾

ما من رأى أدبا ولم يعمل به * ويكف عن بعض الهوى باديب
حتى يكون بما تفهم عاملا * من صالح فيموت غير معيب
ولقلما تغنى اصابة واعظ * وفعاله افعال غير مصيب

﴿ آخر ﴾

ما ميلق العالم الا الذى * يخبره العالم في الملق
ذالك الذى يفضح اسرارهم * فيظهر الفاجر والمتقى

﴿ آخر ﴾

ما أرسل الاقوام في حاجة * أمضى ولا أنفع من درهم
يأتيك عفوا بالذى تشتهى * نعم رسول الرجل المسلم

﴿ آخر ﴾

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(آخر)

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * وكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

(آخر)

ما ضاق بالمرء أمر واستعد له * عبادة الله الا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم * الا تزحزح عنه الهم والحرج

(آخر)

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

(آخر)

ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

(آخر)

ما أقتل الحرص فى الدنيا لصاحبه * وأسمج الكبر ممن صيغ من طين

(آخر)

ما يحرز المرء من أطرافه طرفا * الا تخونه النقصان من طرف

(آخر)

ما كدت أفحص عن أخى ثقة * الا ذممت عواقب الفحص

(آخر)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى * الرياح بما لا تشتهى السفن

(آخر)

ما في زمانك ما يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

﴿آخر﴾

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

﴿آخر﴾

ما بين طرفة عين وانتقالتها * يقلب الامر من حال الى حال

﴿آخر﴾

ما الذل الا تحمل المنن * فكن عزيزا ان شئت أو فهن

﴿آخر﴾

ما استقامت قناة رأيي الا * بعد ان عوج المشيب قناتي

﴿آخر﴾

ما الطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يشفى مثله فيما مضى

﴿آخر﴾

ما المرء الا كعير السوء يضربه * سوط الزمان فلا يجرى على السنن

﴿آخر﴾

ما عوض الصبر امرؤ الا رأى * ما فاته دون الذى قد عوضا

﴿فصل لا﴾

﴿من الحديث الوارد من النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(لا) يرد القضاء الا الدعاء (لا) يزيد في العمر الا البر (لا) حليم الا ذو تجربة (لا) فقر أشد من الجهل ولا مال أعون من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا مظاهرة أوثق من المشاورة (لا) عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ولا ورع كالكف ولا عبادة كالتفكر

ولا

ولا ايمان كالحياء والصبر (لا) ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار (لا) يغنى حذر عن قدر (لا) لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه (لا) تصلح الصنيعة الا عند ذى حسب أودين كما لا تصلح الرياضة الا فى النجيب (لا) يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه (لا) يحل لمسلم أن يروع مسلما (لا) تحقرن من المعروف شيأ (لا) تواعد أخاك معروفا فتخلفه (لا) خير فى صحبة من لا يرى لك مثل الذى ترى له (لا) أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك بعث الرسل (لا) أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (لا) يوسع فى المجلس الا لذى علم ولذى سلطان (لا) جزاء النعمة مثل الشكر (لا) تنظروا الى من هو فوقكم وانظروا الى من دونكم فانه أجدر وأن لا تزدروا نعمة الله عليكم (لا) يقبل دعاء من قلب لاه أو غافل (لا) يكثر همك فانه ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك (لا) ينبغى للعاقل ان يشغل نفسه بما ذهب عنه ولكن بحفظ ما بقى له (لا) ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس منك (لا) طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (لا) يستقبل العبد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله (لا) تبتذل عرضك فتشتم (لا) تظنوا بمؤمن سوأ (لا) تعصوا العاقل فتندموا (لا) يجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(لا) يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (لا) تفسدك

الظن عن صديق قد اخلك اليقين له (لا) تحقرن شيأ من الخير وان كان صغيرا فانك اذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيأ من الشر وان كان صغيرا فانك اذا رأيته ساءك مكانه لا تجهدن فيما لا تدرك فيه تربح التعب ولا تدخرن المال لبعل عرسك ولا تظهرن انكارما لا تستطيع دفعه ولا تلهينك قدرتك عن كيد وحيلة ولا تتهاونن بالامر الصغير اذا كان يقبل النمو ولا تلاح رجلا غضبانا فانك تخلفه باللجاج ولا ترده الى الصواب ولا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدرى ما يحدث الزمان بك (لا) تضيعن حق أخيك ادلالا منك عليه فتبقى بلا أخ (لا) يغرنك جهل غيرك بك علمك بنفسك (لا) تطمع فى كل ما تسمع (لا) تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسألون فى كم فرغ منه وانما يسألون عن جودة صنعته (لا) تطلبن الحاجة الى كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ولا الى من له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته (لا) تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق اخلاقكم ولا تبرحوا لواقى العساكر فيزرى بكم اكفاؤكم (لا) تستنصح مؤثورا وان استنصحته ولا تبارز محاربا وان كنت أحد منه ولا تشاور معدما وان وثقت بجودته ولا تلابس ضنينا وان كنت ضده (لا) فائدة أشرف من التوفيق ولا ميراث أنفع من الادب ولا سجية أكرم من حسن العبادة (لا) تعمل شيأ من الخير رياء ولا تتركه حياء (لا) تعد الشحيح امينا فانه لا عفة مع الشح ولا تعد الكذاب حرا فانه لا مروءة مع الكذب (لا) تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه

ولا

ولا تعذب الاتعذره فى انجازه (لا) تبدمن العيوب ما ستره علام الغيوب
(لا) تبرم امرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته
وسيآته (لا) تلومن من اساء بك الظن اذا جعلت نفسك هدفا التهمه
(لا) تسكع خاطب سرك (لا) تسرع الى أورع موضع فى المجلس
فالموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه (لا) تذكر الميت
بسوء فتكون الارض اكتم عليه منك (لا) حسرة أعظم من نعمة
أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة (لا) تصطنع من خانه الاصل ولا
تصحب من فاته العقل لان من لا أصل له يغش من حيث ينصح ومن
لا عقل له يفسد من حيث يصلح (لا) تدت على غير وصية وان كنت من
جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة فان الدهر خائن وكل ما هو كائن
لا تترك الامر مقبلا وتطلبه مدبرا فان ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى
(لا) تمكن الناس من نفسك بطول المجالسة فان اجرأ الناس على
السباع أكثرهم لها معاينة (لا) يمنعنك من فعل الحسنة من يزدريها
(لا) تنال الراحة الا بالتعب ولا تدرك الا بالنصب (لا) تؤخر عمل يومك
لغدك (لا) يدرك الشباب بالخضاب ولا الغنى بالمنى ولا العلم بالادعاء
(لا) تلومن أحدا على ما يهوى فان لومك له أغراه (لا) يقوم عز الغضب
بذل الاعتذار (لا) جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد (لا) تخرج
الغيبة الا من نفس معيبة (لا) تتكلف ما كفيت فتضيع ما وليت (لا)
تعمل عملا لا ينفعك (لا) كنز انفع من العلم (لا) مال أربح من الحلم
ولا كسب أزين من الادب ولا قرين اشين من البخل ولا عقل أحسن من
التفكر ولا حسنة أعلا من الصبر ولا رده أليق من الرفق ولا رسول أعدل

من الحق ولا ذليل أفصح من الصدق ولا غنى أشقى من الجمع ولا ذليل أذل من الفقر ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهادة خير من القنوع ولا حياة أطيب من الصحة ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت (لا) تشاتم رجلا ولا ترد سائلا فان هو كريم تستخلته أو لئيم تشترى عرضك منه (لا) تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب (لا) يعد الغنم غنما اذا ساق غرما ولا الغرم غرما اذا ساق غنما (لا) تحقرن الرأى الجليل وان أتاك به الرجل الحقير فان اللؤلؤة الفائقة لا يستهان بها لهوان من أخرجها (لا) خير فى لذة تعقب ندما (لا) يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه (لا) تكن ممن يلعن ابليس فى العلانية ويطيعه فى السر (ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم)

(لا) ييأس المرء ان ينجيه الـ * ـناس اذا جاء بغتة عطبه
يمرك الشئ قد يسوءوكم * نوه يوما بخامل لقبه

(آخر)

(لا) تحقر المرء ان رأيت به * دمامة أو رثاثة الحلل
فالنحل لا شك فى ضؤلته * يشتار منه الفتى جنى العسل

(آخر)

(لا) تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
فرب خدن وان أبدى بشاشته * يضحى على خدنه أعدى من الذيب

(آخر)

(لا) تتبع النفس كل فائتة * فى الله من كل فائت عوض
واجمل

واعمل لانعراك غير منخدع * فان دنياك هذه عرض
ان صح أمر من الامور بها * لابد أن يصيبه مرض

﴿آخر﴾

(لا) تكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم من يد لا يستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه

﴿آخر﴾

(لا) تذهبن في الامور فرطا * لا تسألن ان سألت شططا
وكن من الناس جميعا وسطا

﴿آخر﴾

(لا) تحقرن امرأ ان كان ذا ضعة * كم من وضيع من الاقوام قد رأسا
فرب قوم حقرناهم فلم نرهم * أهلا لخدمتنا صاروا الناس رؤسا

﴿آخر﴾

(لا) بد للعسر من يسر يعقبه * فخاب سعي ضعيف ضاق مذهبه
هون عليك وكن للخير مرتقبا * فابعد الامران فكرت أقربه
ليس الحريص على رزق بطالبه * كمن تيقن ان الرزق يطلبه

﴿آخر﴾

(لا) تغبطن عامل السلطان في * ولاية قد آذنت بحتفه
تراه يحكي دهره سفينة * في البحر لا أمن لها من خوفه
ان أدخلت من مائه في جوفها * ادخلها وماءها في جوفه

﴿آخر﴾

(لا) شئ أسرع من مر الزمان فلا * يغرر لئمنه بتأميل البقاء خدع

اذا نظرت انصرام الدهر مثل لى * ان السنين شهور والشهور جمع

﴿آخر﴾

(لا) يصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولاسراة اذا جهالهم سادوا

﴿آخر﴾

(لا) تعرفن أحدا فلست بواجد * ابدا أضر عليك ممن تعرف

اما نظيرك فهو حاسد نعمة * أودون ذا فشغل وسؤال يلحف

أوفوق ذاك حال دون لقائه * بواب سوء واليفاع المشرف

﴿آخر﴾

(لا) تصحب الكسلان فى حاجاته * كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة * كالنار توضع فى الرماد فتخمد

﴿آخر﴾

(لا) تدخلنك ضجرة من سائل * فلخير دهرك ان ترى مسؤلا

لاتجبهن بالرد وجه مؤمل * فبقاء عزك ان ترى مأمولا

يلقى الكريم فيستدل ببشره * وترى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بانك لاعالة صائر * خبرا فكن خبرا يروق جميلا

﴿آخر﴾

(لا) تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله

من ذم شيأ وأتى مثله * فانما يزرى على عقله

﴿آخر﴾

(لا) تضرعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين

واسترزق الله مما فى خزائنه * فانما الامر بين الكاف والنون

(آخر)

﴿آخر﴾

(لا) تعجبن لاحمق * نال الغنى من غير كده
والعاقل ما يبقى بلا * فكلهم يسعى بجده

﴿آخر﴾

(لا) تأمن الدهر الخؤ * ون وخف بوادر آفته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

﴿آخر﴾

(لا) ترسلن مقالة مشهورة * لا تستطيع اذا مضت ادراكها
لا تبدين نميمة انبئتها * وتحرزن من الذى أنبأ كها

﴿آخر﴾

(لا) تجلسن بباب من * يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتى اليـ * ـه يعوقها ان لم اداره
واتركه واقصد ربها * تقضى ورب الدار كاره

﴿آخر﴾

(لا) تمزحن فان مزحت فلا يكن * مزحا تضاف به الى سوء الادب
واحذر ممازحة تعود عداوة * ان المزاح على مقدمة الغضب

﴿آخر﴾

(لا) تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

﴿آخر﴾

(لا) تشاور من ليس يصفيك ودا * انه غير سالك بك قصدا

واستشر في الامور كل لبيب * ليس بالوك في النصيحة جهدا

﴿آخر﴾

لاتخف بؤسا ولا حرجا * وانتظر من سيد فرجا
وادعه ثم ارج رحمته * لم يخف عبد دعا فرجا

﴿آخر﴾

لاتقنطن فان الله ذو كرم * وماعليك اذا تلقاه من بأس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

﴿آخر﴾

لاتيأسن وان تصعبت المنى * فالصعب قد يرتاض بعد نفار
قد تصغر الاشياء وهي كبيرة * وتهون وهي عظيمة المقدار

﴿آخر﴾

لاتحسب الناس سواء متى * قد اشبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في ضمنها * ماء وبعض ضمنه نار

﴿آخر﴾

لاتغضبن على امرئ * أصبحت محتاجا اليه
واغضب على الطمع الذى * أرجاك تبغى ماليه

﴿آخر﴾

لاتسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر

﴿آخر﴾

لايبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه

﴿آخر﴾

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل

(آخر)

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

(آخر)

لا تعدن للزمان صديقا * وأعد الزمان للاصدقاء

(آخر)

لا ترج شيأ خالصا لك نفعه * فالغيث لا يخلو من العبث

(آخر)

لا يملأ الامر صدرى قبل موقعه * ولا يضيق به ذرعى اذا وقعا

(آخر)

لا أركب الامر تردى بى عواقبه * ولا يعاب به عرضى ولا دينى

(آخر)

لا عذر للشجر الذى طابت له * اعراقه الا بطيب جناه

(آخر)

لا تطلبن معيشة بمذلة * فليأتينك رزقك المقدور

(آخر)

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(آخر)

لا يشبع النفس شئ حين تحرزه * ولا يزال لها فى غيره وطر

(آخر)

لا اسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

﴿آخر﴾

لاتصحبن رفيقا لست تأمنه * بئس الرفيق رفيق غير مأمون

﴿آخر﴾

لاتجزعن على مافات مطلبه * فاست عمرك الماضي برتجع

﴿آخر﴾

لاتنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث فيكون

﴿آخر﴾

لاتترك الحزم فى شئ تحاذره * فان سلمت فما فى الحزم من باس

﴿فصل اياك﴾

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(اياك) ومايعتذر منه (اياك) ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا (اياك) (اياك) ومشارة الناس فانها تظهر العرة وتدفن الغرة (اياك) واللجاجة فانها ندامة (اياك) والمجادلة فانها تحبط الاعمال (اياك) والمعصية فانها من سخط الله (اياك) والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه (اياك) والحرص فانه أخرج آدم من الجنة (اياك) والمراء فانه لاتعقل حكمته ولاتؤمن فتنته (اياك) ان تطيع آثما (اياك) ان تعق أباك (اياك) والكلام فيما لايعنيك (اياك) والطمع فانه فقر (اياك) وكثرة الضحك فانه يميت القلب

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(اياك) والدالة فانها تفسد الحرمة (اياك) وشرب الدواء ما احتملت الصحة (اياك) والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة

وشماتة العدو (اياك) والبخل فانا لبخيل خازن لاعدائه (اياك) والسلامة فى طلب الامور رقتة ذلت الرجال خلف أعقابها (اياك) والعجز فانه أوطى مركب (اياك) والشفيع المهين فانه أضعف وسيلة (اياك) والانفاق مع الاخفاق (اياك) ونسيان الحدثان مع أمان الزمان (اياك) واخلاف العدة مع اسعاف الجدة (اياك) وسوف مع الخوف (اياك) والاسترسال مع الاسفال (اياك) والطعام مع الطغام (اياك) والاغفال مع الا غفال (اياك) والسكنى مع ذوى الشحنا فغيرك فيهم يطوى وشرك يروى (اياك) والاخوان الخوان الطاغين عليك الضاحكين اليك الحافظى هفواتك أيام مصادقتك عدة لايام مفارقتك (اياك) والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (اياك) والغضب فانه يضطرك الى سوء الاعتذار (اياك) ومخاصمة الاحوج الجموج (اياك) ومعاداة الرجال فانك ان تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم (اياك) وخدمة من شبع من الرياسة وملّ من السياسة فانه يرى كبير ما تصنعه فى حقه صغيرا وصغير ما يصنعه فى حقك كبيرا (اياك) والتسويف فانك بيومك ولست بغدك فان كان غد لك فكس فيه وان لم يكن لك لم تندم على ما فرطت فيه (اياك) والرأى الفطير (اياك) والمقام ببلد ليس فيه نهر جار ولا سوق جامعة ولا سلطان عادل (اياك) وعلم النجوم فانه يدعو الى الكهانة (اياك) والكبر وليكن مما تستعين به على تركه علمك بالذى كنت منه والذى تصير اليه (اياك) واخوان السوء فانهم يخزون من رافقهم ويخونون من صادقهم (اياك) والجملة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة (اياك) ومفارقة الاعتدال

فان المسرف مقصر (اياك) والنمائم فانها تزرع الضغائن وتورث المحاشن (اياك) ومشاورة شاب معجب برأيه أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه (اياك) وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره (اياك) وكل جليس لا يفيدك علما ولا تصيب منه خيرا (اياك) ان تكون ممن يقول بالعقل و يعمل بالهوى (اياك) وصاحب السوء فانه يحسن منظره ويقبح مخبره

﴿ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم﴾

(اياك) من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

﴿آخر﴾

(اياك) والنخوة فى ملبس * والبس من الاثواب اسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس واعلى لها

﴿آخر﴾

(اياك) ان تحقر الرجال فما * يدريك ماذا تكنه الصدف
نفس الكريم الجواد باقية * يوما وان كان مسه العجف
والحر حر وان ألم به الضر ففيه العفاف والانف

﴿آخر﴾

(اياك) والدنيا الدنية فانها * دار متى سالمتها لم تسلم
وتجنب الظلم الذى هلكت به * أمم تودلو انها لم تظلم

﴿آخر﴾

(اياك) ان تعظ الرجال وقد * أصبحت محتاجا الى الوعظ

(فصل

﴿ فصل اذا ﴾

﴿ فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(اذا) أتاكم كريم قوم فأكرموه (اذا) أحب أحدكم أخاه فليعلمه (اذا) تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم الرطب من الطبق اذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته (اذا) أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره (اذا) أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة (اذا) اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد (اذا) أردت أمرا فتدبر عاقبته (اذا) خفت الله خوفك الله منك كل شئ واذا لم تخف الله خوفك الله من كل شئ (اذا) أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (اذا) أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده (اذا) أراد الله بعبد خيرا عسله وهو ان يذكر بذكر جميل (اذا) يسر أحدكم على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (اذا) استنصحك أخوك فانصح له (اذا) شمردك الهوى عن طاعة الله فاكرهه بذكر الموت (اذا) تمنى أحدكم فلينظر ما تمنى فانه لا يدري ما كتب له من أمنيته (اذا) جاءكم الزائر فاكرموه (اذا) أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه (اذا) تأنيت أصبت أو كدت تصيب واذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ (اذا) تضايقت المجالس فبين كل كريمين مجلس (اذا) أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(اذا) عثر عاثر فاحمد الله ان لا تكونه (اذا) أردت ان تفتضح فرمن

لا يمتثل أمرك (اذا) لم تقدر ان تعض يد عدوك فقبلها (اذا) طلبت حاجة الى ذى سلطان فأجمل فى الطلب اليه (اذا) أحدث الصديق صداقة لعلة ألجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة (اذا) كانت مغالبة الغدر مستحيلة فمن أعوان نفوذه الحيلة (اذا) هدأ غضبك فتكلم (اذا) أصابتك مصيبة فاعلم انه قد يكون أجل منها فلتهون عليك مصيبتك (اذا) كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور (اذا) تغافل أهل التفضل هلك أهل التحمل (اذا) عدم الانسان العقل والتوفيق لم يصلح له شئ من أمره (اذا) استدناك السلطان فلا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبا (اذا) أرسلت الهدية أتمت الحاجة مقضية (اذا) ظلمك أحد فارض بالله منصفا فانه أشد انتصار الظلامة لك (اذا) احببت فلا تفرط واذا أبغضت فلا تشطط (اذا) أردت ان تعلم خطأ معلمك فجالس غيره (اذا) أردت ان تعلم قدر نعمة الله عليك فغمض عينيك (اذا) انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك (اذا) أقبلت الدنيا على الانسان أعطته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه (اذا) اردت أن يصلح لك يومك فافتحه بصدقة واختمه بعارفة (اذا) أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزواله (اذا) استقمت فى جميع أمرك فلا تبال بمقال غيرك (اذا) أغب الزيارة الانسان أمن الملل من الاخوان (اذا) ارتجت المطالب فالصبر يفض غالقها ويرض خلقها ويراوض خلقها (اذا) عملت سيئة فاتبعها احسنة تمحها سريعا (اذا)

(اذا) احتاج اللئيم تخاضع واذا استغنى تجبر وتكبر (اذا) رمت اذاية غيرك فتصور اذاية مثله لك (اذا) ظلمت من دونك فلا تأمن عقاب من فوقك (اذا) ألم الالم فالمعاجلة بالمعالجة (اذا) أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا (اذا) أردت أن تعلم ما للعبد عند ربه فانظر الى ما يتبعه من حسن الثناء (اذا) أراد الله أن يذل عبده جعل الدين قلادة فى عنقه (اذا) اتسد الوزير بغير الرأى الجزل ومال الى الهزل فقد تعرض للعزل (اذا) وليت سلطانا فابعد عنك الاشرار فان جميع عيوبهم منسوبة اليك (اذا) أكثرت العتاب كررت العذاب (اذا) التبست عليك المصادر ففوّض الامر الى القادر (اذا) ازدحم الجواب خفى الصواب (اذا) أردت أن تعلم ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره بذلك رأيه عليه أصح دلالة (اذا) احتجت الى المشاورة فشاور ذوى الحنكة والتجربة من ذوى دابقتك وصناعتك (اذا) أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق فى بحره (اذا) أسأت فاندم (اذا) أدبر الامر كان العطب فى الحيلة (اذا) ابتلى المرء أتاه الشر يطلبه من كل ناحية (اذا) استطالت أيدى العمال تحقق الاختلال ببيوت المال والاموال (اذا) اضطررت الى الكذاب فلا تصدقه ولا تعلمه بأنك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه (اذا) اجتمع للرئيس الجد والجد والجد والجود فنا هيك به (اذا) تحكم سلطان الهوى هدم أركان القوى (اذا) وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك (اذا) تغير السلطان تغير الزمان (اذا) تم العقل نقص الكلام (اذا) تزايد الانسان فضلا فى نفسه

انتقم من عدوه (اذا) تواترت على المرء العلل ظهر فى جسمه الخلل (اذا) جاء النص بطل القياس (اذا) جهل عليك الاحمق فليس له صلاح الا الرفق والتلطف (اذا) حان القضاء ضاق الفضاء (اذا) رأيتم النعم مستقبلة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال (اذا) رأيت الشيب متزايدا فلتكن للآخرة متزودا (اذا) رأيت الشر يتركك فاتركه (اذا) فتحت بينك وبين أحد بابا من المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة (اذا) رقت حال الانسان هان على الاخوان (اذا) رضى المرء بالميسور ضرب بينه وبين الانكاد بسور (اذا) رأيت من يحسدك وأردت أن تسلم من شره فعم عليه أمورك (اذا) أردت شرا بعدوك فاستعرض أخلاقه فانك لا تجدها بأسرها كاملة ولا بد من ان يلحقها النقص فادخل اليه من عورته فانه لا يفوتك (اذا) أنجز رجل ما وعد به من معروف فاحرز فضيلتى الجود والصدق (اذا) بلغ المرء فى الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس (اذا) أبصرت العين الشهوة عمى القلب عن الاختيار (اذا) زادك السلطان اكراما فزده اعظاما (اذا) زللت فارجع (اذا) رأيت انسانا قد أخطأ فلا تعلمه فانه يتعلم منك ويغضب عليك (اذا) طلب رجلان أمرا فاحربه أعظمهما مروءة فان استويا فى المروءة فأكثرهما أعوانا فان استويا فى الاعوان فاسعدهما جدا (اذا) طال الامل فى الدنيا قصر العمل فى الآخرة (اذا) ظهر الحيف فى الامم فانتظر السيف من أمم (اذا) عدل السلطان فى رعيته بلغ فى مناوئه أقصى أمنيته (اذا) غابت امرأتان على الامر فجاهدها انه ساعد ولك (اذا) فسد الزمان كسدت الفضائل

وضرت

وضرت ونفقت الرذائل ونفعت (اذا) فاتك العلم فالزم الصمت (اذا) قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه (اذا) قيض الله للرجل امرأة كثيرة الحياء جميلة المحيا مساعدة فى جميع الاشياء معينة على أمور الدين والدنيا فقد استطاب المحى (اذا) قبح السؤال حسن المنع (اذا) سألت فاسئل الله فانه أقرب من ناجيت وأكرم من راجيت (اذا) شاورت العاقل صار نصف عقله لك (اذا) هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه (اذا) وجدت ما فاتك لا تأسف على ما فاتك (اذا) وليت ولاية فليكن حظ أخيك منها الكامل الكافى ونصيبه من ثمرها الوافر الوافى (اذا) كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائرا فله الوزر وعليك الصبر (اذا) كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (اذا) كان فى الصبى الحياء والرهبة طمع فى رشده (اذا) كان الغدر فى الناس طبعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق (اذا) كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص واذا كانت الامور ليست بدائمة فما السرور واذا كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة (اذا) علمت فلا تذكر من دونك من الجهال واذكر من فوقك من العلماء (اذا) لم يستطع الرجل نيل عظيم الا باحتمال صغير كان حقيقا باحتماله (اذا) لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها (اذا) لم يكن للانسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير (اذا) مدحت شيأ فاختصر واذا ذممت فاقتصر (اذا) مسك الضر فالله يكفيك واذا شفك السقم فالله يشفيك (اذا) نزل البلاء فالدعاء يسد بابه ويكف غبابه ويقطع أسبابه (اذا) صلحت الداعية صلحت

مجاربها (اذا) صادف معروفك محله ينبغى لك أن تعد ذلك من نعم الله عليك (اذا) لم يكن لك ماتريد فأرد ما يكون (اذا) لم يكن جسد فضيم الكد (اذا) زرت منزل أخيك فلم تأكل فيه ولم تشرب فانما زرت قبره (اذا) فضلت محاسن الرجل مساويه فذلك الكامل واذا استويا فهو المتماسك واذا كانت المساوى أكثر فهو المتهتك (اذا) رأيت الرجل يعدحك بما ليس فيك فلا تأمن منه ان ينمك بما ليس فيك (اذا) تشاكلت الأخلاق كثر الاتفاق (اذا) دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله (اذا) قلت لصديقك قم فقال الى أين فليس بصديق (اذا) كان المحسن من الجزاء ماينفعه والمسئ من النكال ما يقمعه بذل المحسن الواجب عليه رغبة وانقاد المسئ للحق رهبة (اذا) جلست فى مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم (اذا) أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع معك مزية اللسان وثمرة الاحسان (اذا) أردتم أن تعلموا من أين أصاب الرجل المال فانظروا فيم ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف

﴿ ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم ﴾

اذا ما كنت قد أوتيت مالا * من الدنيا سعيت لنيل حال
فأنت طوال دهرك فى عناء * كثير السير فى طلب المحال

﴿ آخر ﴾

اذا ما شئت ان تدعى حكيما * وتلحق بالرجال ذوى الكمال
فلا تفتر فى الدنيا بشئ * ولا تخطر لك الدنيا ببال

﴿ آخر ﴾

اذا ما أخ تاه في ثروة * وكان وصولا بإملاقه
أقام إنا لؤم أفعاله * شهيدا على لؤم أعراقه

﴿آخر﴾

اذا اعتذر المسيء اليك يوما * من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عقابك واعف عنه * فان الصفح شيمة كل حر

﴿آخر﴾

اذا ناتك الدهر بالحادثات * فكن رابط الجاش صعب الشكيمه
ولا تهن النفس عند الخطوب * اذا كان عندك للنفس قيمه
فوالله ما لقي الشامتون * بأحسن من صبر نفس كريمه

﴿آخر﴾

اذا الحادثات بلغن المدى * وكادت تضيق بهن المهج
وحل البلاء وقل الوفاء * فعند التناهي يكون الفرج

﴿آخر﴾

اذا قل مال المرء قل صديقه * وضاق به عما يريد طريقه
وقصر طرف العين عنه كلالة * وأسرع فيما لا يحب شقيقه
وذم اليه خدنه طعم عوده * وقد كان يستحليه حين يذوقه

﴿آخر﴾

اذا كنت ذا مال ولم تك منفقا * فأنت اذا والمقترون سواء
على ان للاموال يوما تباعة * على أهلها والمقترون براء

﴿آخر﴾

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مقارف ذنب تارة ومجانبه

﴿آخر﴾

اذا تخلفت من صديق * ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها اليه * فانما وده تكلف

﴿آخر﴾

اذا حيوان كان طعمة ضده * توقاه كالفار الذي يتقي الهرا
ولا شك ان المرء طعمة دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

﴿آخر﴾

اذا ما كنت متخذا رسولا * فلا ترسل سوى حر نبيل
فان النجح في الحاجات يأتي * لطالبها على قدر الرسول

﴿آخر﴾

اذا كان دوني من بليت بجهله * أبيت لنفسي ان أقابل بالجهل
وان كنت أدنى منه في الحلم والحجا * عرفت له حق التقدم والفضل
وان كان مثلي في محل من الحجا * أردت لنفسي ان أجل عن المثل

﴿آخر﴾

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿آخر﴾

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقي أشد ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

﴿آخر﴾

اذا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * رسولا وانت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه * وذاك الحكيم هو الدرهم

﴿آخر﴾

اذا أذن الله فى حاجة أتاك * النجاح بها يركض
فان منع الله من كونها * فلابد من عارض يعرض

﴿آخر﴾

اذا ماشئت أن تحيى سعيدا * وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الاخيار واقطع * زمانك فى مدارسة العلوم

﴿آخر﴾

اذا ما اصطفيت امرأ فليكن * شريف النجار زكى الحسب
فنذل الرجال كنذل النبا * ت لا للثمار ولا للحطب

﴿آخر﴾

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فلكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدرى السكون متى يكون

﴿آخر﴾

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة * وبادرهم أن يملكوا مثله غدا

﴿آخر﴾

اذا كنت جماعا للمال ممسكا * فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

﴿آخر﴾

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت * ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذى * دعته اليه من حلاوة عاجل

(آخر)

اذا اجتمع الاسلام والقوت للفتى * وأضحى صحيحا جسمه وهو فى أمن
فقد ملك الدنيا جميعا وحازها * وحق عليه الشكر لله ذى المن

(آخر)

اذا استوحشت من رجل * فكن منه على وجل
ولا يغررك ظاهره * فباطنه على دخل
فقد تلقى حمام الموت * بين السم والعسل

(آخر)

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

(آخر)

اذا أظمأتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
أبيا لنائل ذى ثروة * تراه بما فى يديه أبيا
فان اراقة ماء الحياة * دون اراقة ماء المحيا

(آخر)

اذا لم يكن للمرء شيخ يوسه * ولا هو ذو علم بآفات نفسه
فذاك فتى حائر فى طريقه * يروح ويغدو فى عمايات لبسه

(آخر)

اذا

اذا ما عـدوك يوما سما * الى حالة لم تطق نقضـهـا
فقبـل ولا تأنفـن كفـه * اذا أنت لم تستطع عضـهـا

﴿آخر﴾

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

﴿آخر﴾

اذا لزم الناس البيوت وجدتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

﴿آخر﴾

اذا لم تستطع شـيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

﴿آخر﴾

اذا وترت امرأ فاحـذر عـداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

﴿آخر﴾

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عـدو فى ثياب صـديق

﴿آخر﴾

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

﴿آخر﴾

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميـل

﴿آخر﴾

اذا ما أهـان امرؤ نفسـه * فلا أكرم الله من أكرمـه

﴿آخر﴾

اذا عاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف اعتذر

﴿آخر﴾

اذا شجر المودة لم تجده * فغيث البر اسرع فى الجفاف

﴿آخر﴾

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

﴿آخر﴾

اذا عب الثقيل توزعته * أكف القوم خف على الرقاب

﴿آخر﴾

اذا مر بي يوم ولم اتخذ يدا * ولم استفد علما فما هو من عمرى

﴿آخر﴾

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * جبلت عليها لم تطعك الضرائب

﴿آخر﴾

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلابها كهلا عليه شديد

﴿آخر﴾

اذا أنت لم تزرع والفيت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

﴿آخر﴾

اذا أبرم المولى بخدمة عبده * تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

﴿آخر﴾

اذا أنت حملت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند

﴿آخر﴾

اذا ما العيش عاد ابن ذلا * فان العز فى الموت المريح

﴿آخر﴾

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

﴿آخر﴾

﴿آخر﴾

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا وان كان كاسيا

﴿آخر﴾

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

﴿آخر﴾

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

﴿آخر﴾

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

﴿آخر﴾

اذا أنت جاريت السفيه كما جرى * فأنت سفيه مثله غير ذى حلم

﴿آخر﴾

اذا ما أجبت الناس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

﴿آخر﴾

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

﴿آخر﴾

اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

﴿آخر﴾

اذا لم يأتك المعروف طوعا * فدعه فالتنزه عنه مال

﴿آخر﴾

اذا أنت لم تنفع بودك أهله * ولم تنك بالبوسى عدوك فابعد

﴿آخر﴾

(من) كف غضبه كف الله عنه عذابه (من) أعان مسلما كان الله فى عونه (من) قنع بما رزقه الله دخل الجنة (من) شفع شفاعة حسنة آجره الله (من) لم تكن له واحدة من ثلاث فلا تحتسب بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكفه عن السفه وحكمة يعيش بها فى الناس (من) أخذه الله بمعصيته فى الدنيا فالله أكرم من أن يعفو عن عبده فى الدنيا ثم يأخذه فى الآخرة (من) اعتذر اليه أخوه المسلم فليقبل منه مالم يعلم كذبه

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(من) عرف قدره علا أمره (من) استحيى من الناس ولم يستحى من نفسه فلا قدر لها عنده (من) حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم (من) جالس عدوه حفظ عليه عيوبه (من) أخطأه سهم المنية قيده الهرم (من) سره بنوه ساءته نفسه (من) استغضب فلم يغضب فانما هو حمار ومن استرضى فلم يرض فانما هو شيطان (من) كثر ضحكه سقطت مهابته ومن لاحى الرجال سقطت كرامته (من) طلب ما قبل السلطان والنساء بالغلظة لم يزدد منهما الا بعدا (من) خدم السلطان بلا علم واستقلال وتجربة وكمال كان بمنزلة راكب فيل صعب أو سائر فى بحر قد خب (من) طلب الى لئيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك فى المفاوز (من) استوضع التاجر من رأس ماله فقد استكمل حمقه (من) اتقى الحساب تورع فى الاكتساب (من) بلغ الستين فقد قطع منه الوتين (من)

عامل

عامل السلطان بالمكر كافأه بالغدر (من) حرمك خيره وجلك مؤنته فلا ترغب فى مودته (من) أبدى الى الناس فقره فليس له عندهم قدر (من) استغنى عن الناس وقروه وعظموه (من) غضب على من يقدر على ضره طال همه وحزنه (من) أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا (من) قل عقله كثر هزله (من) أصلح سريرته أصلح ولا بد علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس (من) عمل للآخرة كفاه الله الدنيا (من) استغنى بالله افتقر اليه الناس (من) خان مان ومن مان خان وتبرأ من الاحسان (من) كتم سره جهل عدوه أمره (من) نقض عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده (من) فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه (من) أماه عيب نفسه زكاها (من) طاعت له نفسه طاع له غيره (من) أنفق عمره فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم (من) أحب الحياة لنفسه أماتها (من) كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا فى عينه (من) سكر من خمرة الدنيا هلك فى خمار الهوى (من) قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة (من) عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار (من) تجرع اللوائم فى موافقة الحق رد الله تلك اللوائم حمدا ومن آثر المحامد فى موافقة الحق رد الله تلك المحامد ذما (من) أعجب بنفسه فضحها (من) وصل رحمه ودله الله ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره (من) بسط الادلال قبض الاذلال (من) تناسى مساوى الاخوان دام له ودهم (من) بذل ماله أدرك آماله (من) عظمت مرافقه أعظمه مرافقه (من) قل حياؤه قل أحباؤه

(من) لم يشكر لنعمه استحق قطع أنعمه (من) أنكر الصنيعة استوجب القطيعة (من) قل توقيه كثرت مساويه (من) استغنى بالله اكتفى (من) انقطع لغير الله تعرى (من) كان بقليل الدنيا لا يقنع لم يغنه منها ما يجمع (من) لم يتناه طلبه دام تعبه (من) أمات شهوته أحيا مروءته (من) صاحب العلماء وقر ومن جالس السفهاء حقر (من) ساس نفسه ساد جنسه (من) رضى عن نفسه سخط عليه الناس (من) استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل (من) أفشى سره المصون كثر عليه المتآمرون (من) كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته (من) دام كسله خاب أمله (من) أوغرت صدره استدعيت شره (من) أمل امرءا هابه (من) فعل ما شاء صبر على ما لا يشاء (من) داوم الرقاد عدم المراد (من) عرف معايبه فلا يلم من أعابه (من) لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ (من) عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه (من) تجابر رأسه فقد ربح (من) استرعى الذئب ظلم (من) أدب ولده صغيرا سر به كبيرا (من) أدب ولده أرغم حاسده (من) عبس لك وجهه فلا تطلبن فضله (من) كانت ولايته فوق قدره تكبر ومن كانت ولايته دون قدره تواضع (من) استعذب المدح استحق القدح ومن ترك التكبر استوجب الشكر (من) ذهب ماله هان على أهله (من) سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان (من) صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة (من) لم يضن بالحق على أهله فهو الجواد (من) لم يصبر على كلمة سمع كلمات (من) أراد العز والسلامة فليلازم ثلاثا ألا يسأل أحدا

حاجة ولا شيأ ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء (من) امتطى
دواب الامل أوردته موارد التلف (من) ركب العجلة لم يأمن الكبوة
(من) لم يواس الاخوان في دولته خذلوه في عزلته (من) لم يتعظ بالناس
اتعظ به الناس (من) أخطأ واعتقد انه على صواب فقد أخطأ مرتين
(من) قل لبه اشتد عجبه (من) عرف حق أخيه دام له اخاؤه (من)
تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غر نفسه (من) لم يكن
عونا على نفسه مع خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى (من) أقدم
على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة تسلط على نفسه لسان العذل
وضيع الحزم (من) لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس
أثمرت مودته ندما (من) كساه الحياء ثوبه ستر عن الناس عيبه (من)
أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض (من) كرمت عليه
نفسه لم يهنها ومن نازع بها جاهلا لم يصنها (من) لم يرض من الدنيا
بالقليل وقع منها في غم طويل (من) كثر ملقه لم يعرف بشره (من)
أنس بالله استوحش من الناس (من) رجى الفرج لديه كثرت
غاشيته (من) غضب من غير شئ فسيرضى من غير شئ (من) لم يمنع
نفسه من الشهوات تسرعت اليه المهلكات (من) لم ينتفع بظنه لم
ينتفع بيقينه (من) زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم (من) ساء
خلقه كثر همه ومن كذب ذهب جمال وجهه (من) غض بصره
عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (من) نهض الى المعالى
ظفر بالمكان العالى (من) لم يسمح نفسا عن الخطأ الجسيم للعيب
الصغير لم يعد شفيقا على نفسه ولا صائنا لعرضه (من) قصر على شئ

عابه (من) غزا بإقبال الدهر ذل بإدباره (من) لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب (من) ضاق صدره اتسع لسانه (من) قارب الناس فى عقولهم أمن من غوائلهم (من) تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه (من) عرف تقلب الزمان لم يركن اليه (من) أحب المجد أحسن السيرة ومن أبغضه أساءها (من) أحرز العفاف لم يعدم الكفاف (من) كان همه بطنه كان قدره ما يحويه (من) سلك الجدد أمن من العثار (من) استغنى كرم على أهله (من) لم يدار المشط ينتف لحيته (من) ترك القهقهة أكرمه الله بالهيبة ومن ترك المزاح أكرمه الله بسيما الصالحين ومن ترك الفضول أكرمه الله بالخشوع ومن ترك التخليط أكرمه الله بالوقار ومن ترك التجسس أكرمه الله بالسنة ومن ترك الكيفية فى الرب برأه الله من الشرك والنفاق ومن بحث من عورات المسلمين فضحه الله فى بيته (من) غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس التزهد اجتنى العز ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزى ومن غرس الحسد اجتنى الكمد (من) رضى من صلة الاخوان بلا شئ فليواخ أهل القبور (من) لا ولد له فلا ذكر له ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة (من) خوفك لتأمن خير ممن أمنك لتخاف ومن سقاك مر التبر أخبر لك ممن سقاك حلو التسقم (من) لاحى الناس وماراهم قلت كرامته (من) أكثر من شئ عرف

به

به (من) صحب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره (من) حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى (من) أبطره الغنى أذله الفقر (من) أوتى نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ومن عرفها فقد شكرها ومن شكرها فقد استوجب مزيدا (من) لم يملك غضبه لم ينل أربه (من) لم يخض لجاجته لم يبلغ حاجته (من) لم تحسن خلائقه لم تؤمن بوائقه (من) حسن خلقه أنهج إلى الخيرات طرقه وأدرك فى المكرمات من سبقه (من) شح على سره فقد أعان على بره (من) نظر فى أحواله وحزم فى أفعاله وأقسط فى أحكامه واقتصر فى وفوره واعدامه أعطى الخير بتمامه (من) يسر التوبة لم يمنع المغفرة ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة (من) حكم فعدل وصبر واحتمل وأعطى وبذل فقد احتبى بثوب الفضل واشتمل (من) لم يقبل مشورة الصديق ونصيحة الشفيق استوبل عاقبته واستوخم مغبته وعاين سوء ما قدمت يداه وذاق مرارة ما جناه (من) لم ييأس على ما فاته أراح قلبه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضى بالقسم طابت معيشته ومن ضعف عقله غلبته شهوته ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه (من) عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن (من) أنزل نفسه منزلتها أمن عليها سوء الدوائر (من) تقهر نفسه جسده فاغبا جسده قهر لنفسه (من) قلل تعلقه بالدنيا فاتت حسرته عند فراقها (من) طاوع طرفه تابع حتفه (من) استقبل الامور أبصر ومن استدبرها تحير (من) لم يعرف الموارد كان بالمصادر أجهل (من) أحبك نهاك ومن أبغضك

أغراك (من) اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنائبة الدهر
(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

من يسئل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب
وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(آخر)

من آنسته البلاد لم يرم * منها ومن أوحشته لم يقم
ومن يبت والهموم قادحة * فى صدره بالزناد لم ينم

(آخر)

من قال لا فى حاجة * مطلوبة فما ظلم
وانما الظالم من * يقول لا بعد نعم

(آخر)

من لم يكن كاملا فى العقل والادب * وقد قرا سالف الاشعار والكتب
فلا يروم من سلطانا ولا ملكا * فانه مشرف منه على العطب

(آخر)

من شاب قدمات وهو حى * يمشى على الارض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذلك

(آخر)

من كان يبغى الذل فى دهره * فليطلع الناس على سره
ما للفتى ان خانه دهره * معول الا على صبره

(آخر)

من عاش عيشا جيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن

فلينظرن الى من فوقه أدبا * وليتظرن الى مادونه مالا

﴿آخر﴾

من يسئل الله فلا ينبغي * ان يسئل الله سوى العافية

فهي اذا ما حصلت لامرئ * غنية من غيرها كافية

﴿آخر﴾

من لم يكن ذا خليل * يفضي اليه بسره

ويستريح لديه * في خير أمر وشره

فليس يعرف طعما * لحلو شيء ومره

﴿آخر﴾

من لم يكن أكثر عقله * أهلكه أكثر ما فيه

﴿آخر﴾

من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازة

﴿آخر﴾

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

﴿آخر﴾

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

﴿آخر﴾

من يدع الحلم أغضبه لمعرفه * لا يعرف الحلم الا ساءة الغضب

﴿آخر﴾

من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمرى أضحى وهو مغبون

﴿آخر﴾

من يكشف الناس لايجد أحدا * تصح له منه سراير

﴿آخر﴾

من لم يؤدبه والداه * أدبه الليل والنهار

﴿آخر﴾

من يزرع الخير يحصد ما يسر به * وزارع الشر منكوس على الرأس

﴿آخر﴾

من لم يكن حسبه من نفسه * فهو الوضيع وان غدا ابن فلان

﴿آخر﴾

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم معيب

(فصل ليس)

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(ليس) الخبر كالمعاينة (ليس) فى فاسق غيبة (ليس) بعد الموت مستعتب (ليس) منا من لم يوقر الكبير و يرحم الصغير و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (ليس) يوم الاوهو ينادى ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل فيه عليك شهيد فاعمل فى خيرا أشهد لك به فانى لو قد مضيت لم ترنى (ليس) بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا (ليس) الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس (ليس) شئ خيرا من ألف مثله الا المؤمن (ليس) لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (ليس) من العقل الثقة بالظن (ليس) الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من عميت بصيرته (ليس) بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (ليس) من خلق المؤمن الملق

الملق (ليس) من خـلق المؤمن الحسد (ليس) منـا من لم يوقـر
(ليس) منا من غش مسلما أو ضره .

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهـم)

(ليس) اللئيم مثل الهوان (ليس) يعد حكيما من لم يكن لنفسه
خصيما (ليس) من العدل سرعة العذل (ليس) بخالص ولا لبيب
من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له
مخرجا (ليس) الى السلامة من الناس سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه
(ليس) العاقل الذى اذا وقع فى الامر احتال له لكن العاقل الذى
يحتال للامر ولا يقع فيه (ليس) للعوج تدبير ولا لسيئ الخلق عيش ولا
لمتكبر صديق (ليس) حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على
الاذى (ليس) من أحدوان ساعدته المقادير بمتخلص غضارة عيش
الامن خلال مكروه (ليس) للامور بصاحب من لم ينظر فى العواقب
(ليس) من العدل القضاء بالظن على الثقة (ليس) بيسير تقويم
العسير (ليس) الحكيم بكثرة العلم انما الحكيم فى الانتفاع به فى العمل
(ليس) من شرط الحليم أن لا يضجر لكن أن يضجر بوزن (ليس)
لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها (ليس) الانسان الصورة انما
الانسان العقل (ليس) من توكل المرء اضاعة الحزم (ليس) للعاثر
جار (ليس) من عادة الكرام سرعة الانتقام (ليس) العاقل الذى
يعرف الخير والشر انما العاقل الذى يعرف أقل الشرين (ليس)
الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم (ليس) بعاقل ولا لبيب
من لم يصف ما به الى الطبيب (ليس) الاسير من أوثقه عداه انما الاسير من

أوثقه هواه قسراً أو أرهقه خسرا

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

ليس بالمغبون عقلا * مشترى عز بمال
انما يدخر الما * ل لحاجات الرجال
فاشتر العز بما شئ * ت فما العز بغال
فالفتى من جعل الامـ * ـوال أثمان المعالى

(آخر)

ليس الكريم بمن يدنس عرضه * ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد بناءهم ببنائه * ويزين صالح ما أتوه بما أتى

(آخر)

ليس في كل ساعة وأوان * تتأتى صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
أحزم الناس من اذا أحسن الده * ر تلقى الاحسان بالاحسان

(آخر)

ليس الاديب أخا الرواية * للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثين * أبي نواس أو حبيب
بل ذو التفضل والمروءة * والعفاف هو الاديب

(آخر)

ليس للحاجات الا من * له وجه وقاح
ولسان وبيان * وغدو ورواح

(آخر)

ليس

ليس العدو بشر * من الصديق الحسود
فعم أمرك عنه * وداره من بعيد

(آخر)

ليس الكريم الذى ان زل صاحبه * بث الذى كان من أسراره علما
بل الكريم الذى تبقى مودته * ويحفظ السران صافى وان صرما

(آخر)

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابي

(آخر)

ليس الذى تكرمه لغيره * مثل الذى تكرمه لنفسه

(آخر)

ليس لرب البيت فى بيته * عيش اذا ما فسد الاهل

(آخر)

ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

(آخر)

ليس من الظرف والتأدب أن * يسمع منك الصديق ما كرها

(آخر)

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون من الحرام عفيفا

(آخر)

ليس النعيم ولا الشقاء بدائم * لابد للاقبال من ادبار

(آخر)

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

﴿آخر﴾

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

ليس ملك الذي يموت ملك * انما الملك ملك من لا يموت

(فصل رب)

(فمن الحديث الوارد من النبي صلى الله عليه وسلم)

(رب) حامل حكمة الى من هو أوعى منه (رب) حامل فقه ليس بفقيه (رب) طاعم شاكر أعظم أجرا من صائم صابر (رب) مبلغ أوعى من سامع (رب) ملوم لا ذنب له (رب) دميم الوجه حسنه عند الحاجة ورب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة (رب) مكرم لنفسه وهو لها مهين ورب مهين لنفسه وهو لها مكرم (رب) أمن سببه الخوف (رب) طرف أنم من لسان (رب) صلف أدى الى تلف (رب) حيلة أهلكت المحتال (رب) صديق يؤتى من جهله لا من نيته

(ومن الحكمة المأثورة من السلف وغيرهم)

(رب) قول أشد من صول (رب) أخ لك لم تلده أمك (رب) عجلة تهب ريثا (رب) مغبوط بمسرة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه (رب) ضيق أفضل من سعة (رب) عناء خير من دعة (رب) مملول لا يستطاع فراقه (رب) طبع صالح أفسده مصاحبة الاشرار والسفلة (رب) حسن المنظر قبيح المخبر (رب) مزاح في غوره جد (رب) مواصلة أدت الى تثقيل وتخفيف أدى الى قطيعة (رب) صلابة غرست من لحظة ورب حرب شبت من لفظة (رب) كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة (رب) وحشة أنفع من أنس (رب) وحدة أمتع من جليس

(رب)

(رب) منع الدهر من عطائه (رب) شوك أمهد من وطاء (رب) جهل وقى به علم وسفه حمى به حلم (رب) صديق أود من شقيق (رب) عاجل لذة قد أعقبت طول حسرة (رب) مستسلم سلم ومحترز ندم (رب) ساع لقاعد آكل غير حامد

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

رب من أنضجت غيظا صدره * قد تمنى لي موتا لم يطع
ويحييني إذا لاقيته * وإذا يخلو له لحمي رتع

(آخر)

رب غريب ناصح الجيب * وابن أب متهم الغيب
ورب عياب له منظر * مشتمل الثوب على العيب

(آخر)

رب مغروس يعاش به * عدمته كف مغترسه
وكذلك الدهر مأتمه * أقرب الأشياء من عرسه

(آخر)

رب حلم أضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم

(آخر)

رب مهزول سمين حسبه * وسمين الجسم مهزول الحسب

(آخر)

رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

(آخر)

رب عير يرعى ويعلف في الخصب * وليث يجوع في الصحراء

(فصول الاضداد المذكورة قبل)

(فى الاحاديث والحكم والشعر)

(فصل واحد)

(فمن الحديث الوارد فى ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم)

(طلب) الدين أحد العمرين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (قلة) العيال أحد اليسارين (المال) أحد الضجيعين

(ومن الحكمة المأثورة من السلف وغيرهم)

(افشاء السر) أحد المفسرين (اعلان) التوبيخ أحد الضربين (ادمان) النظر أحد الفسقين (المطل) أحد المنعين (العرى) أحد الكفنين (المشفق) أحد الوالدين (العين) احدى الرسولين (العشق) احد الرقين (الفرار) احد الحمامين (المكيدة) احدى الحسامين (الفكرة) احدى الهاديين (اللسان) أقطع السيفين (الدهر) أحد المؤدبين (الشيب) أحد الميتين (حسن الثناء) أحد البقاءين (ذهاب العدة) أحد الهلاكين (التدبير) أحد الثروتين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (المشورة) أحد الدليلين (الميزان) أحد الصادقين (القلم) أحد اللسانين (سوء الرأى) أحد المحاربين (سامع الغيبة) أحد المغتابين (البيان) أنفذ السهمين (الثروة) احدى الامارتين (الناصر) أحد الساعدين (اللطف) أحد الزيارتين (السلو) أحد العتيقين (الصبر) أحد المفيدين (التثبت) أحد الناصحين (التوفيق) أحد الخليلين (الزمانة) أحد الاسرين (التجارة) احدى الجابيين (الثقة بالله) أحد الامانين (الرد الجميل) أحد الجودين (التودد) للناس أحد الحسنيين (الالفة) احدى العمارتين

العمارتين (الاحسان) أحد القيدين (الرخصة بالادب) أحد الزادين (الدار) أحد النقصتين (العمر) أحد القريبتين (اليسار) أحد الوطنين (العدة) أحد العطاءين (السلامة) أحد الغنيمتين (المبلغ) أحد الشاهدين

(ومن الشعر فى هذا الفصل)

تأمل صورة العدد * فمن ينظر اليه هدى
كما الاعداد راجعة * وان كثرت الى الاحد
كذاك الخلق مرجعهم * لرب واحد صمد

(فصل اثنين)

(فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ثنتان) لا ترد ان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضه بعضا (خلقان) يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وخلقان يبغضهما الله ورسوله البخل وسوء الخلق (قطرتان) من أفضل الاشياء قطرة دم فى سبيل الله وقطرة دمع من خشية الله (خصلتان) ليس فوقهما من الخير شئ الايمان بالله والنفع لعباد الله (غبيمتان) غبنهما كثير من الناس الصحة والفراغ (اثنان) ليس فى الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الاقلة درهم حلال وأخ فى الله يسكن اليه (خصلتان) لا ثمن لهما العلم والعمل الصالح (منهومان) لا يشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال شيئان لا يجتمعان الايمان والحسد (شيئان) لا يفترقان الحرص والتعب (صنفان) من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء (ذنبان) لا يغفران البغى وقطيعة الرحم (ركعتان)

في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(اثنان) يقطعان الظهر عالم فاسق يصد الناس عن علمه بفسقه وجاهل ناسك يدعو الناس الى جهله بنسكه (اثنان) معذبان في الدنيا رجل أعطى الدنيا فهو بها مشغول متعب ورجل فقير زويت عنه الدنيا فهو يطلبها ونفسه تتقطع عليها حسرات (شيئان) ان أحرزتهما لم تبال ما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (موطنان) لا يعتذر من العي فيهما اذا خاطبت جاهلا أو طلبت حاجة (شيئان) لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (اثنان) ظالمان يأخذان غير حقهما رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وانتفخ ورجل هديت له نصيحة فجعلها ذنبا (خصلتان) فيهما خير الدنيا والآخرة الغنى والتقى وخصلتان فيهما شر الدنيا والآخرة الفقر والفجور (خصلتان) من الكرم انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان (شيئان) العجلة فيهما محمودة اطعام الضيف اذا حل وقضاء الدين (اثنان) لا يجتمعان أبدا في بشر الكذب والمروءة (اثنان) يهون عليهما كل شيء الحكيم الزاهد والجاهل الذي لا يدري ما هو فيه (خصلتان) لا تجتمعان في منافق الفقه في الدين وحسن السمت (خصلتان) يحبهما العاقل ويكرههما الجاهل الصبر عند النوائب والعفو عند المقدرة (اثنان) أهيت الحيلة فيهما اقبال الامر اذا أدبر وادباره اذا أقبل (أمران) يستصلح بهما المرء دنياه أدب يقوم نفسه واجتهاد يحسن به عيشه وأمران يستصلح بهما أخراه عقل يعرف به خطأه من صوابه ورشده

ورشده من غيه ونزاهة يقهر بها هواه ويصرف بها شهوته

﴿ومن الشعر﴾

اثنان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(فصل ثلاثة)

(من الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(ثلاثة) من الموبقات فاحذروهن الحرص والحسد والكبر (ثلاثة) لا ترد دعوتهم الامام المقسط والصائم حتى يفطر والمظلوم (ثلاثة) لا يضر معها شئ الدعاء عند الكرب والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة (ثلاثة) لا يسئل أحد عنها يوم القيامة ما أنفق فى مرضه وفى افطاره وما أنفق فى قرى ضيفه (ثلاثة) من نعيم الدنيا وان كان لا نعيم لها مركب وطئ والمرأة الصالحة والمنزل الواسع (ثلاثة) يبغضهم الله البخيل المنان والشيخ الزانى والفقير المختال (ثلاثة) مرحومون عز يرقوم ذل وغنى قوم افتقر وصاحب دين رجع عن دينه (ثلاثة) معافون الملك حتى يضم أهله والغازى حتى يقضى غزوه والحاج حتى يقضى حجه (لا كذب) فى احدى ثلاث الاصلاح بين الناس والحرب فانها خدعة والزوجات فيما يبتاعه الزوج (ثلاثة) لا ينتصفون من ثلاثة بر من فاجر وشريف من دنى وحليم من سفيه (ثلاثة) لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن الحلم عند الغضب والشجاع فى الحرب والاخ عند الحاجة (ثلاثة) لا يلامون على سوء الخلق المريض والصائم والمسافر (ثلاثة) يطلبون المرء وان فر منهم الموت والرزق والمصيبة

(ثلاثة) من كن فيه ستر الله كنفه وأدخله جنته رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين والاحسان الى المملوك (ثلاثة) من لم يكن فيه واحدة منهن لم يعبد طعم الايمان حلم يرده من جهل الجاهل وورع يحجزه من محارم الله وخلق يدارى به الناس (ثلاثة) من أخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل واذا رضى لم يخرجه رضاه من حق واذا استقل لم يعط ماليس له (ثلاثة) من هذه الامة على منابر يوم القيامة من در وياقوت التاجر الصدوق فى تجارته والسلطان العادل فى حكومته والبار بوالديه (ثلاث) للمرء المسلم من دعوته أما خير يعجل له فى دنياه واما خير يؤخره له الى آخرته واما يستجاب له (ثلاث) علامات للكسلان يتوانى حتى يفرط و يفرط حتى يضيع و يضيع حتى يأثم (ثلاث) منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضى والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (ثلاث) ساعات من كان له الى الله حاجة فليطلبها فيهن عند زوال الشمس يوم الجمعة تفتح هناك أبواب السماء وتنزل الرحمة وتصوت الطير وتنفث الريح وساعة تغيب الشمس فان الاعمال ترفع الى الله تعالى فى ذلك الوقت وساعة ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (ثلاث) ساعات للمؤمن ساعة يناجى فيها ربه وساعة يروم فيها معاشه وساعة يخلى بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل (ثلاث) من كن فيه فهو منافق من اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان وثلاث من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق واذا وعد وفى واذا اؤتمن لم يخن (ثلاث) من رزقهن فقد

جمع

جمع له خير الدنيا والآخرة الرضى بالقضاء والصبر عند البلاء والدعاء في الرخاء (ثلاث) يصفين الك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب أسمائه اليه (ثلاث) من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة الكفاف والقنوع والورع (ثلاث) لن ينفع المرء بعد وفاته الا هن صدقة تجرى من بعده وسنة يعمل بها من بعده وولد يدعوله (ثلاث) تتبع الميت الى قبره فيرجع عنه اثنان وتتبعه واحدة أهله وماله وعمله فاما أهله وماله فيرجعان ويتبعه عمله (ثلاث) نهى الله عز وجل عنهن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال (ثلاث) لايهلك مؤمن معهن شهادة أن لا اله الا الله وشفاعتي ورحمة الله التي وسعت كل شئ

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثلاثة) أشياء لا ينبغي للعاقل تركها علم يحث على عمل نافع في المعاد وطب يكف به عن البدن الاسقام وصناعة يستعين بها على المعاش (ثلاثة) لا يتهمون المخبر عن سقمه والمقر على نفسه والذى يدعو الناس الى الاخذ بما يعمل به (العيش في ثلاث) سعة المال وكثرة الخدم وموافقة الاهل (ليس) لثلاث حيلة فقر يخالطه كسل وخصومة يداخلها حسد ومرض يمازجه هرم (ثلاثة) لا يستخف بهم عاقل السلطان والعالم والصديق لان من استخف بالسلطان أفسد دنياه ومن استخف بالعالم أفسد دينه ومن استخف بالصديق أفسد مروءته (ثلاثة) لا يأنف الكريم من القيام عليهم أبوه وضيفه ودابته (السفر) ثلاث عقبات الاولى العزم والثانية العدة والثالثة الرحيل وأشدهن العزم (ثلاثة) مسهرة قرض فار وابن مريض وكف بيت (ثلاثة)

لا راحة لها الا بالمفارقة الس المتأكلة المتحركة والعبد الفاسد على مولاه والمرأة الناشز على زوجها (ثلاث) خصال اذا كن فى الرجل فلا تشكن فى صلاحه اذا حمده جاره ورفيقه وقرابته (كدر) العيش فى ثلاث الجار السوء والولد العاق والمرأة السيئة الخلق (ثلاثة) الاقدام عليها غرر شرب السم للتجربة وركوب البحر للغنى وافشاء السر الى النساء (ثلاثة) من عازهم عادت عزته ذلا السلطان والوالد والغريم (ثلاثة) تزيد فى المودة الزيارة فى الرحال والهادنة على الموائد ومعرفة الرجل حشم أخيه وخدمه (ثلاثة) تنفع فى الدنيا مع ثوابها فى الآخرة الحج ينفى الفقر والصدقة ترد البلاء والبر يزيد فى العمر (مطالع) العلوم ثلاثة قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور (ثلاث) من كن فيه فقد أصاب البر صفاء النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام (يستدل) على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات (ثلاث) خلال من برئ منهن نال ثلاثة من برئ من الشره نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة (ثلاث) من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر (الملوك) تحتمل كل شئ الا ثلاثة القدح فى الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (ثلاثة) تدل على عقول أصحابها الرسول والكتاب والهدية (ثلاث) من خير خصال النساء وهن من شر خصال الرجال الزهو والجبن والبخل (العيش) فى ثلاث اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان (ثلاث) من لم يرغب فيهن بلى بست من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والامتحان ومن لم يرغب فى السلامة بلى بالشدائد والامتهان

والامتهان ومن لم يرغب فى المعروف بلى بالندامة والخسران (رؤس) النعم ثلاثة فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم النعم الا بها والثانية نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا بها (أولى) الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون فى تدبير الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغبون والكريم يحتاج الى اللئيم فهو خاضع ذليل (أسباب) الفتن ثلاثة عين ناظرة وصورة ناضرة وشهوة قادرة (ثلاثة) ان لم تظلمهم ظلموك عبدك وولدك وزوجتك (الكمال) فى ثلاثة الفقه فى الدين وبر الوالدين وحسن تدبير المعيشة (ثلاثة) لا يندم فيما سلف اليهم الله عز وجل فيما عمل له والمولى الشكور فيما أسدى اليه والارض الكريمة فيما بذر فيها (ثلاثة) لا تكون الا فى ثلاثة الغنى فى النفس والشرف فى التواضع والكرم فى التقوى (عليكم) بثلاثة جالسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء (ثلاثة) لا يصلح فسادهن شئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة فى العقول (ثلاثة) لا يفسدهن [illegible] بنوع من المكر العبادة فى العلماء والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوى الاخطار (ثلاثة) لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال (ثلاثة) أشياء تفسد العقل طول النظر فى المرآة والاستغراق فى الضحك ودوام النظر فى البحر (ثلاثة) تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأنى والاسراف مع القصد (ثلاثة) من الافعال من علامات الحمق كثرة الالتفات من غير مناد ولا متكلم وسرعة الجواب والمسئول غيره والضحك فى غير وقته (ثلاثة) من

حقيقة الايمان الاقتصاد في الانفاق والابتداء بالسلام والانصاف في الامور (ثلاث) نواطق وان لم تكن نوسا كسوف البال دليل على رقة الحال وحسن البشر دليل على سلامة الصدر والهمة الدنية دليل على الغريزة الردية (الرجال) ثلاثة عاقل وفاجر وأحمق فاما العاقل فالكرم شريعته والحلم طبيعته وحسن الرأى سجيته وان كلم أجاب وان نطق أصاب وان سمع العلم وعاه وان اطمأن اليه مطمئن رعاه والفاجر ان ائتمنته خانك وان حادثته شانك وان علما العلم لم يتعلم وان ذكر بالله لم يتذكر وان وثقت به لم يرعك وان استكتمته لم يكتم والاحمق ان تكلم عجل وان حدث لم يهو وان استنزل عن رأيه نزل وان حمل على قبيح ركبه وان حدث لم يفقه وان حدث لم ينبه (النساء) ثلاث فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها وأخرى وعاء الولد وأخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء (ثلاثة) لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى (ثلاثة) أشياء وكل بها ثلاثة أشياء الحرمان على المتقدم في صنعته وتحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة ومعاداة العامة لاهل المعرفة (ثلاثة) أشياء من أخذها من الديك تم بها أدبه سخاؤه وشجاعته وغيرته (ثلاثة) أشياء من أخذها من الغراب تمت بها مروءته بكوره في طلب الرزق وشدة حذره وستره سفاده (الناس) ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة من خاصة الاحرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ولئلا يبطرهم اللين (الرجال)

ثلاثة

ثلاثة لهم عن ضعيف معلم صدور الامور رمصادرها ويرعقلو اوردها وآخر يلتمس الى رأى ذى اللب والمقدرة فيأخذ بقوله ويتهى الى أمره وآخر حائر بائر لا يأتمر الرشد ولا يطيع المرشد (ثلاثة) متقاربة السفر والسقم والقتال فالسفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت المنايا (الاخوان) ثلاثة أخ يخلط الشودة ويبلغ فى مهمك جهده وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يجاملك بلسانه ويتشاغل عنك بشانه ويستر عليك من كنبه وأيمانه (الرقاب) ثلاثة رقبة تملك بالمن ورقبة تملك بالسقم ورقبة لا ينفع فيها الا السيف (ثلاثة) ما اجتمعت فى حر مباهتة الرجال والغيبة للناس والملل لاهل المودة (ثلاثة) ليس لهم رأى صاحب الخف الضيق وصاحب المرأة السوء وحابس البول (ثلاثة) تسمن ولا تؤكل دخول الحمام وعرف البخور ولبس الكتان الناعم (ثلاثة) تورث ولا تسمن الطلع والجمار والكمأة (الانس) فى ثلاثة صديق تأمن منه فى صداقته وماير تسكن اليه صدوك وامرأة تسرك ان دخلت عليها وتحفظك اذا غبت ومملوك يأتى كل ما فى نفسك حتى كأنه يطلع على غيبك (ثلاث) تعقب المذلة المباهتة والمفاخرة والممازحة (ثلاث) تزرى بالمرء الحسد والنميمة والطيش (الخير) كله فى ثلاثة فى السكوت والكلام والنظر فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو (ثلاث) تدل على ضعف العقل سرعة الجواب وطول التمنى والاغراق فى الضحك (ثلاث) تفسد المروءة الشح والحرص والغضب (الرجال) ثلاثة رجل بنفسه ورجل بلسانه ورجل بماله (ثلاثة) يضيرون

أبعن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران (الايادي) ثلاث بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف واليد الخضراء المكافأة على المعروف واليد السوداء المن بالمعروف (تمام) المعروف ثلاثة تعجيله وتصغيره وستره (احذر ثلاثا) الكبر والغضب والطمع (أرج) ثلاثا عفو الله عن ذنوبك وعاسن عملك وشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم (استحى) ثلاثا مطالعة الله تعالى وأنت مقيم على ما يكره ومن الحفظة الكرام الكاتبين ومن صالحي المؤمنين (خذ) من الدنيا ثلاثا من الكنوز العلم ومن الزاد التقوى ومن الاعمال العبادة (تلق) النعمة من الله بثلاث كثرة الشكر ولزوم الطاعة واجتناب المعصية (افزع) الى ثلاث الى الله فى مهمات أمورك والى التوبة من مساوى عملك والى أهل العلم والادب (اهرب) من ثلاث من الكذاب ومن الظالم وان كان والدك أو ولدك ومن مواطن الامتحان التى تحتاج فيها الى صبرك (من) عرف بثلاث استوجب ثلاثا من عرف بالبخل استوجب الذم ومن عرف بالكذب استوجب المقت ومن عرف بالغيبة استوجب الخزى (علامة) فضل المرء فى ثلاث الفصاحة والسماحة وارباش وعلامة تهمته فى ثلاث اذ رأيته يمشى راكبا ومعتمه يعرب فى كلامه وشممت عليه رائحة طيبة (ثلاث) هن فى ذهاب العقل أسرع من النار فى يابس العرفج اهمال الفكرة وطول الغنى والاستغراق فى الضحك

(ومن الشعر)

ثلاث بها نالت المعالى والغنى * وأصبحت معتز الجناب ممولا
لموت

طويت على قصد المروءة باطنى * وفى ظاهرى أبديت فيه التجملا
وأغضيت عما فى يد الخلق ناظرى * وأبصرت مالله عندى أفضلا

(فصل أربعة)

﴿فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(أربع) من سنن المرسلين الختان والسواك والتعطر والنكاح (أربع) يذهبن ضياعا الأكل مع الشبع والسراج فى القمر والزرع فى السبخة والصنيعة الى غير أهلها (أربع) خصال من سعادة المرء أن تكون زوجته صالحة وولده ابرارا وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلاده (أربع) لو شد اليهن المطايا كان قليلا لا يرجو عبد الا ربه ولا يخاف الا ذنبه ولا يستحى الجاهل أن يتعلم ولا يستحى العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم (أربع) من كن فيه وجبت له الجنة من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهى (أربع) خصال لن تعدموهن اذا مس أحدكم ضر فليحدث اخوانه فاما مواساة أو معونة بجاه أو مشورة مباركة أو دعاء مستجاب (أربع) لن يجد الرجل طعم الايمان حتى يؤمن بهن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله بعثنى بالحق وانه ميت ثم مبعوث بعد الموت ويؤمن بالقدر كله (أربع) من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت له خلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر (الاذلاء) أربعة النمام والكذاب والمديان والفقير (من) اجتنب أربعة دخل الجنة الدماء والاموال والفروج والاشربة (أحب) الكلام الى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (أربع) مواطن يستجاب فيها الدعاء وتفتح أبواب السماء عند التقاء الصفين في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة

(ومن الحكمة المأثورة من السلف وغيرهم)

(أربعة) يسود بها المرء الأدب والعلم والعفة والأمانة (أربعة) ينبغي للعاقل أن يمنع نفسه منها العجلة واللجاجة والعجب والتواني (أربع) لا بقاء لها مودة الأشرار والبيت الذي ليس فيه تقدير والمال الحرام والكسب الذي ليس معه تدبير (أربع) لا يستطاع إشباعهن النار من الحطب والبحر من الماء والموت من الأرواح والشره من المال (أربع) إذا كن في الرجل أهلكته محبة النساء والقمار والصيد والخمر (أحب) الأشياء إلى الله أربعة القصد عند الجدة والعفو عند القدرة والحلم عند الغضب والرفق بعباد الله في كل حال (الناس) أربع طبقات بين إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا عليهم (أربع) فيهن العلم كله أولها أن تعرف ربك والثاني أن تعرف ما صنع بك والثالث أن تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما يخرجك من ذنبك (أربعة) أعداء المؤمن شيطان يضله وكافر يقاتله ومنافق يفتنه ومؤمن يحسده (أربع) كلمات اجتمعت العرب والعجم عليها لا تحملن على قلبك ما لا يطيق ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثر (أربع) يورثن العصرور بما قتلن الحمام على البطنة والجماع على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق (أربعة) تذهب ماء الوجه الكذب والوقاحة والتكبر والنظر

إلى

الى المقتول (اربعة) تزيد ماء الوجه الوفاء بالعهد والكرم والكلام الطيب وطاعة الله سبحانه وتعالى (اربع) تدل على حمق الرجل طول لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه (اربعه) لاتدرك بالربيع الشباب بالخضاب والغنى بالمنى والبقاء بالدواء والصحة بالحمية (اربع) من كنوز البر كتمان الفاقة وكتمان المصيبة وكتمان الوجع (لاينبغي) للعاقل أن يخلى نفسه من أربع عدة لمعاد واصلاح لمعاش وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث (أربع) ترفع الرجل الى أعالى الدرجات وان قل علمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق (اربعة) أشياء لاتطلبها في آخر الزمان فانك لاتجدها الا تطلب عالما يعمل بعلمه فتبقى جاهلا ولا تطلب طعاما بغير شبهة فتبقى جائعا ولا تطلب صديقا بغير عيب فتبقى وحيدا ولا تطلب عملا بغير رياء فتبقى بلا عمل (اربعة) لايزول معها ملك حفظ الدين واستكفاء الامين وتقديم الحزم وامضاء العزم وأربعة لايثبت معها ملك الغش الوزير وسوء التدبير وخبث النية وظلم الرعية (أربعة) تؤكد المحبة حسن البشر وبذل البر وقصد الوفاق وترك الشقاق (أربعة) من علامات الكرم بذل الندى وكف الاذى وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة وأربعة من علامات اللؤم افشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الاخوان واساءة الجوار (أربعة) من علامات الايمان حسن العفاف والرضى بالكفاف وحفظ اللسان واعتقاد الاحسان (أربعة) تتولد من أربعة التمر من المزحة والبغض من المكاشحة والوحشة من الخلاف والنبوة من الاستخفاف (أربعة)

لاتنتصف من أربعة الشريف من الدنيء والرشيد من الغوي والبر من الفاجر والمنصف من الجائر (أربعة) تؤدي الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة (أربعة) تعرف بأربعة الكاتب بكتابته والعالم بجوابه والحكيم بافعاله والحليم باحتماله (أربعة) لا تستغني عن أربعة الرعية عن السياسة والجيش عن القادة والرأي عن الاستشارة والعزم عن الاستخارة (أربعة) تقوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان (أربعة) تمرض الجسم الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير (أربعة) تقوي البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس (أربعة) توهن البصر النظر الى العدو والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والجلوس مستدبر القبلة (أربعة) تزيد في العقل ترك فضول الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء (أربعة) يفرح بها القلب النظر الى الخضرة والنبات والى زرقة السماء الصاحية والى المحبوب والقعود على طرف ماء جار (أربع) يفنين العمر وان لم يفن قلة ذات اليد وفساد الولد وسوء الخلق وفقد الاخوان (أربع) خصال تلزم قلب من كانت الدنيا همه فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا تنفد أولاه وأمل لا يبلغ منتهاه (من) أعطى أربعا لم يحرم أربعا من أعطى الشكر لم يحرم المزيد ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ومن أعطى الاستخارة لم يحرم الخيرة ومن أعطى المشورة لم يحرم الصواب (أربعة) لا يقدر على مكافأتهم رجل بات وحاجته تغلغل في

مفاتيح

صدره حتى أصبح فقصدك بها ورجل افشى اليك سره فوضعت مكان قلبه ورجل ابتدأك بالسلام ورجل دعوته فاجابك (أربعة) اذا أفسدهم المطر لاتزيدهم التكرمة الافسادا الزوجة والولد والخادم والرعية (أربعة) ترتفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دائه ومن تعاطى مالا يستقل باعبائه ومن بذل ماله فى لذاته ومن أقدم على ما حذر من آفاته (السعادة) أربع سلامة الخلقة وجودة العقل وتأتى المطلوبات والمحبة فى الناس (الجماع) أربعة فالاول شهوة والثانى لذة والثالث شفاء والرابع داء (الرجال) أربعة رجل يدرى و يدرى انه يدرى فذلك عالم فسلوه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك غافل فنبهوه ورجل لايدرى و يدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه (الناس) فى الخير أربعة منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه احتماء وهو الردى ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقى (أركان) الدين والدنيا أربعة الصبر والصدق والحلم والوفاء (أربعة) لايدرى قدرها الا أربعة لايعرف قدر الحياة الا الموتى ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر العافية الا أهل البلاء ولا يعرف قدر الغنى الا الفقراء (اربعة) لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت

(ومن الشعر)

بأربعة أرجو نجاتى واتها * لأكرم مذخور لدى وأعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم انى مسلم

(فصل خمسة)

(فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(خمس) لا يجتمعن الا في مؤمن حقا النور في القلب والفقه في الاسلام والورع في الدين والمودة في الناس وحسن السمت في الوجه (خمس) يفطرن الصائم و ينقضن الوضوء الغيبة والنميمة والكذب والنظرة بالشهوة واليمين الغموس (خمس) دعوات لا ترد دعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة المظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر ودعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب (خمس) لا يتعداهن كل عبد عمله وأجله وأثره ورزقه ومضجعه (خمس) من الايمان من لم يكن فيه شئ منهن فلا ايمان له التسليم لامر الله والرضى بقضاء الله والتفويض الى الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الاولى (خمس) يقبحن في خمسة من الناس القسوة في الشيخ والحرص في القارى وقلة الحياء في ذى الحسب والبخل في الاغنياء والحدة في ذوى القدرة (خمس) خصال من السعادة اليقين في القلب والورع في الدين والزهد في الدنيا والحياء والعمل وخمس خصال من الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الامل (خمس) تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس واجابة الداعى وعيادة المريض واتباع الجنائز

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(خمسة) تقبح بخمسة ضيق الذرع بذى المال وسرعة الغضب بالعلماء والبداء بالنساء والمرض بالاطباء والكذب بالقضاة (لا تتم) مروءة الرجل الا بخمس أن يكون عالما عاقلا صادقا ذا بيان مستغنيا عن الناس

مفاتيح الارزاق خمس حسن الخلق وحسن الجوار وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة (خمسة) من الاطعمة لوازم الوليمة والعقيقة والعذيرة والعتيرة والنقيعة فالوليمة طعام الاعراس والاملاك والعقيقة طعام أسبوع المولود والعذيرة طعام الختان والعتيرة الطعام الذى يبعث الى أهل الميت والنقيعة ان تكون بين القوم عداوة فيصطلح بينهم فيجتمعون على طعام انتهى والنقيعة أيضا طعام القادم من السفر (قال على رضى الله عنه) خمس خذوها عنى الالا يرجون أحد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستنكف أن يتعلم ماليس عنده واذا سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (خمسة) محرومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل

(ومن الشعر)

أقبل على صلواتك الخمس * كم مصبح وعساه لا يمسى
واستقبل اليوم الجديد بتوبة * تمحو ذنوب صحيفة الامس

(فصل ستة)

(فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ست) خصال من لقى الله تعالى ولم يعمل بهن دخل الجنة لم يشرك بالله شيأ ولم يسرق ولم يزن ولم يرم محصنة ولم يعص ذا أمر ويقول الحق أو يصمت (ست) ليال اجهدوا فيهن أنفسكم أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء (ست) خصال فى الزنا ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما اللواتى فى الدنيا يذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما

اللواتى فى الآخرة غضب الله تعالى والحساب والدخول فى النار
(ست) خصال أكفلوهن لى أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والصيام والبطن واللسان والفرج (ست) من المروءة ثلاثة منها فى الحضر تلاوة القرآن واتخاذ الاخوان وعمارة المساجد وثلاثة منها فى السفر بذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ست) خصال من كن فيه فهو انسان كامل الالفة والحياء والادب والانفة والشكر والرجاء (ستة) لابقاء لها ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب (ستة) من علامات الجاهل الثقة بكل انسان وأن لايميز عدوه من صديقه وأن يفشى سره الى كل أحد من الناس وكثرة الكلام فيما لا يعنيه والغضب من غير شئ ووضع الشئ فى غير محله (فروع) الشر ستة حب الدنيا وحب الرياسة وحب الثناء وحب الشبع وحب النوم وحب الراحة (ستة) لاتفارقهم الكآبة حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود وخليط أهل الادب وهو غير أديب (من) جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف ربه فأطاعه وعرف شيطانه فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها

(ومن الشعر)

ست بليت بها والمستعاذ به * من شرها من اليه الخلق يبتهل
نفسى وابليس والدنيا التى فتنت * من قبلنا والهوى والحرص والامل

ان

ان لم تكن منك يا مولاي واقية * من شرها فقد اعيت عبدك الحيل

(فصل سبعة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(سبعة) يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه (سبعة) لعنهم الله الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل بحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والمتعدي بالجبروت ليذل ما أعز الله والمؤذي لاهل بيتي والتارك لسنتي

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(سبع) خصال من كانت فيه لم يعدم سبعا من كان جوادا لم يعدم الشرف ومن كان ذا وفاء لم يعدم المنة ومن كان صدوقا لم يعدم القبول ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة ومن كان ذا رعاية الحقوق لم يعدم السودد ومن كان منصفا لم يعدم العافية ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة (اللذات) اللاتي لا يملن سبع خبز البر ولحم الضأن والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شئ (سبع) خصال لا توجد معهن غربة حسن الادب واجتناب الريب وكف الاذى وسعة الخلق واحتمال الصبر وجميل العشرة وصحبة الناس على أخلاقهم

(ومن الشعر)

جاء الصيام ومن صاداته بيدى * صبح فقد أكسبتني بالقبول ثقه
صوفيتى وصفاتى فى صلاحيتى * والصبر والصون ثم الصدق والصدقه

(فصل ثمانية)

(قال المؤلف) لم أجد فى هذا الفصل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال على بن أبى طالب رضى الله عنه) لابنه الحسن رضى الله عنه (يا بنى) احفظ عنى هذه الثمانية خصال لا يضرك ما عملت معهن شئ أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق واياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه اليسير

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثمانية) ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الآتى الى صنيع لم يدع اليه والمتأمر على رب البيت فى بيته والداخل بين اثنين فى حديث لم يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا ليس له بأهل والمقبل بحديث على من لا يسمعه وطالب الخير من أعدائه وطالب الفضل من اللئام (ثمانية) من أضيع الاشياء عالم بين جهال فلا يسئل عن علمه وعلم عند من لا يعمل به ورأى صواب عند من لا يقبل منه وآلة جهاد عند جبان ومسجد عند قوم لا يصلون فيه ومصحف عند من لا يقرأ فيه وطول عمر عند من لا يتزود فيه للمعاد ومال عند من لا ينفق منه فى الحقوق والمواساة

(مفاتيح) الرزق فى ثمان فى حسن الخلق وحسن الجوار ولين الجانب وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة وحسن المعونة وقبول المعذرة

(ومن الشعر)

ثمانية قام الوجود بها فهل * ترى من محيص للورى عن ثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة * وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
بهن انقضت أعمار أولاد آدم * فهل من رأى أحوالهم متساويه

(فصل تسعة)

(فن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(امرنى ربى بتسع) خصال الاخلاص فى السر والعلن والعدل فى الرضى والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وان يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(تسعة) أشياء تحتاج الى تسعة لا تصلح الا بها ولا تحسن الا معها العقل محتاج الى التجارب والنجدة محتاجة الى الجد والحسب محتاج الى الادب والسرور محتاج الى الامن والقرابة محتاجة الى الصداقة والشرف محتاج الى التواضع والعمر محتاج الى الصحة والمال محتاج الى الكفاية والاجتهاد محتاج الى التوفيق (شروط) العلم تسعة العقل والفطنة والذكاء والشهوة والكفاف من العيش والفراغ وعدم المانع وطول العمر ومعلم عارف سمح

(ومن الشعر)

بتسع ينال العلم قوت وصحة * وحرص وفهم ثاقب فى التعلم

ودرس وحفظ العلوم وهمة * وشرخ شباب واجتهاد معلم

(فصل عشرة)

(من الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

سهام الاسلام عشرة خاب من لاسهم له فيها أولها شهادة أن لا اله الا الله وهي الملة والصلاة وهي الفطرة والزكاة وهي الطهر والصيام وهو الجنة والحج وهو الشريعة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والطاعة وهي العصمة والجماعة وهي الالفة والغسل من الجنابة وهي السريرة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(عشرة) من أخلاق العاقل الحلم والعلم والرشد والعفاف والتعاون والحياء والرزانة والمداومة على الخير وكراهية الشر وطاعة الناصح

(مكارم) الاخلاق عشرة العقل والدين والعلم والحلم والصبر والصدق والشكر والجود والرفق واللين

(ومن الشعر)

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها * والصبر خامسها والصدق سادسها

والشكر سابعها والجود ثامنها * والرفق تاسعها واللين عاشيها

والنفس تعلم من عيني محدثها ان * كان من حزبها أومن أعاديها

ولست عمري في حال أصدقها * ولا أرى الرشد الاحين أعصيها

(وقد) ضرب بعض الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يلقيها الى القلوب فقال ان الباذر خرج يبذر الطيب ليبذره فنثره فوقع بعضه في أرض محجرة بل في جنبات الطريق فلم يلبث ان اختطفه الطير فذهب به

ووقع

ووقع بعضه فى أرض محجرة الا أن عليها ندى وطينا فرضخ البذر فى ذلك الندى والطين ونبت شيأ حتى اذا وصلت عروقه الى الحجر لم يجد مساغا ينفذ فيه فتلف وفسد ويبس ووقع بعضه فى أرض رخوة الا أن فيها شوكا نابتا فنبت حتى اذا كان عند الاثمار خنقه الشوك فلم يأت بثمره ووقع بعضه فى أرض طيبة نقية ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت وأثمر فجاءت الحبة باضعاف مضاعفة ثم فسره فقال فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة فى القلوب وبذره الطيب هو حكمته وموعظته الحسنة التى يلقيها الى القلوب والقلوب فى تلقى ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسى الذى اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوته فلم تثبت فيه ومنها قلب ظاهره رقة وباطنه قساوة فهو فى أول سماع الحكمة يرق لها ويلذ بسماعها ويصغى الى ذلك بتلك الرقة الظاهرة على قلبه ولا يعقد عليها بعزم لقساوته ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبها ويحب العمل بها الا أنه قلب قد افتتن بلصوق الشهوات به حتى صارت له طباعا فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت له تلك الشهوات فمنعته من اقامة وظائفها وأفسدت عليه ما سمع فاختلط عليه أمره ولم يتم له مراده ومنها القلب النقى الصافى العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذى لا همة له فى غيرها ولا شغل له الا بها ولم تعلق به شهوة تناقضها ولا داء يقطع منها فهذا القلب الذى تنمى فيه الحكمة ايمانا وفهما وحفظا وعلما وقولا وعملا وتبلغ به الى أفضل العواقب وأعلى المراتب

(القسم الثانى فى السودد والمروءة)

(ومكارم الاخلاق ومداراة الناس)
(والتأدب معهم فى حالى الغنى والاملاق)

(اصل) انه يجب على الانسان ان يتخلق بالاخلاق الموجبة السيادة و يعتنى فى طلب المكارم والمجادة وأن لا يتشاغل عنها بسواها ولا يصرف همته الى ما عداها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه (قال) حكيم لحكيم ما السودد فقال اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف فقال كف الاذى و بذل الندى قال فما السناء فقال استعمال الادب ورعاية الحسب قال فما المجد فقال احتمال المغارم وابتناء المكارم قال فما المروءة فقال عرفان الحق وتعاهد الصنيعة قال فما السماحة فقال حب السائل و بذل النائل قال فما الكرم فقال صدق الاخاء فى الشدة والرخاء (قال بعض العلماء) الكرم هو اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعانى السماحة والبذل فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر وشيمة تعزى الى مكارم الاخلاق وسجية تضاف الى محاسن الطبائع والاعراق فهى واقعة على اسم الكرم فالكرم أبدا واقع على كل فعل من الافعال المرضية لازم لكل حال من الاحوال الجليلة السنية (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مكارم الاخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة وهى صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع

وحفظ

وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب وقرى الضيف وأهون الحياء (ومن المنقول) فى تأليفنا كمال الغبطة والتوسل فى باب حفظ السودد الواجب على ذى النسب الشريف والمجد الرفيع ان لا يجعل ذلك سلما الى التراخى عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان أشرف الانساب يحض على أفضل الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعوا الى الشرف كما ان الحسن يدعو الى الحسن وأكثر الممدوحين انما مدحوا باعمالهم دون أنسابهم (وقد قال الشاعر) فى هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوى الانساب

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بفعله وان كان شرفه ارفيعا (واعلم) ان الناس أشد تحفظا على السيد الشريف فى قومه وأكثر احتجاجا لافعاله وتصفحا لاخلاقه وتنقيرا عن خصاله منهم عن خامل لا يعبأ به وساقط لا يكترث اليه فيسير عيب الرجل الجليل يقدح فيه وصغير الذنب يكبره (قال بعضهم) وشرف الوالد جزء من ميراثه منتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الولد يعم القبيلة وللوالد منه الحظ الاكبر والقسم الاوفر (قال أبو على) حسن ابن رشيق والذى يقع عليه الاختيار عندهم قول المتوكل الليثى

انا وان أحسابنا كرمت * لسنا على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

(وقول عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمقنب

(وأنشد) أبو حيان للمنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري

وإني لمقتاد الجيوش الى الوغى * أسودا تلاقيها أسود خوادر
تسودت بنفسي أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة * وأورثناها في القديم معافر

(ومن بديع) الافتخار بالسودد وحفظه قول السموأل بن عاديا

صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا * اناث أطابت حملنا وفحول
علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نزول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول

(قال أبو علي حسن بن رشيق) وقد أنكر قدامة أن يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحا بنفسه (قال) والذي ذهب اليه حسن وأنكر الجرجاني على أبي الطيب المتنبي قوله

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

(قال) وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من نسبه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح ان يجعل الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفا به فيجعل لكل منهم في الفخر حظا وفي المدح نصيبا (قلت) واذا كان هذا لا يجمل ولا يحسن في الشعر ويعد نقصا في معناه وهو من قبيل المجازات والتخييلات فكيف يجمل بالعاقل أن يرتضي ذلك حقيقة في ذاته ويهمل تأديب نفسه ويدع اكتساب المحامد واقتناء المكارم اتكالا على

حسب آبائه واعتمادا على كرم أسلافه ولم يسع آباؤه في طلب المجد وكانوا كسالى عن ذلك لم يكن له بهم فخر ولا بهم له ذكر (قال)

ومالمرء الاحيث يجعل نفسه * ففي صالح الاخلاق نفسك فاجعل

(وقال بعضهم)

تزين الفتى أخلاقه وتشينه * وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدري

فالافعال المحمودة والاخلاق الجميلة توجب السودد والرياسة والافعال المذمومة والاخلاق الدنية تمنع من ذلك (وقد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الاخلاق و يكره سفسافها (قال الامام) أبو بكر الطرطوشي واعلم ان زهر الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك و يعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن ما يكون قبحك أقبح (قلت) فيجب على المرء أن يجهد نفسه في الاقتداء بصالح سلفه و يرغب في الاعمال اللائقة بجده وشرفه و ينافس في المعالي و يسارع الى المكارم ليحفظ مزية آبائه الرفيعة لان يجعل تلك المزية للتقصير ذريعة (قال أبو الطيب)

ولم أر في عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

(وقال ابن المعلى لابنه) تشبه بأهل الفضل تكن منهم وتصنع الشرف تدركه واعلم ان كل امرئ حيث يضع نفسه وحسبك الحديث الوارد من تشبه بقوم فهو منهم (قال بعضهم) اعلموا ان مجدكم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب (قال الشاعر)

المجد ان خان التليد طريفه * للدعي خرابه خوان

حسب الفتى عارابه الابرى * الابذكر قديمه يزدان
وكفاه نبلا ان يكون لذاته * ان شال وزن قديمه رجحان
وانم ذلك مخضرا ماطابقت * فى طيهن أرومها الاغصان

(قال الامام أبو بكر بن أبى جمرة) وما أجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد اذا الشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد اذا كان له آباء متقدمون فى الشرف وأما الحسب والكرم فيكونان فى الرجل وان لم يكن له آباء كرام لهم شرف يقال رجل حسيب و رجل كريم بنفسه فينبغى للرجل أن يطلب خصال آبائه المحمودة و يتبعها و يتعلمها و يعلمها والاصل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارموا يا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا (و) اذا كان هذا فى الرمى فما ظنك بغيره (قال الله تعالى) حاكيا عن الكريم ابن الكريم واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق و يعقوب (وعلى) الجملة ففى معارج التطف على مدارج السلف فخر الشرف وذلك معتبر فى النسب عند العجم والعرب (وفى الخبر) المرفوع من نعمة الله على الرجل أن يشبه والده (ذكر أبو عثمان الجاحظ) فى كتاب البيان والتبيين ان عمرو بن سعيد دخل على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية الى من اوصى بك أبوك يا عمرو فقال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ أوصاك قال أوصانى أن لا يفقد اخوانه منه الا شخصه فقال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا الاشرف (قال الشاعر)

ان القديم اذا ما ضاع آخره * كساعد خانه الابهام معلوم

(وقال مسلم بن الوليد)

واذا

واذا جهلت من امرئ اعراقه * وقديمه فانظر الى ما يصنع

(وقال ابن الرومى)

اذا شئت تعرف أصل الفتى * أجل لحظ طرفك فى منظره

فان لم يبن لك فانظر الى * أفاعيله فهى من جوهره

وان غاب عنك بهذا وذا * فلا تطلبن سوى محضره

فان الحضر سبر الرجال * بما يعرف النذل من مخبره

بلوت الرجال وأخبارهم * فكل يعود الى عنصره

(وقال ابو الفتح كشاجم)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق

فأقم بنفسك لا بنسابك شاهدا * بحديث مجدك القديم محقق

(قال بعض الحكماء) من جمع الى شرف أصله شرف نفسه فقد استدعى الفضل بالحجة ومن أغمل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق أن لا يقدم بهم على غيرهم (و) الافتخار نوعان فخر الانسان بنفسه وفخره بسلفه (و) الكمال فى الجمع بين الامرين (قال الشاعر)

ما السودد المكسوب الادون ما * يومى اليه السودد المولود

فاذا هما اجتمعا تكمن الغنا * ان غوليا وتضعضع الجلود

(أما) فخر الانسان بنفسه فهو الذى تسميه العرب الخارجى يريدون انه خرج من أولية كانت له (قال كثير فى الخارجى)

أبا مروان لست بخارجى * وليس قديم مجدك بانتحال

وكل من كان خارجية ليس له قديم ومن له عصامى وكذلك من يفخر بالآباء وليس بشرف نفسه يقال له عظامى ولذلك قالوا كن عصاميا لا عظاميا

اى افتخر بنفسك لا با آبائك الذين ماتوا و بقيت عظامهم (قلت) وهذا ترغيب فى الافعال المحمودة والاخلاق الجميلة (و) هو الذى اراد أبو الطيب (بقوله)

ولست بقانع من كل فضل * بان أعزى الى جد همام
وآنف من أخى لأبى وأمى * اذا ما لم أجده من الكرام

وعصام المذكور هو عصام بن شهبر حاجب النعمان الذى يقول فيه النابغة الذبيانى

فانى لا ألام على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام

(وفيه قيل)

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

أى انه انما شرف بهمته وقدره لا لقديم كان له (قال المأمون) لرجل ***** يفخر بنفسه أنت عظامى لا عصامى أراد المأمون قول الشاعر

نفس عصام سودت عصاما

(وقول الآخر)

اذا ما الحى عاش بعظم ميت * فذاك العظم حى وهو ميت

(ومن وصية الرشيد للمأمون) المذكور لا تتكل على أن تقول كان أبى الرشيد واعمل على ما يتكل عليه من يقول كان أبى المأمون (وذكر أبو عثمان الجاحظ) ان زياد بن ظبيان التميمى قال لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يومئذ يجود بنفسه وعبيد الله غلام يا بنى الا أوصى بك الامير قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت (قال

أبو العباس المبرد في كتاب الكامل) قال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله القشيري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدركه به الاول (وانتسب) رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ عشرة آباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسب الا بالتواضع ولا نسب الا بالتقوى ولا عمل الا بالنية ولا عبادة الا باليقين (قال الشاعر)

لعمرك ما الانسان الا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

(وقال الراعي)

لم أجد عروة الخلائق الا الـ * ـدين لما اختبرت والحسبا

(وقال منصور الفقيه)

اذا جمع الفتى حسبا ودينا * فلا تعدل به أبدا قرينا

(قال أبو عمرو بن العلاء) كان أهل الجاهلية لا يسودون الا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الاسلام سابعة السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الاسلام زيادة العفاف (وقيل لقيس بن عاصم) بم سودك قومك قال بكف الاذى وبذل الندى ونصرة المولى (قال) وجيه الدين أبو المطاع بن حمدان

وما يدعى باسم السيادة سيد * اذا لم تكن فيه خلائق أربع
يجد الى العليا ويغضي على القذى * ويعفو عن العوراء يندى ويشجع

(وقال الاشعث بن قيس) لقومه انما أنا رجل منكم ليس لي فضل

عليكم لكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأقضي حقوقكم وأحوط حريمكم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن زاده لي فهو خير مني ومن زدت عليه فانا خير منه قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام قال حضهم على مكارم الاخلاق (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (ولما) أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم بسبايا طيئ كانت في السبايا جارية جميلة فصيحة فقالت يا رسول الله بل يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ولم يرد سائلا قط أنا بنت حاتم طيئ فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق (ولما) توفي عبد الله بن طاهر صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه وأعتق عنده كل زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانه وفصل ذلك اخوته ودفع كل رجل منهم الى كل غلام خمسمائة درهم وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدا ذكرا فقال أبو العميثل الاعرابي الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان يختص بطاهر وينادمه ألا أدلك على شئ تفعله فتتقدم به سائر اخوتك عند الامير طاهر قال بلى فأنشده هذه الابيات وقال اكتب بها الى الامير

يا من يحاول ان تكون خلاله * كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا صدقنك بالنصيحة والذى * حج الحجيج اليه فاقبل أودع
ان كنت تطمع أن تحل محله * في المجد والشرف الأشم الارفع

فاصدق

فاصدق وعف وبر وانصر واحتمل * واحلم وداروكاف واصبر واخشع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيعا * فابصر فقد أسلكت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الابيات وقال والله لقد أفدتنى بما يحببه شكرك على فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين وأكسبه ألف ألف درهم (وقد) جمعت هذه الابيات خلال المكارم وموجبات السودد وتفاريق المروءة (وكان) سلم بن نوفل سيد كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأتى به اليه فقال له من أمنك من انتقامى قال ما سودناك الا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الزلة وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه قال صدقت وخلى سبيله (وفى) سلم هذا يقول الشاعر

نسود أقواما وليسوا بسادة * بل السيد المعلوم سلم بن نوفل

(قيل لعرابة الاوسى) بم سودك قومك قال بأربع خلال انخدع لهم فى مالى وأذل لهم فى عرضى ولا أحقر صغيرهم ولا أحسد كبيرهم (وفى) عرابة الاوسى يقول الشاعر

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وقال بعضهم)

ان السيادة فاعلمن مؤنة * لولا صعوبتها لساد الرذل
ما كل من طلب السيادة نالها * ما نالها الا الجواد المفضل
يمسى ويصبح بالهموم موكلا * وأخو المكارم بالهموم موكل
وتراه من طلب المعالى ناحلا * وكذاك من طلب المعالى ينحل

(وقال أبو الطيب)

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود الناس من كان دهره * بلا منة منه عليهم ولا يد

(وكان) أسماء بن خارجة الفزاري سيد أهل الكوفة فقال له يوما عبد الملك ابن مروان ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء فقال حدثك غيري عني يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك وعلى ذلك فأحب أن أسمعها منك يا أسماء فقال نعم يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط مخافة أن يرى أني تكبرت عليه ولا سألني رجل قط حاجة فكان أكبر همي من الدنيا الا قضاء حاجته ولا أكل رجل عندي قط أكلة الا كان له الفضل على أيام حياتي ولا طاني رجل قط بظلمة الا رأيت عقوبتها العفو عنه فقال عبد الملك حسبك بهذا شرفا يا أسماء ثم أنشد عبد الملك يقول

اذا ما مات خارجة بن حصن * فلا مطرت على الارض السماء
ولا رجع الوفود بغنم عيش * ولا حملت على الطهر النساء
ليوم منك خير من أناس * كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم * اذا ذكروا ونحن لك الفداء

وهذه الابيات لعبد الله بن الزبير الاسدي في مدح أسماء بن خارجة المذكور ولها حكاية تتعلق بها ليس هذا الباب موضع ذكرها (قال الشاعر)

والابن ينشا على ما كان والده * ان العروق عليها ينبت الشجر

(قال جميل بن معمر)

أرى كل عود نابتا في أرومة * أبى منبت العيدان أن يتغيرا

بنوا

بنوا الصالحين الصالحون ومن يكن * لآبائه صدق يلقهم حيث صيرا

(وقال زهير بن أبي سلمى) في قصيدته التي مدح بها قوم سنان بن حارثة المرى

لا رحلن بالفجر ثم لادأبن * الى الليل الا أن يعرجني طفل

الى معشر لا يورث اللؤم جدهم * أصاغرهم بل كل مجد له نجل

فما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

(وهذا) البيت من أشرد مثل قيل في شبه البنين بالآباء ان مجدا فمجدوان لؤما فلؤم (وقال بشر بن هذيل) الفزاري وهو أحدة ومذا

ولا تنظرى ما يعجب العين وانظرى * الى عنصر الاحساب أين يؤل

فكم قد رأينا من فروع طويلة * تموت اذا لم يحيهن أصول

ومن محض النصيحة يقتضي مضمن هذا الباب قول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(وكان أبو عمرو بن العلاء) يتمثل بقول الشاعر في معناه

وسيبقى الحديث بعدك فانظر * خير أحدوثة تكون فكنها

(قال أزدشير) الايام صحائف آجالكم فخلدوا فيها أحسن أعمالكم (وقد) قال المفسرون في قول الله عز وجل عن خليله ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن المنقول) من غيره في هذا الفصل قيل لعدى بن حاتم ما السودد فقال يكون السودد في الرجل الاخرق في ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده (وقالوا) يسود

المرء بأربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال (قال عبيد بن الابرص)

اذا أنت لم تعمل برأى ولم تطع * أولى الرأى أو تسكن الى أمر مرشد
ولم تجتنب ذم العشيرة كلها * وتدفع عنهم باللسان و باليد
وتحلم عن جهالها وتحوطها * وتقمع عنها نخوة المتهدد
فلست وان علت نفسك بالمنى * بذى سودد باد ولا قرب سودد

(قال قس بن ساعدة) من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه
(قال الشاعر)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى الا بأعمدة * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا
تهدى الامور بأهل الخير ما صلحت * فان تولت فبالاشرار تنقاد

(وقيل لبعض الحكماء) متى يبلغ الرجل درجة الكمال قال اذا اتقى من خلقه وجاد بما رزقه فذاك الذى أنهج الى الكمال طرقه (قال ابن سلام)

اذا كنت صبارا لدفع الشدائد * وسطوة جبار وجفوة صاحب
ودنت بمنع النفس عن شهواتها * ونيل هواها خوف سوء العواقب
فقد حزت أشتات المكارم كلها * وأحرزت سبق الفضل من كل جانب

(قال على بن أبى طالب رضى الله عنه) ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينكم و بينه فحسب الرجل أن يتصل اليه بخلق منها (وقال بعضهم) اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم قال بعض الحكماء من أخذ نفسه بمكارم الاخلاق جرى من الفضل فى ميدان السباق

فاستوجب

فاستوجب حسن الثناء بالاستحقاق (وقالوا) بكثرة الصمت تكون
الهيبة وبعدل المنطق تكون الجلالة وباحتمال السوء يجب السودد
وبحلمك عن السفيه يكثر انصارك عليه وبنفي العجب عنك تأمن
الحاسدين وبترك ما لا يعنيك يتم الفضل فيجب على المرء أن يأخذ نفسه
ما استطاع بمتابعة أهل الفضل والاقتدا بأهل العقل والنبل واجتناب
مقاصد أهل النقص والجهل فيتحلى بحسن الشمائل ويسبق في مضمار
الفواضل (قال عمرو بن العاص) في كل شيء سرف الا في ابتناء
مكرمة واصطناع معروف قال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا * الى المجد حتى عد ألف بواحد

(وقال الشاعر)

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

(الفصل الأول في الادب)

(قالت الحكماء) الادب أحد المنصفين (وقالوا) نعم العون لمن لا عون
له الادب (وقال الاحنف) الادب نور العقل كما ان النار في الظلمة نور
البصر (واعلم) ان الادب كما قيل أربعة أدب لسان وأدب جنان وأدب
زمان وأدب ايمان فادب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر ما صدر عن
أربابها وأدب الجنان الانقياد والسهولة والتزين بهما وأدب الزمان سيرة
كبراء أهله في عاداتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم وأدب الايمان
ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة في الاخلاق والاقوال والافعال
(وقال بعض العلماء) الادب على ثلاثة أقسام كسبي وطبيعي وصوفي

(أما) الادب الطبيعي فهو ما يفطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وترك الحسد الى غير ذلك من الصفات المحمودة التي يطول هنا استقصاؤها ولا يمكن استيفاؤها وكلها نعم من الله سبحانه على عباده لاشتمالها على المكارم والمآثر واحتوائها على المحاسن والمفاخر (وأما) الادب الكسبي فهو ما يكتسبه الانسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن معرفة أشياء الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وايام الناس (واما) الادب الصوفي فهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس (وقيل) الادب ادبان ادب شريعة يؤدى به الفرض وادب سياسة تعمر به الارض فأدب السياسة كما قال ابن القرية للحجاج وقد سأله ما الادب هو تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة وادب الشريعة كما قال اعرابى في مجلس معتمر بن سليمان ادب الدين هو داعية الى التوفيق وسبب الى السعادة وزاد من التقوى وهو ان تعلم شرائع الاسلام وأداء الفرائض وان تأخذ لنفسك بحظها من النافلة وتؤيد ذلك بصحة النية واخلاص اليقين وحب الخير شافيا به مبغضا للشر نازعا عنه ويكون طالبك للخير رغبة في ثوابه ومجانبتك للشر رهبة من عقابه فتفوز بالثواب وتسلم من العقاب ذلك اذا اعتزلت الذنوب الموبقات وآثرت الحسنات المنجيات (وقيل) التأدب نوعان ما يلزم الانسان في تأديب ولده أو فيمن يلزمه تأديبه وهو ان يأخذه بمبادى الادب ليأنس بها حتى تصير له كالطبع وما يلزم الانسان في تأديب نفسه (فاما) ما يلزم الانسان في تأديب نفسه فقسمان

أدب مواضعة واصطلاح وأدب رياضة واستصلاح (فالاول) ما اصطلح عليه العقلاء واستحسنه الادباء والثانى ماهو محمول على حال لايجوز فى العقل أن يكون على خلافها (قال المفضل) رأس الادب معرفة الرجل نفسه (وقال بعضهم) رأس الادب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صدق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدقة الا بنية (المادخل) ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ ذاك ملك الحيرة والعمامة وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة الا انه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع فى الآفاق لما فيه من الخصال المحمودة فلما رآه المنذر احتقره لدمامة خلقته وقصر قامته فقال تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فقال له ضمرة أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه لا والله حتى يشرفه أصغراه لسانه وقلبه ويعلو به أكبراه همته ولبه وقد قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور

(وقال آخر)

رأيت العز فى أدب وعلم * وفى الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بفخر * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان

(وفى هذا المعنى قول بعضهم)

وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته ونقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(ودخل) المختار بن أبي عبيد على معاوية وكانت عليه عباءة رثة فاستحقره فقال له المختار يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها (وأنشد)

أما وان كان أثوابي ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد همّاتي وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لحان

وقولهم فلان لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان (قالت الحكماء) جاهك بالمال انما يصحبك ما صحبك المال وجاهك بالادب غير زائل

(قال علي بن الجهم)

لو قيل لي خذ أمان الدنيا بأجمعها * ولا تكون اديبا تحسن الادبا
لقلت لا ابتغي هذا بذاك ولا * ارى الى غيره مستدعيا اربا
لمجلس مع اديب في مذاكرة * أنفي به الهم أو استجلب الطربا
أشهى الي من الدنيا وزخرفها * ومثلها فضة أو مثلها ذهبا

(وقال بزرجمهر) ماورث الآباء الابناء خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه (قال الشاعر)

يطيب العيش ان تلقى أديبا * غذاه العلم والرأى المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل * وفضل العلم يعرفه الاديب

وقالت الحكماء الادب أفضل من الحسب لان الرجل ينطق به فيعرف قبل حسبه ومن فقد نسبه نهض به أدبه (فالادب) أكرم الجواهر وانفسها فانه يرفع الخسيس ويفيد الرغائب ويعز بغير عشيرة ويكثر الانصار بغير روية فالبسوه حلة تزينوه حلية يؤنسكم في الوحشة ويجمع

لكم

لكم القلوب المختلفة ويكسبكم خير العاجلة والآجلة (قال) شعيب بن شيبة اطلبوا الادب فانه عون على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس (وقد) جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جملة من الادب في قوله سبحانه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وامر بذلك عباده فيجب على الانسان ان يؤدب نفسه قبل ان يأدب لسانه وان يهذب أخلاقه قبل ان يهذب ألفاظه (قال) أبو بكر بن شيبة قيل للعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا اسن منه (وقال بعضهم) الاديب من اعتصم بعز الادب من ذلة الجهل ولم يتورط في هفوة وكان ادبه زلفة له في دنياه واخراه (وقال عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز) قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت رجلاً أكمل أدبا ولا أجمل عشرة من أبيك وذلك انى سمرت معه ليلة فبينما نحن نتحدث اذ غشى المصباح وقد نام الغلام فقلت له يا أمير المؤمنين قد غشى المصباح افنوقظ الغلام ليصلح المصباح فقال لا تفعل فقلت أفتأذن لى ان اصلحه فقال لا انه ليس من المروءة ان يستخدم الانسان ضيفه ثم قام هو بنفسه وحط رداءه عن منكبيه واتى الى المصباح فأصلحه وجعل فيه الزيت واشخص الفتيل ثم رجع واخذ رداءه وجلس ثم قال قمت وانا عمر بن عبد العزيز وجلست وانا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (ووصف) الشعبى ادب عبد الملك بن مروان فقال والله ما اعرفه قط الا آخذا بثلاث تاركا الثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبايسر المؤنة اذا خولف تاركا المحاورة مع اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج (قال)

بعض الحكماء من لزم الادب أمن من العطب (وقال بزرجمهر) أفضل منازل الشرف لاهل العلم والادب (وقال) عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني لو عدا كم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه فقال الوليد أما أنا ففارس حرب وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان وقال ليزيد فأنت فقال يا أمير المؤمنين ما تركا غاية لمختار فقال عبد الملك فأين أنتم عن التجارة التي هي أصلكم ونسبكم قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية قال فعليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان أعوزتكم المعيشة عشتم (ومن) المنقول في تأليفنا كمال البغية والنيل الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب التعلم وهو الفرع ولا يتفرع شئ الا عن أصله ولا ينمى الاصل الا باتصال المادة (قال الشاعر)

ولم أر فرعا طاب الا بأصله * ولم أر بدء العلم الا تعلما

(وقال آخر)

من خانه نسب فليطلب الادبا * ففيه منبهة ان حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آدابا تعز بها * حتى تسود بها من علك الذهبا
ان الاديب ليحيي ذكر والده * كالغيث يحيي نداه حيثما انسكبا

(قال ابن أبي دؤاد) الادب المترادف خير من النسب المتلاحق (وكان) يقال لا زينة أحسن من زينة الادب ولا حسب لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا مروءة له ومن كان من أهل الادب من لا حسب له فقد يبلغ به أدبه مراتب ذوي الاحساب (قال الشاعر)

كن

كن ابن من شئت واكتسب * أدبا يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

(وتكلم) عند عبد الملك بن مروان رجل وذهب كل مذهب فأعجب عبد الملك فقال ابن من أنت فقال ابن نفسي التي توسلت بها اليك

(قال الشاعر في معناه)

أنا ابن نفسي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
ان انتمى منتم الى احد * فانني منتم الى أدبي

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) من قعد به أدبه لم يرفعه حسبه

(وقال الشاعر)

خير ما ورث الرجال بنيهم * أدب صالح وحسن ثناء
ذاك خير من الدنانير والاو * راق في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والدين والادب الصا * لح لا يفنيان حتى اللقاء

(قال) محمد بن الحنفية أفضل ما ورث الآباء الابناء الادب النافع والثناء الحسن والاخوان الصالحون (وكان) يقال في الجاهلية الجهلاء شخص بغير أدب كجسم بلا روح وكلفظ بغير معنى (وقيل) لارسطاطاليس ما أحسن الحيوان قال الانسان المزين بالادب وقال بعض العرب ان لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف العقل والادب وان لكل شئ عروة وعروة العز الادب (قال الشاعر)

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما * ففقده للحياة أليق به

(وقال الزهرى)

لم يركب العزم لم يركب الاوبا

(وقال أكثم بن صيفي) أفسد كل حسب من ليس له أدب (قال شهاب الدين القرافي) ومن نفاسة الادب وكثرة جدواه ان قليله خير من كثير العمل ولذلك هلك ابليس لعنه الله وضاع أكثر عمله بقلة أدبه نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة (وقالوا) حسب الرجل مروءته وحسن فعله فاذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الاداب صلح بصلاحه وتأدب بأدبه جميع أهله (قال الشاعر)

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد

يعظم في الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن) المنقول في تأليفنا المذكور مقالات الادباء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجات اليه وان كان مقترا ومن لم تكن استفادة الادب أحب اليه من الاهل والمال لم ينجب (دخل) أعرابي على أبي جعفر المنصور فتكلم فأحسن فأعجبه كلامه فقال له المنصور سل حاجتك فقال يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويزيد في سلطانك قال المنصور لابد في كل وقت يمكنني أن آمر لك بما تحب فقال والله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان سؤالك لي وان عطاءك لشرف فاطال الله للامة بقاءك وأحسن عنها جزاءك فأمر المنصور بحشو فمه جوهرا وكسوه في العطاء (ودخل) رجل يوما على الاسكندر رث الهيئة فتكلم فأحسن وسئل فأصاب الجواب فقال له الاسكندر لو اعطيت جميل حظه من الزينة كما

أعطيت

أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لاشبه بعضك بعضا فقال له أيها الملك أما الكلام فأقدر عليه فانى سالككه وأما الزينة فلا اقدر عليها لانى لا املكها فعلم انه محتاج فخلع عليه واحسن اليه وقربه (ودخل) بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاحتقره الرشيد فقال ما اقبح هذا الوجه فقال العالم يا امير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به الى الملوك هذا يوسف عليه السلام احسن الناس وجها قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولم يقل انى حسن الوجه جميل قال صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه (ومن) الواجب على من عرى من الادب وتخلى عن المعرفة والفهم ولم يتحل بالعلم ان يلزم الصمت ويأخذ نفسه به فان ذلك حظ كبير من الادب ونصيب وافر من التوفيق لانه يأمن من الغلط ويعتصم من دواعى السقط فالادب راس كل حكمة والصمت في جماع الحكم (قال الشاعر)

وفى الصمت ستر للعيى وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

(قال ابن عائشة) كان شاب حسن الوجه يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب به الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له تكلم يا ابن اخى فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرافة هذا المسجد أكان يضره شئ فقال الاحنف ليتنا تركناك مستورا (قيل) لبزرجمهر أى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قيل فان لم يكن قال فاخوان يسترون عليه قيل فان لم يكونوا قال فمال يتحبب به الى الناس قيل فان لم يكن مال قال فادب يتحلى به قيل فان لم يكن قال فصمت يسلم به قيل فان لم يكن قال فموت يريح منه العباد والبلاد (قال يحيى بن خالد) ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى

يتكلم فان كان فصيحا عظم شأنه في صدري وان كان مقصرا سقط من عيني (قال الشاعر) .

لسان المرء ينبئ عن حجاه * وعي المرء يستره السكوت

(و) كان يقال الجمال في اللسان والمرء مخبوء تحت لسانه (واعلم) ان على الجوارح أدبا فالبصر يتطرب به لاخوانه نظر المودة والسمع أن يسمع منهم منشئه لحديثهم واللسان يكلمهم بما يحبون بمقدار فهمهم وعلمهم واليدان تكونان مبسوطتين لهم بالبر والمعذرة والرجلان على حد التبع ولا يتقدمهم ولا يقعد الا بقعودهم الى غير ذلك من الادب والآداب مع اختلافها تنتقل الاحوال وتغير العادات لا يقدر على حصرها وانما يعرف الانسان ما يلقه وسمعه من آداب أهل زمانه (قال ابن مسعود) ان كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه وان أدب الله هو القرآن ولولا ما قد جبلت عليه النفوس من ارتياحها الى أنواع مختلف وارتياحها بل واستروحها الى فنون تستطرف لكان كتاب الله كافيا وذكر غيره مستحسنا

(الفصل الثاني في المروءة)

(اعلم) ان المروءة دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق (و) هي مراعاة الاحوال التي يكون الانسان على أفضلها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته (وقال) عليه السلام لا دين الا بمروءة (وقال) عليه السلام المروءة في الاسلام استحياء المؤمن من الله أولا ثم من نفسه آخرا (قال ابن سلام) حد المروءة رعي مساعي البر ورفع دواعي الضر والطهارة من

جميع

جميع الادناس والقاص من عوارض الالتماس حتى لا يتعلق بحاملها لوم ولا يلحق به ذم ومامن شئ يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث على شرف الممات والمحيا الاوهو داخل تحت المروءة (قيل) لبعض الحكماء ما المروءة قال طهارة البدن والفعل الحسن (وقال بعضهم) من سلك المروءة سبيلا أصاب الى كل خير دليلا (وسئل بعضهم) أى الخلال أجمع للخير وأبعد من الشر وأحمد للعقبى فقال الجنوح الى التقوى والتحيز الى فئة المروءة (وقال بعض العلماء) اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الاخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين وتحل أرفع المنزلتين (وقال بعضهم) اذا طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهم مروءة (قال الشاعر)

كمال المروءة صدق الحديث * وستر القبيح عن الشامتينا

(قيل) للاحنف بن قيس ما المروءة قال صدق اللسان ومواساة الاخوان (وعن ابن عباس رضى الله عنه) قال رفع رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جرم اقترفه فاراد معاقبته فاخبر ان له مروءة فقال استوهبوه من صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن عقوبة ذى المروءة مالم تبلغ حدا واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وأسباب المروءة انما هى مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة اذا اجتمعا ولم يتفرقا (قال بعض الحكماء) المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الهمم العلية وضعفت عنها الطباع الدنية فلم تطق حمل أشرافها السنية (وقال) غيره لا يدرك المروءة الا من حوى خصالها وجمع خلالها (و) فى ذلك يقول الشاعر

ان المروءة ليس يدركها امرؤ * ورث المكارم من أب فاضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنا * ونهته عن سبل العلى فاطاعها
فاذا أصاب من المكارم خلة * يبنى الكريم بها المكارم باعها

(قال ابن عائشة القرشى) لولا ان المروءة صعب محلها لما ترك اللئام للكرام منها بيتة ليلة (و) للمروءة وجوه وآداب لا يحصرها عدد ولا حساب وقلما اجتمعت شروطها قط فى انسان ولا اكتملت وجوهها فى بشر فان كان ففى الانبياء صلوات الله عليهم دون سائرهم (و) أما الناس فيها فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى عليه من خلالها (قال بعض الحكماء) لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعداء قال الشاعر

من فارق الصبر والمروءة * أمكن من نفسه عدوه

(قيل) لعبد الملك بن مروان كان مصعب بن الزبير يشرب الطلا قال لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شربه قال الشاعر

أعف عن الامر القبيح تكرما * وان لم أكن حبرا ولا متخشعا
وأمنع نفسي ما تلذ وتشتهى * اذا أنا لو ما خفت عينا ومقرعا
ولو خلت ان الماء يوما يشيننى * لمت ولم أجرع من الماء مجرعا

(قيل) لسفيان بن عيينة قد استنبطت من القرآن كل شئ فأين المروءة فيه فقال فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الاخلاق فجمع فى قوله خذ العفو صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل فى قوله وأمر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله فى الحلال والحرم

والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار ودخل في قوله وأعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالحلم والاعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والاغبياء وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة (وقال الله) عز وجل حكاية عن قوم قارون وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض وفيها دين المروءة وحقيقتها (وقال بهرام بن بهرام) المروءة اسم جامع للمحاسن كلها (وقال) أنوشروان المروءة أن لا تعمل عملا في السر تستحي منه في العلانية (وكان) يحيى بن خالد يقول المروءة سعة المنزل وكثرة الخدم ووطاءة الفرش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية والافضال على الاخوان (وكان) الحسن بن سهل يقول المروءة والشرف في البشر ولا يصلح للصدر الا واسع الصدر (وكان) الفضل البلعمي يقول المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوقي من سخط الخالق وذم المخلوقين (وكان) عبد الله بن أحمد بن يوسف يقول المروءة الكبرى اطعام الطعام ومجالسة الكرام (وقال المهلب) المروءة عشرة اجزاء تسعة منها في المائدة وجزء منها في سائر الاشياء (وقال) يحيى اذا أردت ان تنظر مروءة المرء فانظر الى مائدته فان كانت حسنة فاحكم له بالشرف وان رأيت تقصيرا فما وراءها خير (وقال أبو منصور الثعالبي) لا مروءة لمن لا يجتمع الاخوان على خوانه ولا تقع الاجفان على جفانه (وقال) بعضهم المروءة ادامة الاهداء وترك الاستهداء (قال) أبو منصور الهداية عمارة المروءة وهي سنة الرسول ورسم الملوك واستمالة القلوب

ومفاتيح المودة والطف الاكبر والبر الاعظم (وكان) يقال ما أرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا دفعت المغارم ولا توقى المحذور ولا استعمل المهجور بمثل الهدية قال الشاعر

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد فى قلوبهم الوصالا
وتزرع فى الضمير هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جمالا

والطيب لسان المروءة (قال) محمد بن عبد الله العتبى فى الطيب أربع خصال سنة ومروءة ولذة وقوة (قال المبرد فى كتاب الكامل) ثلاثة تحكم لهم بالشرف والمروءة قبل أن تعرفهم رجل شممت منه طيبا ورجل تربيته فى بلاد العجم وهو يعرب فى كلامه ورجل راكب فرسا جوادا (قال بعضهم)

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخرة

ودار الرجل عشه وفيها عيشه وهى مقر نفسه ومأوى أهله ومحرز ماله وموضع أنسه ومجمع مروءته (قال أبو الحسن القزوينى) من المروءة أن يقعد الرجل فى باب داره وينظر فى دفتر (قالوا) واذا اجتمع فى الدار الحمام والقصر والبستان وخزانة الكتب فقد اجتمع فيها المروءة (قال) بعض السلف المروءة اصلاح المال وحسن التدبير وتعاهد الصنيعة والافضال على الاخوان (وقال) أبو منصور المروءة ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (قال) مسلمة بن عبد الملك ما أعان على مروءة المرء كالمرأة الصالحة قال الشاعر

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * مدبرة ضاعت مروءة داره

(وقال)

(وقال بعض الحكماء) المروءة أن لا تبخل ولا تسب ولا تسن (وسئل) مسعر بن كدام عن المروءة فقال التفقه في الدين ولزوم المسجد الى أن تطلع الشمس (وسئل) عبد الله الفارسي عنها فقال هي التألف والتظرف والتنظف وترك التكلف (وأنشد أبو بكر الاسماعيلي)

واذا جلست وكان مثلك قائما * فمن المروءة أن تقوم وان أبى

واذا اتكأت وكان مثلك جالسا * فمن المروءة أن تزيل المتكا

واذا ركبت وكان مثلك ماشيا * فمن المروءة ان مشيت كما مشى

(قال الامام أبو الحسن الماوردي) الفرق بين العقل والمروءة ان العقل يأمر بالانفع والمروءة تأمر بالاجمل ولا ينقاد للمروءة الا من سهلت عليه المشاق رغبة في الحمد ولذا سيد القوم أشقاهم (قال أبو الطيب)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

(وقال أيضا)

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

والداعي الى استسهال المشاق علو الهمة وشرف النفس فعلو الهمة يبعث على التقدم وبشرف النفس يكون قبول التأديب والتهذيب وبه تعرف النفس قدرها وشروط المروءة وحقوقها الاتكاد تحصى لانتشارها وخفاء أكثرها ولكن الظاهر منها ينحصر في قسمين شروط مروءة المرء في نفسه وهي العفة والنزاهة والصيانة وشروط مروءة المرء في غيره وهي المعاونة والمياسرة والافضال

(العفة)

وهي اماعن المحارم واما عن المآثم (فالعفة) عن المحارم ضبط

الفرج وكف اللسان (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقى والذبذب الفرج واللقلق اللسان والقبقب البطن (وقال) عليه السلام أحب العفاف الى الله عفاف البطن والفرج (والعفة) من المآثم كالكف عن الظلم والخيانة والمكر ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله والباعث على الظلم الجرأة والقسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح ولم ينو ظلم أحد غفر له ما اجترم (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) اتق دعوة المظلوم فانه يسأل حقه وان الله لا يمنع ذا حق حقه والخيانة مما تعجل عقوبتها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقال خالد الربعي قرأت في بعض الكتب ان مما تعجل عقوبته الامانة تخان والاحسان يكفر والرحم تقطع والبغي على الناس

(النزاهة)

وهي اماعن المطامع الدنية أو عن مواقف الريبة (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع (وفي المعنى قال الشاعر)

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه * فانما هو بين الكاف والنون

والباعث على الطمع الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما أوتي ولا يستكف عما منع وحسم الطمع باليأس و لقناعة ومواقف الريبة التردد بين منزلتي حمد وذم والوقوف بين حالتي سلامة وسقم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) دع ما يريبك الى ما لا يريبك والمانع مما يريب الحياء والحذر

والحذر وقد تنتفي الريبة بحسن الثقة وترتفع التهمة بطول الخبرة والصلاح (كما حكي) ان بعض الحواريين رأى عيسى عليه السلام وقد خرج من منزل ذات فجور فقال ياروح الله ما تصنع هنا قال الطبيب انما يداوي المرضى (ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم) مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجد يحادثها وكان معتكفا فمر بهما رجلان من الانصار فأسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله أيخفى الحنا فيك شك يا رسول الله فقال مه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى لحمه ودمه فخشيت أن يقذف في قلوبكما سوأ (وقال صلى الله عليه وسلم اذا لم يشن المرء الا بما عمل فقد سعد قال أبو بكر الصولي

حسنت ظني بأهل دهري * فحسن ظني بهم دهاني

لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف الا من الامان

(الصيانة)

وهي اما بالاقتصاد أو بالاستغناء عن الناس (أما) الاقتصاد فلان المحتاج مهتضم ولكن لابد مما يسد الخلة وشروطه ثلاثة أحدها أخذه من حله الثاني عدم ابتذال العرض فيه لان العرض لا يبتذل في كسبه الثالث حسن التدبير لان سوء التدبير فساد (وقيل) الكمال في ثلاث الفقه في الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير في المعيشة وما فضل من الكفاية مجلبة للشغب والتعب (وأما) الاستغناء عن الناس فلان تحمل منن الناس ذل والاسترسال في الاستعانة بهم تثقيل عليهم (قال بعضهم) من قبل صلتك فقد باعك مروءته واذل لك عزته وأنشد ثعلب

من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مبذول
وأخوك من وفرت ما في كيسه * فاذا استعنت به فأنت ثقيـل

ومن دعاه الى الاستعانة اضطرار ألم أو حادث هجم فلا لوم على مضطر (وقد) اقترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قضى فأحسن وقال من أعيا رزق الله حلالا فليستدن على الله ورسوله (قال البحترى)

ان لا يكن مال فضل عطيـة * يبلغ بها بغى الرضى بعض الرضى
أولا تكن هبـة فقرض يسرت * أسبابه وكواهب من اقرضا

وتذكر شر وطامروءة المروفى غيره

(المعاونة)

تكون بالجاه والمال والبدن (قال) رسول الله صلى الله عليـه وسلم الخلق كلهم عيال الله فأحب خلق الله اليه أحسنهم صنيعا لعياله (وقال) عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليـه فن لم يحتمل تلك المؤنة عرض للزوال تلك النعـمة وعلى المعاون التلقى بالبشر ومجانبة الامتنان وترك التعرض التقريع عما كان (قال الشاعر)

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل * اذا ما الشئ ولى فادبرا

(قال) عليه السلام أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم قال عدى بن زيد

كفى زاجر المرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتـدى

(وقال عليه السلام) خير من الخير معطيـه وشر من الشر فاعله والمعاونة واجبة للاهل والاخوان والجيران وتبرع لغيرهم

(المياسرة)

وهى العفو عن الهفوات والمسامحة فى الحقوق والواجبات فاما العفو عن الهفوات فشيمة أهل الفضل وعنوان ذوى العقل وقد قيل لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه وقيل لا نوشر وان هل من أحد لا عيب فيه قال من لا موت له (قال أبو العتاهية)

وشر الاخاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم
يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

والهفوات صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة لتعذر الاحتراس منها والكبائر منها ما يقع سهوا وهو هدر ومنها ما يقع عمدا فان كان جزاء فالاثمة على البادى (قال بعض الحكماء) من نالته اساءة تلك همته مساءتك وان كان لك كف عدوانا الشر لا يطفأ الا بالشر وان كان اطفاؤه بالخير أولى (قال جعفر بن محمد) كفاك من الله نصرا أن ترى عدوك يعصى الله (وقال البحترى)

فأقسم لا أجزيك بالشر مثله * كفى بالذى جازيتنى لك جازيا

وان كان لكف لئيم كان التغافل أولى وقيل شرف الكريم تغافله عن اللئيم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت عنهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيل يا رسول الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فاقتك (وقال) شر ما فى الكريم أن يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم أن يكف عنك شره (قال ابن بقية)

والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

وان كان تنكرا من صديق موبخ بالاغضاء (وقال) دواء المودة

كثرة التعاهد
(قال كشاجم)

أقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

ومن الناس من يرى متاركتهم تتنكر كالعضو يقطع اذ فسد لا ترغبنك فيمن يزهد فيك ذل و زهدك فيمن يرغب فيك صغر همة (قيل للمهلب) ابن أبي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت ومن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة وهو اما ملل أو زلل فالملل مودة صاحبه ظل غمام وحلم منام فيترك لله فسح على و مرجع والزلل ينبغي أن يؤول كما فعل خالد بن صفوان وقد مر به صديقان عرج أحدهما وطواه الآخر فقيل له في ذلك فقال عرج الواحد لفضيلته وطوانا الآخر لثقته فان لم يقبل الزلل تأويلا ووقع عليه ندم فالندم توبة ولا ذنب لتائب ولا يكاف التائب عذرا (وقال) عليه السلام اياكم والمعاذر فانها مفاجر (وقال علي رضي الله عنه) كفى بما يعتذر منه تهمة ومن عجل العذر قبل توبته قبل عذره فالعذر توبة
(قال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا
واحلم عن الناس اذ ما كنت مقتدرا * فالسيد الحر من يعفو اذا اقدرا

وتارك التوبة والاعتذار ان كف عن الاساءة فالكف احدى التوبتين والا ودع أحد العذرين وان استمر على اساءته فان أمكن استصلاحه

استصلح

استحكم والافا تمر الداء الذي ومن سل سيف البغي أغمد في رأسه (وأما) المسامحة في الحقوق الواجبات فلان الاستقصاء منفر وذلك اقت الطباع لمن شاحها وحب من سامحها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها (وقال) عليه السلام الا أدلكم على شئ يحبه الله ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال الغابن في الضعيف واشترى عمرو بن عبيد ازار الحسن البصري وكان بستة دراهم ونصف فأعطى التاجر سبعة دراهم فقال التاجر انما ثمنه ستة ونصف قال هو لرجل لا يقاسم أخاه درهما والمسامحة في الاموال اسقاط وتخفيف وانتظار وفي كلها حسن الثناء وجزيل الاجر (قال محمود)

المرء بعد الموت أحدوثة * يفنى وتبقى منه آثاره

فأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره

(الافضال)

وهو اصطناع واستكفاف (فاما) الاصطناع فهو ما أعطاه المرء جودا لشكور أو تألف به نبوة نفور ومن قلت صنائعه في الشاكرين وأعرض من تألف النافرين بقي محقورا وفردا مهجورا (قال عمر ابن عبد العزيز) رضي الله عنه ما طاوعني الناس على شئ أردتهم من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا

(قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي)

يبقى الثناء وتذهب الاموال * ولكل دهر دولة ورجال

ما نال محمدة الرجال وشكرهم * الا الجواد بماله المفضال

لا ترض من رجل حلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعال

(قال الاحنف) ما ادخرت الآباء للابناء ولا ابقت الموتى للاحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب (وأما) الاستكفاف فبكل ما كف به لسان حاسد واستدفع ضرر معاند (وقال عليه السلام) ما وقى المرء به عرضه فهو صدقة (وامتدح) الزهرى رجل فأعطاه قميصه فقيل له تعطى فى مثل هذا فقال ان من ابتغاء الخير تقاه الشر وشرط عطاء الاستكفاف اخفاؤه حتى لا يطمع فى مثله السفهاء وان يظهر المعطى لما يعطيه وجها يقرن الاعطاء به وليغتنم المرء غناه وليأخذ من دنياه لاخراه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك

(الفصل الثالث فى المال)

(اعلم) انه قد يحتاج الزيادة فى المال أهل التكرم والافضال فالمال على المروءة من أكبر العون وللحسب والجد من أعظم الصون وهو يستر العوار وعدمه يطفىء الانوار (قال بعض العرب) المروءة طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول وكلام معسول (وقال) أحيحة بن الجلاح

رزقت لباولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدبى * عما ينوه باسمى رقة الحال

فى لا مروءة لمقل قال بعض الحكماء شر الزمان اذا كنت السماحة عند من لا مال له وكان المال عند من لا سماحة له (وفى ذلك) يقول الشاعر

اذا كان من يعطى فقيرا وذو الغنى * بخيلا فمن ذا يستعار على الدهر

(قال

(قال بعضهم) المال والمروءة رضيعا لبان وشريكا عنان وعزيا حسان وفرسا رهان (رفع) الى المنصور كثرة نفقات محمد بن سليمان والى البصرة فوقع أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤنة قال بعضهم لا مروءة الا بالمال والعمال (و) قال عبد الله بن جعفر بن على بن أبي طالب

أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسي تطاوعني ببخل * ومالى ليس يبلغه فعالى
فلا والله ما أحببت مالا * لشئ قط الا للنوال
أفيد ويستفيد الناس مني * وما يبقى يصير الى الزوال

(قال بعض الحكماء) الجدة على المروءة منجدة (قال الشاعر)

فلو مد سروى بمال كثير * لجدت ولم ترني باخلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

(وقال ابن نباته)

مثل خلعت على الزمان رداءه * عون الدراهم آفة الاجواد

(وقال غيره)

احتل لنفسك أيها المحتال * فمن المروءة أن يرى لك مال
انى رأيت الموسرين أعزة * والمعسرين عليهم الاذلال

فمال الرجل مروءته وعمدته وعدته وجماله ومروءته (وعن) هشام ابن عروة عن أبيه ان سعد بن عبادة رضي الله عنه كان يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه (وكان رضي الله عنه) اذا انصرف من صلاة

يقول اللهم ارزقني مالا أستعين به على فعالي فانه لا أصلح الفعال الا بالمال (احتضر) داود الطائي فأعطى الحجام دينارا فقيل له هذا اسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) نعم العون على تقوى الله عز وجل هذا المال (وقال عليه السلام) نعم صاحب المسلم هذا المال لمن يأخذه بحقه و يجعله في سبيل الله تعالى (وقال عليه السلام) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (قال ابن سلام) ومن الحق الواجب على من ساعدته دنياه وأقبلت عليه وحشدت مسراتها اليه أن يتلقى ذلك بشكر الخالق و يقابله بجهد المحسن فيتمثل في عباده جميل صنعه اليه و ينشر فيهم جزيل انعامه عليه فيحسن العشرة و يجمل الصحبة و يقيل العثرة و يجبر الكسير و يغني الفقير و يعين الضعيف و ينصف الضيف و يأخذ بالعفو و يعرض عن السهو الى مايشبه ذلك و يتعلق به من أفعال البر التي تحسن ذكراه وتحصن عقباه وكما يلزمه أيضا ويتعين عليه اذا أعرضت الدنيا عنه مواهبها منه أن يتلقى صنيعها بالصبر الجميل والشكر الجزيل والرضى بالمقسوم والتسليم للمحتوم لما له في ذلك من الاجر المذخور والثواب الموفور فما زال الدين مصلحا لفساد الدنيا مهونا على المؤمن فيها جميع الاشياء وهو المنفرد بصلاح الآخرة المؤدي الى خيراتها الوافرة فما للعاقل عذر في التخلف عما يجمع له صلاح الدارين و يفوز منه بعلو المنزلتين (وقد قال بعض الحكماء) خير الدارين التقى والغنى وشر الدارين الفقر والعجز فأجمل في الطلب فلن يعدوك ما قدر لك (وكان) يقال الشكر

زينة الغنى والعفاف زينة الفقر (قال الشبلى) الغنى أفضل من الفقر لان الغنى من صفات الله تعالى والفقر من صفات المخلوقين وصفة الحق التى تجب له أفضل من صفات الخلق التى لا تجوز على الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الحسب المال وبه تبلغ الآمال (ويقال فى المثل) رب شرف عالى الذرى ألحقه عدم الثراء بالثرى (قال الشاعر)

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ملبس * هشت اليه وبصبصت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا خاطرا * هرت عليه وكشرت أنيابها

(وقال الآخر)

المال يرفع ما لا يرفع الحسب * والود يعطف ما لا يعطف النسب
والحلم آفته الجهل المضر به * والعقل آفته الاعجاب والغضب

(ويروى) ان لقمان الحكيم قال لابنه يا بنى استعن بالكسب الحلال على الفقر فانه ما افتقر أحد الا أصابته ثلاث خلال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به (قال قيس بن عاصم) لبنيه يا بنى عليكم باصطناع المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم (قال الشاعر)

أرى الغنى الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس ما دام ذا غنى * فان زال عنه المال يوما تفرقوا

(وقال آخر)

احرص على الدرهم والعين * تنج من العيلة والدين
فانما العين بانسانها * وانما الانسان بالعين

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروته خلقه (وقال) حكيم لابنه أطلب المال فانه عز فى قلبك وذل فى قلب غيرك (قال ابن عباس رضى الله عنه) الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وقالت الحكماء) يجمع المال ليصان به العرض وتحيى به المروءة وتوصل به الرحم (قال الثورى) المال صلاح المؤمن فى هذا الزمان (وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه) يا حبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به الى ربى (وقال معاوية) ان الشرف والسود دليفنة لان مع الغنى كما ينتقر الظل (قال بعضهم) الغنى حسب من لا حسب له (وقال) ارسطاطاليس المال آلة البقاء للنفس الحيوانية فهو جزء منها ولا بقاء للنفس بفساد ذلك الجزء (قال الشاعر)

يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ليث فصيح ثعلبا
وأول من يجفو الفقير لفقره * بنوه وان يرضوه فى فقره أبا
كأن فقير القوم فى الناس مذنب * وان لم يكن من قبل ذلك أذنبا

(وقال آخر)

والمرء يحقر ان قلت دراهمه * وليس ينفعه أن كان ذا حسب

(ومن) أقوال الحكماء المال يستر القبائح والفقر يحجب المحاسن الا من رفض الدنيا اختيارا أو تركها تهاونا بها واستصغارا (وقالوا) المال يوفر الدنى والفقر يذل السنى ويخرس الفصيح اللسان ويسلب الحسن من الوجوه الحسان (واعلم) أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين والمروءة ومتألف للاخوان وان من فقد المال

قلت

قلت الرغبة فيه والهيبة له ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استهان به من
لا يعرفه فاجهد جهدك كله ان تكون القلوب معلقة بك برغبة أو رهبة في
دين أو دنيا ولا تجمع بك الرغبة في الازدياد من المال الى الطلب المحظور
عليك فان قليل ما خبث من المال يمحق كثير ما طاب منه (قال الشاعر)

اذا اكتسب المال الفتى من وجوهه * وأحسن تدبيرا له حين يجمع
وميز في انفاقه بين مصلح * معيشته فيما يضر وينفع
وأرضى به أهل الحقوق ولم يضع * به الذخر زاد التي هي أنفع
فذاك الفتى لا جامع المال ذاخرا * لأولاده وحيث حلوا أوضعوا

وصاحب الدنيا يطلب ثلاثا لا يدركها الا بأربعة فأما الثلاثة التي يطلب
فالسعة في المعيشة والمنزلة في الناس والمنزلة في الآخرة وأما الاربعة
التي يدرك بها الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجوهه ثم حسن القيام
عليه ثم التثمير له ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان
و يعود في الآخرة نفعه فان أضاع شيأ من هذه الاربعة لم يدرك شيأ من
الثلاثة وان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان كان ذا مال واكتساب
ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى و يبقى بلا مال وان هو أنفقه ولم
يثمره لم تنفعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذى انما يؤخذ
على مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده وان هو أصلح واكتسب
وثمر ثم لم ينفق المال في أبوابه كان بمنزلة الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك له
من ان يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه كحابس الماء الذى تنصب فيه
المياه ان لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه نصل وسال من نواحيه فيذهب
ضياعا (قال الله عز وجل) لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك

مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (وقال الثوري) من كان في يده مال فليصلحه فانه في زمان ان احتاج اليه أول ما يبذل فيه دينه (وقال بعض الحكماء) آفة المال سوء التدبير وآفة الكامل من الناس العدم (وقال) ارسطاطاليس الغنى في الغربة وطن والفقر في الاهل غربة (وفي) كتاب الهند ما التبع والاعوان والاهل والاخوان والاصدقاء والحشم الامع المال وما يظهر المروءة الا المال ولا الرأي والقوة الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد أن يتناول أمرا قعد به العدم فيبقى مقصرا عما أراد كالماء الذي يبقى في الاودية من مطر الصيف فلا يمشي الى بحر ولا نهر ويبقى مكانه حتى تنشفه الارض ووجدت من لا مال له لا اخوان له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له لا شئ له لان الرجل اذا افتقر رفضه اخوانه وقطعه ذو ورحمه وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله الى التماس الرزق بما يغرر فيه بدينه ودنياه فلا شئ أشد من الفقر والشجرة النابتة على الطريق المأكولة من كل ناحية أمثل حالا من الفقير المحتاج الى ما في أيدي الناس والفقر داعية الى مقت الناس ومسلبة للعقل والمروءة ومذهب للعلم والادب وموضع للتهمة ومجمع البلايا ووجدت الفقير يسئ به الظن من كان مؤتمنا له وليس من خصلة هي للغني مدح وزين الا وهي للفقير ذم وشين فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا قيل مفسد وان كان حليما قيل ضعيف وان كان وقورا قيل بليد وان كان صموتا قيل عيي وان كان بليغا قيل مهذار فالموت أهون من الفقر الذي يضطر صاحبه الى المسئلة لا سيما مسئلة اللئام فان الكريم

لو كلف أن يدخل يده فى فم التنين و يخرج منه سما يبتلعه كان عليه أسهل وأخف من مسئلة البخيل الائيم (قال أكثم بن صيفى) كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل (وقال بعض الحكماء) من أبدى الى الناس فقره فليس له عندهم قدر ومن أراد أن يعلم هوانه عليهم فليسئلهم حاجته ومن استغنى عنهم عظموه ووقروه (سأل) رجل الحكيم اليونانى فقال ماالذى مايقربنى من الله ومن الناس فقال أما مايقربك من الله فسئلته وأما مايقربك من الناس فترك مسئلتهم (قال بعضهم) أشرف المال ماقوى كريما على سد خلة كريم (وقالوا) أفضل المال ماقضى به الحقوق (وكان) يقال شر مالك مالزمك اثم مكسبه وحرمت لذة انفاقه (قال بعضهم) الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر (وقال على رضى الله عنه) أفضل المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا (قال الشاعر)

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لايقال له ذهاب

(ومن) أمثال الحكماء خير الاموال ما استرق حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا (وفى) كتاب الهند لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة وجوه فى الصدقة ان أراد الآخرة وفى مصانعة السلطان ان أراد الذكر وفى النساء ان أراد نعيم العيش (وقالت الحكماء) من أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض (قيل) لابن أبى الزناد لم تحب الدراهم وهى تدنيك الى الدنيا فقال هى وان أدنتنى منها فقد صانتنى عنها (وقال بعض الحكماء) مابالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر من يطلب العلم من ذوى الاموال قال لمعرفة العلماء بمنافع المال وجهل ذوى

الاموال بمنافع العلم (قال الحاتمى) أشرد بيت قيل فى الحض على طلب الغنى قول كعب بن سعد الغنوى

اعص العواذل وارم الليل عن عرض * بذى شبيب يقاسى ليله خببا
حتى تمول مالا أو يقال فتى لاقى التى * تشعب الفتيان فانشعبا

(وفى) الامثال كاد المريض يكون صيدا وكاد الفقر يكون كفرا وكاد البخيل يكون كلبا (وفى) الحكم المال خير ما آل وقد يشرف الوضيع بالمال (قال الشاعر)

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للنذل
ولم أر عزا لامرئ كعشيرة * ولم أر ذلا مثل نأى عن الاهل

(وقال آخر)

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل من يلقى من الناس مذنب
وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

(وقال ابن حمناه التميمى)

الناس أتباع من دامت له النعم * والويل للمرء ان زلت به قدم
المال عز ومن قلت دراهمه * حى لكن مات الا انه صنم
مالى رأيت أخلائى كانهم * اثنان منقبض عنى ومحتشم
لما رأيت الذى يبدون قلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(وقال آخر)

ألم تعلمى ان الغنى يجمل الفتى * سنياوان الفقر بالمرء قد يزرى
فما رفع النفس الوضيعة كالغنى * ولا وضع النفس الرفيعة كالفقر

(وقال آخر)

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(قال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثلها فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثله فالفقر (وقال بعضهم) الحاجة الموت الاكبر (وقال) مجاهد الخير فى القران كله المال (وقال) السدى وابن زيد فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ان الحسنة فى الدنيا المال وفى الآخرة الجنة (وقال) الدراهم والدنانير خواتم الله فى الارض حيث قصدت بها قضيت حاجتك (قال الشاعر)

وقائلة ما العلم والحلم والحجا * وما الدين والدنيا فقلت الدراهم
تداوى جراح الفقر حتى تزيلها * فما هى فى التحقيق الا مراهم

(قالت الحكماء) الدراهم مواسم تسمى جدا وذما فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له وما كل من أعطى مالا رزق به جمالا ولا كل معدوم مذموم واتفق الناس على انما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم واختلفوا فى تفضيل ماسوى ذلك ففضل قوم الغنى لان الغنى قادر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب النباهة وفضل قوم الفقر لان الفقير تارك والغنى ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب السلامة وتوسط قوم لان خيار الامور أوساطها وخير المال التقوى وهى الفائدة العظمى والغاية القصوى والاقرب الى السلامة من خداع الدنيا قال الشاعر

يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

يقول المرء فاتنى وقتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

(لما) نزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية أمر النبى صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات

(الفصل الرابع فى التحبب)
(الى الناس ومداراتهم والمسالمة لهم)

(أجمعت الحكماء) وأهل الفضل على ان السيادة والمروءة وجمع خلال العشرة فى المسارعة الى المعونة وفى العفو مع القدرة وفى التودد الى الناس والتحبب لهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن البشر (وقال) عليه السلام أحب الناس الى الله عز وجل أكثرهم تحببا الى الناس (وقال) عليه السلام اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس (قال الشاعر)

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة فى الناس

(كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الى سعد ابن أبى وقاص ان الله عز وجل اذا احب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الناس واعلم انما لك عند الله مثل ما للناس عندك (وقالوا) مكتوب فى التوراة لتكن كلمتك لينة ووجهك بسيطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء (وفى) المثل الكلام الحسن مصايد القلوب والعبوس من طبع البوس (وقال) أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له فمثل بين يديه فقال ان الامر الذى صار اليك وفى

يديك

يديك فقد كان في يدي غيرك فأسواء حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله عن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله عز وجل موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر أعظم ما اوصيك به أن لا تتبغض الى أحد من خلق الله فرأس العقل بعد الايمان التحبب الى الناس كافة قال الشاعر

البشر يكسب أهله * صدق المودة والمحبه
والتيه يستدعي اصا * حبها المذمة والمسبه

(وقيل ان معاوية بن أبي سفيان) قيل له من أحب الناس اليك قال من كانت له عندي يد صالحة (و) قال اليزيدي النحوي أتيت الى الخليل بن أحمد فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فرحب بي ووسع لي فكرهت أن أضيق عليه فانقبضت عنه فأخذ بعضدي وقربني من نفسه وقال لي انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين أخذ هذا المعنى أحمد بن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا على اثنين

(وأقرب منه قول الآخر)

سم الخياط مع المحبوب ميدان * والخياط لفؤاد المحبوب بمنزلة
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

قال معاذ بن جبل اذا أحببت رجلا فابذل له مالك وأخلص له ودك ولذوي الفاقة رفدك والعامة بشرك ولعدوك عدلك وشح بدينك

وصرت فضلته على كل أحد (قال الشاعر)

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

وان أساء مسيء فليكن لك في * عروض زلته عفو وغفران

(قال أبو جعفر المنصور) ان أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل فالقهم ببشر حسن (وقالوا) ثلاثة لا يقوم للمرء الرشد الا فيهن مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب الى الناس (وقالوا) التودد الى الناس احدى الحسنيين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس (وقالت الحكماء) لا تكمل المروءة الا بثلاث قطع الرجاء عما في أيدي الناس والصبر على أذاهم وأن تحب لهم ما تحب لنفسك (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمرت بمداراة الناس كما أمرت أن أصلي على سبعة أعظم (وقالت الحكماء) من لم يحسن المداراة للناس نادبه المكروه (وقال بعضهم) مداراة الناس نصف العقل وقال العتابي المداراة سياسة لطيفة لا يستغني عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فمن كثرت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة (قال بعضهم) رأس المداراة ترك المراء (قال الشاعر)

فمن لم يدار الناس قل صديقه * ومن ذمهم كان الغني المذمما

ومن بين الاخوان لا يكرمونه * ومن يكرم الاخوان كان المكرما

وقال بعضهم ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح الماء الجاري (قال الشاعر)

ان ترمك الغربة في معشر * قد جبل الطبع على بغضهم

فدارهم

فدارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

(وقال آخر)

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

(وقال آخر)

دار من تخشى آذاه * والقه فى باب داره

انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره

و ينبغى مع مداراة العدوان يحترز منه ولا يوثق به وانما يدفع بالمداراة اظهار العداوة (قال بعض الحكماء) سالم صديقك ما استطعت وان كنت ذا قوة وقهر (قال الشاعر)

سالم الناس ما استطعت ودار * أخسر الناس أحمق لا يدارى

ضرك الناس ضربة لستجنى * لا يقوم الدخان الا لنار

(قالت الحكماء) المسالمة السلامة (وقالوا) سالم تسلم (قال الشاعر)

سالم جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مسالمة الورى

واذا أتاك من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

(وقال آخر)

من سالم الناس سالموه * وكان فى ذمة السلامه

(لما قدم) حاتم الاصم الى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به أخبرنى كيف الخلاص الى السلامة من الناس فقال له حاتم بثلاثة أشياء فقال له أحمد ماهى قال تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم وتقضى حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم فقال أحمد انها الصعبة

قال الله حاتم وليتك تسلم (قالت الحكماء) من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (قال الشاعر)

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا * فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(وفى المثل) استر عورة أخيك لما تعلم فيك (وقال الشاعر)

أحب معالى الاخلاق جهدى * وأكره أن أعيب وان أعابا
فمن عز الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(قال بعض الحكماء) استشعروا السلامة للناس وابسطوا الحسم الذين والقوهم بالبشاشة وعاشروهم بالتودد وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع وان كان ما يأتون به نزرا فان لكل امرئ عند نفسه قدرا فالقوهم بما يستنبطون به البكم ونحوا عقولكم بأدب كل زمان واجروا مع أهله على مناهجهم تقل مساويكم وتسلم لكم أعراضكم وضعوا عنكم مؤنة الخلاف والمباحة فى المنازعة فربما ورثت الشحناء ونقضت هرم المودة والاخاء فليكن المرء مقبلا على شأنه راضيا عن زمانه سلما لاهل دهره جاريا على عادة عصره ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه فان موافقة الناس رشاد ومخالفتهم ضلال وعناد (وفى المثل) ادمان الخلاف من أسباب التلف (عن ابن عباس رضى الله عنه) ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفعهم للناس وان من أحب الاعمال الى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تسد عنه جوعا ولان أمشى مع أخ لى فى حاجة أحب الى من ان اعتكف شهرين فى المسجد ومن كف

غضبه

غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ومن مشى مع أخ له فى حاجة حتى يثبتها ثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الاقدام وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وفى المثل) الاخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة فمن لقى الناس بالاحسان وعاملهم بالخلاق الحسان فهو الذى يخف عليهم جانبه وتحمد أنحاؤه ومذاهبه ولن يعدم منهم حسن الثناء ومن الله جزيل الجزاء انتهى (قال الشاعر)

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذى العرش تحرزه * والشكر من خلقه فى السر والعلن

(القسم الثالث فى طرف من الحكايات)
(والآداب الصادرة عن أولى الالباب والاحساب)

(اعلم) ان فى الحكايات والاخبار سلوة النفوس وآدابا نافعة للرئيس والمرؤس والقلوب ترتاح اليها من شجونها والآذان تصغى لاستماع طرفها وفنونها والوحيد يأنس بمطالعتها والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع تجم بها من مللها ويذهب عنها قلة نشاطها وكثرة كسلها والملوك يتحفون بها وينال الجاه والرفعة منهم بسببها (وقال عمر بن الخطاب) عليكم بطرائف الاخبار فانها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوة منهم (قال على رضى الله عنه) قيمة كل امرئ ما يحسن وقال بعض ملوك الهند لبنيه أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة الفقيه العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى (وقيل للمأمون)

ما الذ الاشياء قال التنزه فى عقول الناس يعنى قراءة أقوالهم قال محمد ابن بشير

قوم من جلساء لا أجاليسهم * ولا أخالطهم أسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم * ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا النا حكما تبقى منافعها * أخرى الليالى على الايام وانشعبوا
ان شئت من محكم الآثار يرفعها * الى النبي ثقات خيرة نجب
أو شئت من عرب علما بأولهم * فى الجاهلية تنبيني بها العرب
أو شئت من سيد الاملاك من عجم * تنبي وتخبر كيف الرأى والادب
حتى كانى قد شاهدت عصرهم * وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
فصرت فى البيت مسرورا تحدثنى * من علم ما غاب عنا فى الورى الكتب
فردا تخبر فى الموتى وتنطق لى * فليس لى فى أناس غيرهم أرب
ما مات قوم اذا أبقوا لنا أدبا * وعلم دين ولا فاتوا ولا ذهبوا

سأل الرشيد يوما الاصمعى عن أنساب بعض العرب فقال على الخبير بها سقطت يا أمير المؤمنين فقال له الفضل بن الربيع أسقط الله حسك أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا فكان الفضل على قلة علمه أعرف بما يستعمل فى مخاطبة الخلفاء من الاصمعى مع امامته وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر والبيت النادر وما يحكى من أهل العصور من الاخبار العجيبة وما وقع لهم من الالفاظ البليغة والمعانى الغريبة ففى ذلك العلم بالامور والعقل المكتسب والادب الصادر عن ذى المروءة والحسب لم تزل الحكايات والاخبار تذكر فى معرض الاعتبار وتورد موارد الاستبصار وهذا القسم لا تضبطه الفصول والابواب

ولا

ولا يستوفيه مصنف فى كتاب غيرانه يأتى بما يناسب تبويبه ويشاكل تفصيله وترتيبه وانى أذكر هنا من ذلك ما استحسنه فى فنه واستظرفه واستملحه فى نوعه واستطرفه فى فصلين اثنين بحول الله

(الفصل الاول فى الاخبار التى)
(تتعلق بذى الامرة والسياسة)

(قال المسعودى فى كتابه عيون المعارف) مما حفظ من كلام أزدشير عندما وضع التاج على رأسه ان قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد (نحمده) حمد من عرف فضل ما آتاه (ونشكره) شكر الدارى بما منحه وأعطاه ألا وانا ساعون فى اقامة منار العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد وزم أقطار المملكة ورد ما تخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل سنة محمودة وشر يعة مورودة وستعرون فى سير تنا ما تحمدونه وتثنا عليه وتصدق أقوالنا أفعالنا ان شاء الله تعالى (وكتب أزدشير بن بابك الى الملوك الكائنين بعده) الخراج عمود المملكة يكثر بنقش الرعية وحفظ الاطراف والبيضة فاختاروا العمل عليه أولى الطبيعة الحرة وذوى العقل والحنكة وكفوهم بسنى الارزاق ليحسموا أنفسهم عن الارتفاق فما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور (وجمع) أنوشروان يوما الحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجلسه دلونى على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسى وعامة رعيتى فتكلم كل واحد منهم بما حضره من الرأى وأنوشروان مطرق منفكر فى أقاو يلهم

وانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة قال له هات ما هن فقال أولاهن تقوى الله تعالى في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء في ما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال محاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسيء على اساءته والسادسة تعاهد أهل السجون بالعرض لهم فيستوثق من المسيء ويطلق البريء والسابعة تعاهد سبل الناس وأسواقهم واسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون في الثغور لعلم ما يتخوف فتؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بمن نوى الغش منهم فأمر انوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية (وحدث) الفضل بن سهل قال كانت رسل الملوك اذا جاءت بالهدايا تجعل اختلافها الي فكنت أسأل الرجل منهم عن سيرة ملوكهم وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال الملك بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا يطر جنده ولا تحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان في يديه قلت

فكيف

فكيف حكمه قال يرد الظلم و يردع الظالم و يعطى كل ذى حق حقه
قال رعيته اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور فى
القلوب فتغض له العيون قال فنظر الى رسول الحبشة وانا أصغى اليه واقبل
عليه فسأل ترجمانه ما الذى يقول الرومى فقال يذكر ملكهم و يصف
سيرته فتكلم مع الترجمان بشئ فقال لى الترجمان انه يقول ان ملكهم
ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو
عقوبة عند الاجرام قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم خسف عقوبته
فهم يتراأونه تراأى الهلال خيالا و يخافونه مخافة الموت نكالا وسعهم
عدله و ردعتهم سطوته اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان
راج وخائف فلا الراجى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت
فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار
انسانها كان رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد فحدثت المأمون
بهذين الحديثين فقال كم قيمتهما عندك قلت ألفا درهم قال يا فضل ان
قيمتهما عندى أكثر من الخلافة أما عرفت قول على بن أبى طالب رضى
الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن أتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن
أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين بمثل هذه الصفة قلت لا قال
فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار واجعل العذر مادة بينى و بينهما فى
الجائزة عن العود فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاهما ما فى الخاصة
والعامة دون ما يستحقانه (سئل رجل من بنى أمية) عاقل فقيل له
أخبرنا من أى شئ كان بدء زوال ملككم فقال سألت فاسمع واذا سمعت
فافهم انا تشاغلنا بلذتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا و وثقنا بوزراء

آثروا مرافقهم وأبرموا أمور السر وهاعنا وظالمت وصيتنا وفسدت نياتهم لنا وبجذبه تشتنا خلت بيوت أموالنا وقل جندنا فزالت هيبتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فظافروهم علينا وكان أكبر الاسباب في ذلك استتار الاخبار عنا (وقد قال بعض الحكماء) خير الولاة من عدل في رعيته فيما يخصه منهم وفيما يخصهم منه فأما الذي يخصه منهم فحسن النظر لنفسه فيما يجب له عليهم من التزام طاعته فلا يبلغ فيه من العنف عليهم منزلة تحمله على التقدم في أمره والبرم لولايته ولا يبلغ بهم من التراخي والاهمال منزلة تقودهم الى الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وأما الذي يخصهم منه فحسن النظر لهم والرفق بهم والجرى الى مصالحهم بحسن الذب عنهم ورفع الايدى المتعدية اليهم وأخذ بالحق فيما لهم وعليهم وانتصاف المظلوم من الظالم والمساواة في الحقائق بين القوى والضعيف والغنى والفقير حتى يعم عدله الكبير والصغير والقريب والبعيد كما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه في خطبته اعلموا انه لا أحدا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ولا أقوى من الضعيف حتى آخذ الحق له فمن الحق على من ملكه الله تعالى على بلاده وحكمه في عباده ان يكون لنفسه مالكا وللشهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم كارها وللعدل في الرضى والغضب مظهرا وللحق في السر والعلانية مؤثرا فاذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته وأشرب القلوب محبته فاشرق بنور عدله زمانه وكان الناس على أعدائه أعوانه (كتب أبرويز) لابنه يابنى ان كلمة منك تسفك دما وكلمة تحقن دما وأمرك نافذ وكلامك ظاهر فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك أن

يتغير

يتغير ومن حسدك أن يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلما

(وكتب بعض الصالحين الى بعض الولاة) مثلك أعزك الله من تواضع لعظمة الله وتقرب اليه بما يرضاه وقدم العدل في عباد الله فأغاث المستغيث وأجار المستجير وأمن الخائف وعاد على الراجي وآثر الحلم فاغتفر ذنوب الجاني طاعة لله مقتديا برسول الله مستشعرا أجل عزائم الصبر وأوضح معالم البر من أسماء الله سبحانه وصفة من صفاته لأنه جل ذكره يرى عصيان العاصين ويطلع على جناية الجانين ويشاهد جور الظالمين ويحصي ذنوب الخاطئين فلا يحتجب عنه عمل عامل ولا يغيب عنه شيء في عاجل ولا آجل وهو لا يعجل بالانتقام مع القدرة ولا يستفزه الغضب مع امهال القوة ولا تبعثه العجلة على انفاذ حكمه مع وضوح الحجة بل يؤثر الأناة والامهال ليكون له الفضل والمنة وحسبنا قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة الآية وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية الأخرى (قال الشاعر)

لن يدرك المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لأقوام
ويصفحوا عن كثير من اساءتهم * لا صفح ذل ولكن صفح احلام

(روي عن الرشيد) انه أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال يا أمير المؤمنين اني لا أحسن القضاء ولا انا فقيه فقال الرشيد فيك ثلاث خلال فيك شرف والشرف يمنع أهله من الدناءة وفيك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به فولي فما وجد فيه طعن وقال

بعضهم من أخلاق الوالى السعيد أن لا يعاقب أحدا وهو غضبان لان هيجان الغضب يسلم معها من التعدى والتجاوز عن حد العقوبة فاذا سكن غضبه ورجع الى طبعه أمر بعقوبته على الحد الذى سنته الشريعة ونطقت الملة فان لم يكن فى الشريعة ذكر عقوبة ذنبه فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها وأن يجعل الحكم عليه فيه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال (وقالت الحكماء) السياسة أن يخلط الوعد بالوعيد والعطاء بالمنع والحلم بالايقاع فان الناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب والاطماع والاخافة ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز فخير الخير ما كان ممزوجا وشر الشر ما كان صرفا واذا كان الناس انما يصلحون على الشدة واللين وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيرا وذلك المنع عطاء وذلك المكروه نفعا قال الله عز وجل ولكم فى القصاص حيوة يا أولى الالباب لعلكم تتقون فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (قال الحسن)

يا ابن أبى العباس أنت الذى * سماؤه بالجود مدرار

يرجوه يخشى حالتيك الورى * كأنك الجنة والنار

(وقال بعضهم) الرغبة والرهبة أصلان لكل تدبير وعليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت بذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأقام الوعد مع الوعيد والثواب مع العقاب والرجاء مع المخافة والعفو مع السطوة قال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

فكل

فكل عامل على ثقة مما وعده فتعلقت قلوب العباد بالرغبة والرهبة فاطرد التدبير واستقامت السياسة لموافقتهما ما في الفطرة ومن ظن أحدا من الخلق فوقه أو دونه يصلح بخلاف مادبرهما الله عليه خالف الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمة ربه ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحكم قال الله تعالى في محكم كتابه انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وتلا مطرف هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفوه وتجاوزه لقرت أعينهم ولو يعلمون قدر عذاب الله ونكاله ونقمه وبأسه ما رقأ لهم دمع ولا قرت أعينهم بشئ (قال الله سبحانه) أدعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين فوصف في هذه الآية منزلة القرب من البعد فذكر نفسه تبارك وتعالى بأقرب القرب ممن عبده وبأبعد البعد ممن استكبر عن عبادته (وكان أنوشروان) اذا ولى رجلا أمر الكاتب أن يضع في كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر فيوقع فيها بخطه سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالمخافة (قال الشاعر)

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل يصلح للنذل

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين انى موصيك قال أجل فأوصنى قال انظر فاقة الاحرار فاعمل في سدها وطغيان السفلة فاعمل في قمعها واستوحش من الكريم الجائع ومن

اللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع (كان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى عملك واعلم انك مصروف رأس سنتك وانك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك انا ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتنا من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك وان جمعت الجرمين علينا جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك (عزل) الاسكندر عاملا عن عمل نفيس وولاه عملا خسيسا فقدم عليه بعد حين فقال له كيف رأيت عملك قال له أيها الملك انه ليس بالعمل الكبير ينبل الرجل ولكن الرجل ينبل عمله به وان كان خسيسا بحسن السيرة وانصاف الرعية (وقال بعض الحكماء) أحسن جبلة الولاة اصابة السياسة ورأس اصابة السياسة العمل بطاعة الله وفتح بابين للرعية أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحنن والآخر غلظة ومباعدة وامساك ومنع (وكتب) عبد الملك الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه انى أيقظت رأيي وأنمت هواى فأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل امرئ من نفسى قسما فأعطيته حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى النطف المسئ والثواب الى المحسن البرئ ليخاف المريب صولة العقاب ويتمسك المحسن بحظه من الثواب ورغب أهل العفاف فى أداء الامانة ويجتنب أهل النطف والخيانة وأملت على ذلك من الله النجاة ومن خليفته المكافاة (وخطب)

سعيد بن شريك بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل (قال أبو وائل التغلبي) دعاني سليمان بن وهب وقال لي اني قد مت حسن الظن بك والثقة بأمانتك ووليتك قلادة في عنقي فصدق ظني فيك وحقق ثقتي بك ولا تفارق العدل في المخلوقين ظاهرا والعدل بينك وبين الخالق باطنا والله تعالى المستعان ثم دفع الي رقعة فيها توليتي على بعض الامور (وروى) ان المهدي ولى الربيع بن أبي الجهم فارس وقال له يا ربيع انشر الحق والزم القصد وارفق بالرعية واعلم ان أعز الناس من أنصف من نفسه وان أجورهم من ظلم الناس لغيره (وفي) كتاب الهند انما يسلم العاقل بالاخذ بالاناة ولا يزال صاحب العجلة يجتني منها ثمرة الندامة وضعف الرأي وليس أحد احوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة انما هي بزوجها والمولود بأبويه والمتعلم بمؤدبه والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالتثبت فالحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم واتهام بعضهم على بعض فانهم يلتمسون هلاك بعضهم بعضا واظهار مساءة المسيئين واخفاء احسان المحسنين

فلم يستأثروا بكبيرجمع * وكانوا للصالح مؤثرينا
وكان الحزم فيما حاولوه * شعارهم فصاروا مكتفينا
ويسرهم لفعل الخير فيما * اليهم من أمور المسلمينا
وان يشأ الاله فساد قوم * أتاح لهم أكابر معتدينا

ذوى كبر وجهالة وجبن * واهمال لما يتوقعونا
فظلوا يشرهون ويجمعون * ولا يسوائق العواقب يفكرونا
وجاروا حيثما أمروا بعدل * كأن قد قيل كونوا جائرينا

(قال الحجاج) لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فاذا عززت بالله فاعف له فانك به تقدر واليه ترجع (وقال بعض الحكماء) وجدت المسىء الى عبد الله ولو أساء الى عبد لاخى لصفحت عنه اكراما له فكيف لا أصفح عن مسىء هو عبد الله

(قال الشاعر)

ارحم أخى عباد الله كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراع فى كل خلق وجه من خلقه

(قال الشعبى) دخلت على ابن هبيرة وقد أتى بقوم فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم أيها الامير ان الذى جعل السجن كان حكيما جعله قيدا للعجلة وبابا الى التثبت وسببا الى الاناءة وعليك بالتؤدة واياك والعجلة فأنت على عقوبتنا أقدر منك على ردها فأمر بحبسهم ثم عفا عنهم وأحسن اليهم (وفى سير العجم) آثر بالقيادة والسيادة والرياسة أهل الشرف فى المواضع وأهل القدم والنصيحة والشهرة والنجدة والخبرة بالحرب وحسن المواساة للاتباع وسخاء النفس لبذل المال

(قال محمد بن نصر الكاتب)

اذا ما الله شاء صلاح قوم * اتاح لهم أكابر مصلحينا
ذوى رأى ومعرفة وفهم * واعدادا لما قد يحذرونا

(ذكروا) ان عبد الملك بن مروان لما ولى ابنه الوليد دمشق عهد اليه

بما

بما أحب ثم قال له يابنى لا يلن صنائع قد رسخت فى المجد أصولها وأورقت فى العلى فروعها وانتشر عند الناس ذكرها فلا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه وأضاء لك ضياؤه فكفى من سوء رأى المرء وقبيح اثره وضعة نفسه ان يهدم ما قد شيد له من فضيلة البناء ورفيع الثناء اياك وأعراض الاحرار فان الحر لا يرضيه من عرضه عوض واجتنب العقوبة فى الابشار فانه وتر مطلوب وعار باق ولا يمنعك من ذى فضل سبقت اليه صنيعة غيرك ان تصطنعه فان صنيعة ذى الفضل شكر تستوجبه وكنز تدخره واستعمل اهل الفضل دون اهل الهون ولا تعزل الاعن عجز او خيانة وليكن جلساؤك خيار اسنانك فان الشباب شعبة من جنون وان نازعتك نفسك على اخذ شئ من المال فلا يكن خصمك الابيت المال وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفهم عنى وعنك واذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه فان الكتاب موضع عقل الرجل ورسوله موضع عقله وأستودعك الله العظيم (قال عمارة الفقيه) كنت اجالس عبد الملك ابن مروان كثيرا فى ظل الكعبة فبينا انا معه اذ قال لى يا عمارة ان تعش قليلا فسترى الاعناق مائلة الى والآمال نحوى سامية واذا كان ذلك فلا عليك ان تجعلنى لرجائك بابا ولأملأن ذريعة فوالله ان فعلت لاملأن يديك غبطة ولاكسونك نعمة سابغة قال ثم ان عبد الملك سار الى دمشق وصارت اليه الخلافة فخرجت اليه زائرا واستأذنت فأذن لى ودخلت فسلمت عليه فلما انقضى سلامى قال مرحبا بأخى ونادى احد غلمانه فقال بوئه دارا واحسن مهاده ونزهه وآثره على خاصتى قال ففعل واقمت عنده عشرين ليلة احضر غداءه وعشاءه فلما اردت الانصراف والاوبة

الى اهلى امرلى بعشرين الف دينار ومائتى الف درهم ومائة ناقة برقيقها
وكسوتها وقال لى أترانى يا عمارة ملأت يديك غبطة قال فقلت يا سبحان
الله يا أمير المؤمنين وانك ذاكر لذلك قال نعم والله لا خير فيمن يذكر
ما وعد به وينسى ما أوعد كم لهذا الامر يا عمارة قلت والله لكانه بالامس
وله دهر يا أمير المؤمنين قال فوالله ما كان ذلك من خبر سمعناه ولا حديث
كتبناه ولا أثر رويناه غير انى عقلت فى الحداثة أشياء رجوت أن يرفع
الله بها درجتى وينشر بها ذكرى قلت وما هى يا أمير المؤمنين قال نعم
كنت لا أشارى ولا أمارى ولا أهتك ستراً ستره الله دونى ولا أركب محرما
حظره الله على ولا حسدت ولا بغيت وكنت من قومى بواسطة القلادة
وكنت أكرم جليسى وان كان ذميا وكنت أرفع قدر الاديب وأكرم
ذا الثقة وأدارى السفيه وارحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى يا عمارة
خذ أهبة السفر وامض راشدا (وروى) ان مروان بن الحكم لما ولى
ابنه عبد العزيز مصر قال له حين ودعه انه يقال أرسل حكيما ولا توصه
فانظر الى أهل عملك فان حل لهم قبلك حق غدوة فلا تؤخره عنهم الى العشى
وان حل لهم عشية فلا تؤخره عنهم الى غد اعطهم حقوقهم عند محلها
فتستوجب بذلك الطاعة واياك يا بنى أن يظهر لرعيتك منك كذب فانهم
ان يروا عليك الكذب لم يصدقوك فى الحق ولا تحابين فى القضاء قريبا
ولا بعيدا واقض فى ذلك بالحق واستشر جلساءك وأهل العلم فان لم يستبن
لهم فاكتب الى يأتيك فيه رأيى ان شاء الله وان كان لك غضب على أحد
من رعيتك فلا تؤاخذه عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك
اياه حتى يسكن غضبك ثم ليكن منك ما كان اليه وأنت ساكن الغضب

منطق

منطق عالمعيرة فان أول من جعل الحبس كان حليماذا أناة ثم انظر الى أهل الحسب والدين والمروءة والعقول فليكونوا جلساءك وأهل دخلتك ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم فى غير استرسال منك ولا انقباض أقول هذا واستغفر الله عليك (كان أزدشير) يقول ماشئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما ان النفس تصلح على مخالطة الشريف الاديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويبينها من محمود شريف أخلاقها وكما ان الريح اذا مرت بالطيب جلبت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته آلمت النفوس واضرت بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البنيان وقد يجد ذو المعرفة من نفسه عند معاشرة السفل الوضيع شهرا فساد عقله دهرا (قال بعض الحكماء) اوحش الاشياء رأس صار ذنبا وذنب صار رأسا (وقال عمرو ابن العاص) لأن يموت مائة من الاشراف خير من أن يرتفع واحد من السفلة لان عرضه اذا ارتفع وضع الاشراف وحط الاقدار

(قال الشاعر)

من كان يرجو أن يرى * من ساقط أمر اسنيا
فلقد رجا أن يجتنى * من عوسج رطبا جنيا

(روى ان معاويه) ركب يوما متجولا فى بعض ازقة دمشق وهو على بغلة شقراء له ومعه المغيرة بن شعبة فبيناهما كذلك اذ عرض لهما شخص من بعيد فلما نظرا اليه عمدا نحوه فاذا هو معبد الجهينى فقال له معاويه

ما الذى أقدملنا يا سعيد أراغب أم راهب فقال كل لهيأتنى ولكن أتيت وارجع زاهدا فأثنى معاوية عن ابن بطنه فقال له المغيرة ماولدت قرشية قرشيا أضعف قلبا منك فقال يا مغيرة أيما أحب اليك احلم عنهم ويحقدون الى أم أسفه عليهم ويتفرقون عنى فقال المغيرة لا بل تحلم عنهم ويجتمعون اليك فضرب بيمعاوية بيده على صدر نفسه ثم قال ماولدت قرشية قرشيا مثل هذا القلب (وروى) انه لما ولى الحسن بن عمارة مظالم الكوفة أصبح الاعمش يقول ظالم ولى المظالم فبلغ الحسن بن عمارة قوله فوجه اليه بنفقة وثياب فلما أصبح الاعمش قال مثل هذا ولى علينا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعود على فقيرنا فقال له رجل من جلسائه يا أبا محمد ما هذا قولك بالامس قال حدثنى خيثمة عن عبد الله بن مسعود قال جبلت النفوس على حب من احسن اليها وبغض من أساء اليها (قال بعض الحكماء) من أراد ان تنقاد له القلوب بالطاعة ويسرع بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليتول ذلك فى نفسه فان قدر عليها وقف بها حيث يجب من المحامد فليثق بسرعة نفاذ أمره فى غيره وقبول ما يراه ويأمر به فان المهذب مطاع والعاجز عن صلاح نفسه عن غيره اعجز ولا يعقل بعقلته (سأل) رجل عبد الملك ابن مروان الخلوة فأقبل على أصحابه فقال اذا شئتم فقاموا فلما خلا المجلس وهيأ الرجل الكلام قال له عبد الملك على رسلك ايالك أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب أو تغتاب عندى أحدا قال فتأذن لى فى الانصراف قال نعم (قال عبد الله بن العباس) قال لى أبى ان هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدنيك ويستخليك دون الناس فاحفظ عنى ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن

عنده أحدا ولا يطلع منك على كذب (وفى كتاب العجم) ان بعض الملوك استشار وزراءه فقال أحدهم لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا الا خاليا به فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى العامة لان الواحد رهن بما أفشى اليه والثانى يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فاذا كان سر الرجل الى واحد كان أحرى أن لا يظهره رغبة منه ورهبة واذا كان عند اثنين دخلت على الملك شبهة واتسعت على الرجلين المعارض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له (قال الشاعر)

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوما * وان كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآت

(قال الوليد بن عتبة) أسر الى معاوية حديثا فأتيت أبى فقلت له ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا ولا أظنه كان يطوى عنك ما بسطه الى أفأخبرك به قال لا يا بنى ان من كتم سرا كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه فلا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا قال فقلت يا أبت ان هذا لا يدخل بين الرجل وابنه قال لا يا بنى ولكن أكره ان تتذلل لسانك بأحاديث السر فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بينى وبين أبى فقال ويحك يا وليد أعتقك أخى من الخطأ (قال الشاعر)

تحفظ من لسانك فهو عضو * اشد عليك من وقع اليمان
فلا والله ما فى الارض شئ * احق بطول سجن من لسان

(قال بعض الحكماء) يجب للوالى ان يعلم ان رأيه لا يتسع للامور كلها فليتفرغ لاهم منها وليعلم انه متى شغل نفسه بغير المهم أزرى بالمهم (وقالوا) يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور أحدها أن يستكفى الملك بالاحداث ومن لا خبرة له بالعواقب الثانى أن يقصد أهل مودته بالاذى الثالث أن يقتصر خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وتبعيده للهوى لا للرأى الخامس استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوى الحنكة (وقالوا) رأس أعمال الملك أربعة أشياء حفظ المملكة وتحصين الديانة وإثابة المحسن وانصاف المظلوم (قال بعض الحكماء) الدول تشب وتكهل وتخرف فاذا كان عائدها أكثر مما يستحقه الملك فهى شابة تنذر بطول البقاء وان كان عائدها بقدر ما يحتاج اليه فهى مكتهلة وان كان عائدها أقل مما يحتاج اليه فهى خرفة متولية (نقل ابن سعيد فى كتاب الزهرات) ان المقتدر من خلفاء بنى العباس خلا يوما ببطانته فقال انا كنا فى أول أمرنا لا ننكر من حالنا ولا من حال الجند ولا حال الرعية شيأ ثم صرنا ننكر حال الرعية ثم صرنا ننكر حال الرعية والجند ثم صرنا الآن ننكر الاحوال الثلاث فليتكلم كل بما عنده فأطرق الجماعة فقال ما لكم لا تتكلمون فقال على بن عيسى بن الجراح أيد الله أمير المؤمنين ان مثل هذا لا يقدر أحد من عبيدك أن يتكلم فيه الا خلوة قال فليقعد من عنده جواب عن ذلك فقاموا وقعد ابن عيسى ثم قال سدد الله الآراء العالية وأمدها بالمعينات الحافظة الكالية ان هذه الامور صلاحها واختلالها من قبل الوزراء وهم ولاة التدبير والنظر فى الجبايات فكان أول وزير نظر فى الاعمال أمينا فى أموالكم كافيا فى خاصتكم

في خاصتكم ما دلا في رعيتكم فلم يشكر مولانا من الاحوال الثلاث شيأ الا
ان أكفاءه حسدوه على مكانه من السلطان وثناء الناس فتوصلوا بكل
سبب الى عزله فكان ذلك وولى الثاني فلم يكن له بد من سد المكان الذى
أتي منه الاول فاشتغل بمداراة الخاصة وقبل الجاهات واحتاج الى
المصانعات فلم يكن له بد من الميل على الرعية وهى أول ما عنا اليه اليد
فضجت به فلم يكن لك بد من عزله وولى ثالث فاحتاج الى سد المكانين وقد
تشعبت الاحوال وتقاصت الاموال فلم يكن له بد من التغيير لما يحتاج
اليه السلطان فعم الاختلال الاحوال الثلاث فاستحسن المقتدر ما أتى به
وقال فما يصلح ما اختل و يقبل ما أدبر قال ان تولى من تقدم خوف الله
فتأمن معه الرعية ثم تخافك فتأمنه فيما تصيبه اليك وفيما تخرجه عنك
واذا خاف الله وخافك احتجت ان تسد له مكان الخوف من الناس بكثرة
الاستدعاء والعمل بما أشار به وأن لا تجعل بينك و بينه واسطة فبهذا
تتوفر الاموال وتصلح الاحوال وتبسط الايدى بالدعاء وتنكف
أكف الشفاعات والجاهات فقال وقد قلدتك ما وراء بابنا واشترطنا لك
ما شرطته لمن يتولى ذلك فيصلح الله على يديه فقبل يده وانصرف الى
مكان الوزارة فكان أول ما نطق به ان جعل الخرج أقل من الدخل
وولى للكفاية لا للعناية و بلغ من السياسة والامانة الى الغاية فصلحت
الاحوال وتكاثف ما تقاص من الظلال وكان على بن بسام قد هجاه
لما نفى الى مكة فلما ردت اليه الوزارة جلس يوما للظالم فمرت به فى جملة
القصص رقعة مكتوب فيها

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه * أشد شئ على أهونه

ما قسد رالله ليس يدفعه * وما سواه فليس يمكنه .

فقال على بن يحيى صدق هذا ابن بسام والله ما اله مني مكروه ابدا

(الفصل الثاني في الاخبار)

(التي تتعلق بذوي الهمم والرياسة)

(حدث) محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضي قال كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا أديبا من رؤساء البربر وكان أثيرا عند الامير عبد الله بن محمد صاحب الاندلس من بني أمية فدخل عليه يوما وكان عظيم اللحية فلما رآه مقبلا جعل الامير ينشد

معلوفة كأنها جوالق * نكداء لا بارك فيها الخالق

للقمل في حافاتها نقانق * فيها البعوض المتكام افق

وفي احتزام الصيف ظل رائق * ان الذى يحملها لمائق

ثم قال له اجلس يا بربري فجلس وقد غضب فقال له أيها الامير ان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم وأما اذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم فان حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه في الارض وقام من غير أن يسلم ونهض الى منزله قال فغضب الامير وأمر بعزله عن الوزارة ورفع دسته الذى كان يجلس عليه وبقي كذلك مدة ثم ان الامير عبد الله وجد على فقده لعفافه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه فقال للوزراء لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا وان أردت استرجاعه وقبر أمنا كان ذلك غضاضة علينا ولوددت أن يبدأنا بالرغبة فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد ابن غانم ان أذنت لي في المسير اليه استنهضته الى هذا فأذن له فنهض ابن غانم

الى

الى دار ابن وانسوس وكانت رتبة الوزارة بالاندلس أيام بني أمية الا يقوم الوزير الا الوزير مثله فانه كان يتلقاه ويتزله معه على مرتبته ولا يحجبه ولا الخلفة فابطأ الاذن على ابن غانم حيناثم أذن له فدخل عليه فوجده قاعدا فلم يتزحزح له ولا قام اليه فقال له ابن غانم ماهذا الكبر عهدى بك وأنت وزير السلطان وفى أجهة رضاه تتلقانى على قدم وتتزحزح لى من صدر مجلسك وأنت الآن فى موجدته بضد ذلك فقال له نعم لانى كنت حينئذ عبدا مثلك وانا اليوم حر قال فيئس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع الى الامير فأخبره فابتدأ الامير بالارسال اليه ورده الى أفضل مما كان عليه (لما) جاءت الخلافة هشام ابن عبد الملك سجد من معه غير الابرش الكلبى فقال له هشام مالك لم تسجد يا أبرش فقال مالى والسجود يا أمير المؤمنين بينا انت صاحبى اذ ذهبت فى السماء وتركتنى قال فان ذهبنا بك معنا او تفعل قال نعم قال فالآن طاب السجود فسجد (قال احمد بن اسماعيل بن على) كان ابى ومشايخ اهلى يجلسون مع ابى جعفر المنصور وكان احدا ثنا يجلسون دون ذلك وكان يتفقد من امورنا ما كان يتفقد من امور ولده حتى يستقرئ احدنا ويسئله ما بلغ من القرآن فاذا أدرك المدرك منا خيره بين ان يسمى به وبين ان يزوجه ويتعاهدنا حتى يبعث بفاكهة الشام وخراسان وكنا نصل بالغداة والعشى فنجلس فى مجلسه حتى يخرج الينا وانا صرنا فى مجلسه ذات يوم كعادتنا فجلسنا ننتظر خروجه اذ أفاض أبى وعمومتى فى استبطائه واستثقاره عليهم فأطنبوا فى ذلك وكان الموكل بالباب سليم الاسود يرفع الستر اذا جاء فحانت من سليم غفلة وجاء وهو يتقمع عليهم فذهم ماهم فيه ووثب سليم

فلم عليك فاصنع له طعاما ولا تنظر له فى كتاب حتى يأكل ودعنا نستعمل
عليه الحيلة فلما قدم أبو الاعور على عمرو قال له هذا كتاب أمير المؤمنين
قال عمرو لو جئتنا بغير كتاب لسددنا مقالتك قال انظر فى الكتاب قال
ما أنا ناظر فيه حتى تأكل قال فدعا عمرو بالطعام ووضع أبو الاعور
كتابه وعهده الى ناحية وأقبل على الطعام يأكل فجاء وردان فسرق
الكتاب والعهد فلما فرغ أبو الاعور من طعامه أقبل يطلب الكتاب
والعهد فلم يجدهما فقال أين كتابى وعهدى قال له عمرو مه يا أبا الاعور
انما جئتنا زائرا فحسن جائزتك فاضطرب من ذلك أبو الاعور ثم صار الى
ان قبل الجائزة وبلغ ذلك معاوية فضحك حتى استلقى وأقر عمرا على ما كان
عليه من ولاية مصر (حكى) بكر بن عبد الله المزنى ان رجلا كان يقف
على رأس بعض الملوك ويقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء
سيكفيكه مساويه وكان الملك يحسن اليه فحسده رجل من أصحابه على
مقامه وتمنى أن يكون مكانه فى مقامه فسعى عليه الى الملك أشد البغى
وسعى فى حتفه أبلغ السعى حتى تغير عليه الملك وكان لا يكتب بخط يده الا
فى صلة أو جائزة فكتب بخط يده الى بعض عماله لشدة حنقه اذا وصل
كتابى هذا فاذبح حامله واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى ودفعه
الى ذلك القائم على رأسه فأخذه وخرج به فلقيه الساعى عليه فقال له
ما هذا قال خط يد الملك الى عامله فلان فقال هبه لى بفضلك واحبنى
به فانى محتاج اليه وأنت غنى عنه فرق له ودفعه اليه فأخذه وذهب به
فرحا مسرورا فلما قرأه العامل قال أتعرف ما فى كتابك قال صلة الامير
المعلومة من خط يده قال بل امرنى فيه أن أذبحك واحشو جلدك تبنا
وأرسل

وأرسل به اليه فقال له اتق الله في دمي فان الكتاب لم يكن لي فراجع الملك في أمري قال ليس لكتاب الملك مراجعة الا انفاذ أمره ولا سيما اذ كان بخط يده وأمر بانفاذ ما في الكتاب قال وجاء ذلك الرجل على عادته وقام على رأس الملك وجعل يقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه فلما رآه الملك قال ما فعل الكتاب الذي كتبت لك بخط يدي قال له لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال له الملك انه ذكر لي عنك أمر كذا وسعى عليك بوجه كذا فأوضح الرجل براءته مما نسب اليه وبين حجته في تكذيب صاحبه عليه حتى تبين له أمره وظهر عنده صدقه وجيء بجلد الباغي محشوا تبنا فقال له الملك صدقت وصدقت موعظتك قم كما أنت تقوم وقل كما كنت تقول (قال الاصمعي) تطاول رجل من قريش على رجل من أخلاط الناس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل القرشي يقول أنا من معتلج البطاح وأنا وأنا فغاظ ذلك عمر فقال له يا هذا ان كان لك عقل فلك حسب وان كان لك خلق فلك شرف وان كان لك تقوى فلك كرم والا فلست خيرا من أحد وذلك الحمار خير منك ثم قال عمر ان أحبكم الينا قبل ان نراكم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحسنكم صمتا فاذا تكلمتم فأبينكم منطقا فاذا اختبرناكم فأحسنكم عملا احب الينا وشركم عملا ابغض الينا سرائركم بينكم وبين ربكم (قال اياس بن معاوية) خرجت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما الشيخ انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء ثمرته العداوة

فقلت للشيخ من أنت فقال أنا ابن تجربة الدهر فقلت ما أفادك الدهر قال العلم به قلت فاية أجد قال أن يبقى المرء أحدوثة حسنة بعده (روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على حمار فتلقاهما معاوية فى مركب له ذى تجمل وزى حتى أخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر وتركه يمشى فقال له عبد الرحمن أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فأقبل على معاوية فقال له أنت صاحب المركب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا فى بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى انتهيت فقال يا معاوية ما عاتبتك فى شئ يبلغنى عنك الا تركتنى منه فى أضيق من رواجب الضرس فان كان الذى قلت حقا فرأى أريب وان كان باطلا فخدعة أديب ولست آمرك به ولا أنهاك عنه فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين لحسن ما صدر هذا عما أوردته فيه فقال عمر لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه (حكى) انه شكا أهل بعض الاقطار الى المأمون واليا كان عليهم فقال لهم كذبتم فقد صح عندى عدله فيكم واحسانه اليكم فاستحيوا أن يردوا عليه قوله فقال له شيخ منهم يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خمسة أعوام فاجعله فى قطر غيره حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن فضحك المأمون واستحيى منهم وصرفه عنهم (وقف) شقيق بن سليك على الحجاج فقال أصلح الله الامير اعرنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى شرك وان سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة قال هات قال عصى

عاص من عرض العشيرة خلق على اسمى وهدم منزلى وحرمت عطائى فقال الحجاج أما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

فلرب مأخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك قال وما سمعته يقول قال قال الله العظيم يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فقال الحجاج على بيزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال له افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله وأمر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر (عاد) المعلى بن أيوب صديقا له فرأى علة وخلة فأسر الى وكيله فقال اذهب وجئنى بخمسمائة درهم مختومة فى قرطاس فذهب وجاء بها ووضعها بين يديه فدفعها الى العليل وقال له هذا دواؤك فاستعمله ونهض ففتحها العليل عن منية المتمنى وغيره ما كان من حاله فلما كان الاسبوع عاده ثانيا فرآه مقابلا نشيطا فقال كيف وجدت الدواء قال يا سيدى وجدته نافعا لعلتى وحالى قال أتريد زيادة قال نعم يا مولاى فقال للوكيل اذهب وجئنا بمثل ذلك الدواء فذهب وجاءه بخمسمائة أخرى فانشط العليل من عقال العلة وقال هذه اعادة حياة لا عيادة (وكان) لعمرو بن سعيد صديق ينقطع اليه فرآه يوما وثوبه الذى يلى بدنه من تحت جبته فيه أثر بلى فلما انصرف من عنده وجه اليه بتخت من ثياب وصرة من دنانير فأخذها الرجل وكتب اليه

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

(حكى) انه لما مرض الشافعي رضي الله عنه مرضه الذي مات منه قال لقومه اذا أنا مت فقولوا لفلان يغسلني فلما توفي و بلغه الخبر قال ائتوني بتذكرته فجيء بها اليه فوجد فيها على الشافعي سبعون ألف درهم دينا لفلان وفلان فكتبها الرجل على نفسه وقال هذا هو الغسل الذي أراده (مر الشافعي) بسوق الحدادين بمصر فسقط قوسه من يده فقام رجل من دكانه فأخذه ومسحه بكمه وناوله اياه فقال الشافعي رضي الله عنه لغلامه كم معك قال سبعة دنانير فقال له ادفعها اليه (خرج) سعيد بن العاصي يوما من عيادة مريض فرآه شاب من قريش يمشي وحده فماشاه حتى بلغ باب داره فلما انتهى الى باب الدار التفت اليه فقال له ألك حاجة قال مالي حاجة ولكني رأيتك تمشي وحدك فأحببت ان أصل جناحك فقال بارك الله فيك مكانك ثم دخل الى منزله فأخرج اليه بدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها اليه (مر يزيد) بن المهلب باعرابية عقب خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقربت عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة قال انما ثمانمائة دينار فقال ادفعها اليها فقال ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك قال فان كانت ترضى باليسير فانا لا نرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي ادفعها اليها (حكى) ان رجلا أتى علي بن سليمان فقال له بالذي أسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك اليه الا تفضلا منه عليك الا انصفتني من خصمي وأخذت لي الحق

منه

منه فانه ظلوم غشوم لا يستحي من كبير ولا يلتفت الى صغير فقال له أعلمني من هو فان لم تصفك والا أخذت الذي فيه عيناه من هو قال الفقر فاطرق الى الارض مليا ينكت الارض باصبعه ثم رفع رأسه فامر له بعشرة آلاف دينار فاخذها ومضى فلما سار خارجا منه قال ردوه فلما مثل بين يديه قال ياذا الرجل سألتك بالله متى أتاك خصمك متعنتا فالا أتيت الينا فيه متظلما (قدم) أعرابي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لي اليك حاجة يمنعني الحياء ان أذكرها لك فقال له يا اعرابي خطها في الارض فخط فيها اني فقير فقال علي لغلامه قنبرا اكسه حلتي فكساه الحلة فانشد الاعرابي يقول

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حلل الثنا حللا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * ولست تبغي بما قد نلته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي لغلامه أعطه مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال له قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال له علي مه يا قنبر لا تفعل أصحابي معي لست أنا اهم مع اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكر والمن أثني عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (قال اعرابي) لداود بن يزيد المهلبي اني لم أصن وجهي عن مسألتك فصن وجهك عن ردي وضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من الثقة بك فامر له بعشرة آلاف درهم وقال له هي أكبر من قدرك فقال له الاعرابي لئن جاوزت قدري لما بلغت املي فيك (سأل) رجل اسد

ابن عبد الله فاعتل عليه فقال له ما سألتك الا عن غير حاجة قال ولم قال
لانى رأيتك تصب من قلة ذه معروف فأردت ان أتعلق بحبل ودك
فأعطاه (وأتى) ابن السماك رجل فقال انى قد أتيتك فى حاجة واعلم
ان الطالب والمطلوب اليه عزيزان ان قضيت وذليلان ان لم تقض فاختر
لنفسك عز البذل على ذل المنع واختر لى عز النجح على ذل المنع فقضى
حاجته (وقال) محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم انى أتيتك فى حاجة رفعتها
الى الله قبلك فان يأذن الله فيها قضيتها وحمدناك وان لم يأذن الله فيها لم
تقضها وعذرناك (وقال) فيض بن اسحاق كنت عند الفضيل بن
عياض اذ دخل رجل فسأله حاجة وألح فى السؤال عليه فقلت لا تؤذ الشيخ
فقال لى الفضيل اسكت يا فيض أما علمت ان حوائج الناس اليكم نعمة
من الله عليكم فاحذروا ان تملوا النعم فتتحول نقما ألا تحمد ربك ان
جعلك موضعا تسئل ولم يجعلك موضعا تسئل (وفد) قوم من قريش
على معاوية فقالوا السلام عليك يا معاوية فبسط لهم وجهه وألان قوله
فطلبوا الموادعة فقال يا وجوه قريش مالكم تيممتم من مكان بعيد ثم لم
تجعلوا بين السلام والموادعة حاجة تطلبونها فقالوا والله يا أمير المؤمنين
ما تيناك الا مفاخرين بأحسابنا مباهين لك برجالنا متعززين عليك
بسيوفنا طالبين من مالك غير راضين باليسير من نوالك ولكنك بسطت
لنا الوجه وألنت المقال فاستغنينا بذلك عن طلب المال فقال اذن والله
لاجمعن لكم بين الحسنيين ولاصرفنكم بما يقدم من تخلف عنكم (كان)
القاضى أحمد بن أبى داود شخص يختص به ويسعى فى قضاء حوائجه
فمنعه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات من التردد اليه لمنافسة كانت بينه

وبين

وبين القاضي المذكور وشحناه فبلغ ذلك القاضي فجاء الى الوزير فقال له والله ما جئتك متكثرا بك من قلة ولا متعززا من ذلة ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فان لقيناك فله وان تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده (قال ابن سعيد) كان أحد المغاربة الادباء يتردد الى جمال الدين بن مطروح بالقاهرة وله حينئذ صيت وتمكن من الدولة الصالحية فمدحه بكثير وكتب له من النثر والنظم والامثال كثيرا فما ظهر له منه قبول على جميع ما كتب به اليه وشكا الى ذلك فقلت له اكتب له بقول ابن اللبانة

جمالك ألبس الدنيا جمالا * ومد على منا كبها ظلالا
أجل نظر السيادة في حديثي * فان الرزق حيث تجيل مالا

قال فوالله ما وقف عليهما حتى بسط وجهه ونظر في قصته وظهر منه جميع ما فات من القول والالتفات (كان محمد بن الحسن الشيباني) قد بلغ عند الرشيد مبلغا جليلا وكان امام الحنفية في زمانه واحتاج الامام الشافعي الى مشاركته فكتب له

لست أدري ماذا أقول ولكن * ان في من عريض جاهك نفعا
والفتى ان أراد نفع أخيه * فهو أدرى في أمره كيف يسعى

فاعتنى به حتى صدر الى مصر بطلبته (لما) مات عمرو بن مسعدة رفعت الى المأمون رقعة انه خلف ثمانين ألف ألف درهم فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك (لما) استشعر الاسكندر الوفاة كتب الى امه يقدم عندها مقدمات التصبر عن مصابه بمواعظ ذكرها في كتابه ثم

قال لها يا أمت اذا أنا مت فاصنعي طعاما حسنا كاملا وشرابا لذيذا حلوا واحضري له كافة الناس واعهدي اليهم أن لا يحضره من نابته من الدهر نائبة ولا من أصابته من الزمان مصيبة ليكون مأتم الاسكندر خلافا عن مأتم العامة ويكون لك في ذلك الذكر والصيت فلما مات امتثلت ذلك واختلفت في الطعام والشراب ودعت الناس اليه وعهدت اليهم بما أمرها فلم تر أحدا فقالت ما بال الناس مع تقدمنا اليهم قد تخلفوا عنا فقيل لها أمرت أن لا يحضره من أصابته مصيبة وكل الناس أصابتهم المصائب ونابتهم النوائب فقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك أردت والله أن تعزيني عنك التعزية الكاملة (قال شريح القاضي) انى لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها لاربعة وجوه أحمده اذ لم تكن أعظم مما هي وأحمده اذ رزقني الصبر عليها وأحمده اذ وفقني للاسترجاع على ما أرجو فيه الثواب وأحمده اذ لم يجعلها في ديني (قال الشاعر)

الحمد لله رب العالمين * كما يحبه الملك الاعلى ويختار
هو الحميد الذي جلت محامده * فليس يبلغ منها الدهر معشار
نثني عليه بما أولى ونشكره * كم نعمة منه والانسان كفار

(روى في بعض الاخبار) ان امرأة من الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم يرحكم الله قالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله سبحانه وبذل المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا قالت أفتريدون بذلك جزاء قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة

فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو ان يعبد الله تعالى حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء الا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم انما تريدون شيأ بشئ (دخل) المهدى الكعبة ومعه منصور الحجبى من حجبة البيت فقال ما حاجتك قال انى أستحى ان أسئل فى بيته غيره فلما خرج أمر له بعشرة آلاف دينار (قال) خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ولا تطلبوها الى غير أهلها ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء (وقال خالد بن صفوان) شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فما ترك منه شيأ فلما فرغ قال له عمرو آجرك الله على ما ذكرت من صواب وغفر الله ما ذكرت من خطأ فما حسدت أحدا حسدى عمرا على هاتين الكلمتين (وشتم) رجل الشعبى فقال له ان كنت صادقا يغفر الله لى وان كنت كاذبا يغفر الله لك (وشتم) رجل أبا ذر فقال له يا هذا لا تستغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من ان نطيع الله فيه (وروى) ان على بن الحسين رضى الله عنهما كان يوما خارجا من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت عليه العبيد والموالى فقال على بن الحسين مهلا على الرجل ثم أقبل عليه فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل ورجع الى نفسه قال فألقى عليه ثوبا كان عليه وأمر له بألف درهم قال فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد انك من أولاد الرسل (ومر المسيح بن مريم) بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده (وفى سير العجم) ان رجلا وشى

برجل الى الاسكندر فقال له أتحب ان أقبل منك عليه وتقبل منه عليك
قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر (قال الصلت بن سعيد)
كنا عند سفيان بن عيينة فنظر بنا وقال أليس من الشقاء ان أجالس
التابعين ثم أجالسكم جالست ضمرة بن سعيد الخدري وعبد الله بن دينار
وجابر بن عبد الله وعدد جماعة فقال له صبي في المجلس لم يكن في الجماعة
أصغر منه سنا أنصف يا أبا محمد فقال ثم قال والله لأشقى التابعين بمجالستهم
اياك بعد مجالستهم الصحابة أشد من شقائك بمجالستنا ايانا بعد التابعين
فلبس ابن عيينة ثم قال الصبي يوشك ان تكون لك حال وكان الصبي يحيى
ابن أكثم (وذكر) ان المصري بن القلمس قرأ على مؤدبه ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فقال له يا أستاذ ما الورد فقال له المؤدب لا أدرى
فقرأ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فقال له يا أستاذ
ما العهد فقال المؤدب لا أدرى فقطع المصري القراءة وقال اذا كنت
لا تدرى فلم غررت بالناس فضربه المؤدب فقال المصري يا أستاذ ألم يكفك
الجهل حتى أضفت اليه الظلم والاذى فاستحله المؤدب وتاب الى الله من
التأديب وأقبل على طلب العلم (أكب) رجل من بنى مرة على مالك بن
أسماء يحدثه في يوم صيف ويغمه ويثقل عليه ثم قال تدرى من قتلنا
منكم في الجاهلية قال لا ولكنى أعرف من قتلتم منا في الاسلام قال ومن
هم قال انا قتلتنى اليوم بطول حديثك وكثرة فضولك (قال الربيع)
حاجب المنصور لما استولت الخلافة لابي جعفر المنصور قال لي يا ربيع
ابعث الى جعفر بن محمد قال فقمت بين يديه فقلت أي بلية يريد أن يفعل
به وأوهمته انى أفعل ثم أتيته بعد ساعة فقال ألم أقل لك ابعث الى جعفر بن

محمد

محمد فوالله لتأتيني به ولا قتلته شر قتلة قال فذهبت اليه فقلت أبا
عبد الله أجب أمير المؤمنين فقام معي فلما دنونا من الباب قام فحرك
شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه السلام ووقف فلم يجلس ثم رفع رأسه اليه
فقال يا جعفر أنت الذي ألبت وكثرت وحدثني أبي عن أبيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب للغادر لواء يوم القيامة يعرف به قال
جعفر بن محمد حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش الا فليقم من كان أجره على
الله فلا يقوم من عباد الله الا المتفضلون فما زال يقول حتى سكن ما به
ولان له فقال اجلس أبا عبد الله ارتفع أبا عبد الله ثم دعا بمدهن غالية فجعل
يغلبه بيده والغالية تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين ثم قال انصرف أبا
عبد الله في حفظ الله وقال لي يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته وأضعفها
قال فخرجت فقلت يا أبا عبد الله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع وقد
دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه أشيء تأثره عن آبائك
الصالحين قال لا بل حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا حزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول هو دعاء الفرج
(اللهم) احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام
واحفظني بعزك الذي لا يضام واكلأني في الليل والنهار وارحمني
بقدرتك على أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها على قل لك بها
شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري وكم خطيئة ركبتها
فلم تفضحني فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند
بلائه صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يعاقبني يا ذا المعروف

الذى لا ينقضى أبدا و ياذا الا يادى التى لا تحصى عددا و ياذا الوجه الذى لا يبلى أبدا و ياذا النور الذى لا يطفأ سرمدا اسئلك ان تصلى على (محمد) وعلى آل (محمد) كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وان تكفينى شر كل ذى شر بك ادرأ فى نحره واعوذ بك من شره واستعينك عليه اللهم أعنى على دينى بدنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك وهب لى ما لا ينقصك يا الهى اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا واسئلك العافية من كل بلية واسئلك الشكر على العافية واسئلك دوام العافية واسئلك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم بك أستدفع مكره وما انا فيه واعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين (ويروى عن الشافعى) رضى الله عنه انه وجه اليه بعض الخلفاء أراه ابا جعفر المنصور فى الليل ليقتله وهو قد اشتد غضبا عليه وحنقا فلما وصل اليه الرسول قال أجب امير المؤمنين قال وما حاجته الى فى جوف الليل فقال لا اعرف لكنى امرت ان آتى بك فاستشعر الشمر وخرج مع الرسول فلما انتهى الى باب القصر استأذن الرسول فأمر أبو جعفر بادخاله فتوقف ساعة وحرك شفتيه ثم دخل فقام المنصور اليه واخذ بيده واجلسه وجعل يعتذر اليه من التوجيه وراءه فى مثل ذلك الوقت ثم عطف على الرسول وقال له لعلك روعته فقال له لا ثم أمر الشافعى بالانصراف وأمر له بمال كثير قال الرسول فعجبت مما رأيت وعلمت ان الذى نجاه ما حرك به شفتيه فتبعه الرسول وقال له بالذى استنقذك واجاب دعاءك الا ما علمتنى بالذى حركت به شفتيك حين أمرت بالدخول

حتى

حتى أنزلك على المقام الذى رأيت قال نعم وكرامة وأنا أهدى بذلك البيت (اللهم) انى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك و بركة جلالك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار ومن طوارق الانس والجان الا طارق يطرق بخير يا الله يارحمن (اللهم) أنت عياذى فبك أعوذ وانت ملاذى فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة اعوذ بجلال وجهك وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والاضراب عن شكرك انافى كنفك فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى واسفارى فاجعل ذكرك شعارى وثناءك دثارى لا اله الا انت تنزيها لاسمك وتكريما لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك واضرب على سرادقات حفظك وقنى سيئات عذابك وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين فانك على كل شئ قدير وأنت حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الرسل من الملائكة والنبيين وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (كان لمالك بن انس رضى الله عنه بنت تحفظ كتابه الموطأ) فكانت تقف خلف الباب فاذا قرئ على مالك وغلط القارئ تقرت الباب فيعلم غلطه وكان له ابن اسمه محمد يجئ وأبوه مالك يحدث وعلى يده باشق فيلتفت مالك الى الحاضرين فيقول أما ان الادب أدب الله هذا ابنى كما ترون وهذه ابنتى كما ترون (قال ابن سعيد فى كتابه الزهرات) نقلت من كتاب المشرق الموسوم بالعمائم بالكمائم أولى ما حفظ الرؤساء الكرام من الاشعار أشعار أمثالهم وأولى ما حفظ من ذلك اشعار أبى دلف العجلى لان اقواله فيها تطابق افعاله مع

حلاوة منزعه وعذوبة مشرعه وأولى ما حفظ من شعره فى ذلك قوله

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * وبادر بها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا البخل يبقيها اذا هى ولت

(قال بعض الشعراء)

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(وقال آخر)

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

(قال ابن سعيد) حكى لى الصاحب كمال الدين ابن العديم ان القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر مالم يبلغه أحد من نظرائه مرض بحلب قال فمشيت فى جماعة من الشبان المتدئين فى القراءة والتطهر الى عيادته فعندما دخلنا عليه قام لنا فحلفنا عليه ان لا يفعل فقال يا سبحان الله تتفكرون فى مرضى وتمنعون من اما كنتم الى منزلى ثم أبخل عليكم بقومة هذا والله غير طريق المروءة ثم قال يا أولادى لقد دخلت على كبير وانا فى سنكم فلم يتفضل بن فالى الآن ما أذكر ذلكم الا أمات ذكره وندمت على وصولى اليه ولا يتجنب المعائب الا أهل التجارب قال وكنت أتردد الى مجلس كمال الدين بن شمور وهو نائب السلطنة بالشام وكان يقوم لى كلما دخلت عليه فدخلت يوما فاذا به مضطجع فلم يقم وأخذ فيما كان يأخذ فيه فلما دخلت عليه فى اليوم الثانى قام ثم جلس ثم قام ثم جلس وقال هذه الاخيرة

قومة

قومه أمس كانت على دينا العذر تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره فتعجبت من فضله وقلت ما سار لهذا الرجل ما سار في الآفاق من باطل (قال يزيد بن أبي حبيب) خرجت الى الصيد فبينا أنا وما أدور على شاطئ النيل اذا أنا براهب في الماء وهو يغسل عباءته بالطين والماء فوقفت أنظر اليه فنظر الىّ وقال أظنك ممن يطلب الاحاديث قال قلت أجل فقال اصبر حتى أفرغ من شأني وأحدثك حديثا نجده عندنا فانتظرته حتى فرغ ثم جاء فجلس فقال يا هذا انا نجد في مثلنا ان الحق والباطل اصطحبا في سفر فمشيا الى الليل فلما نزلا قال الباطل للحق اذهب فأتنا بشئ نفطر عليه قال فذهب الحق فطلب فلم يجد شيأ من حله فرجع فقال له الباطل ما صنعت قال لم أجد شيأ من حله فقال الباطل اجلس حتى آتيك قال فذهب فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء بشئ فقال الحق كل فقال ما أراه من حله واحتبا كله فقال له الباطل بعثتك لتأتيني بشئ فلم تجد شيأ فلما ذهبت أنا وجئت لما نفطر عليه حرمته على فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال ان أهل الحق قد علموا انه خرج معي ولا بد لهم أن يطلبوني به فعمد الى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاءه أهل الحق فقالوا ما فعل الحق فقال لا علم لي به فقالوا معك خرج فقال نعم ولا أدري ما فعل فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذي أحرقه فيه الباطل فقالوا هذا رماد الحق وهذا موضع ناره حيث أحرقه الباطل فجمعوا رماده وصنعوا مدادا يكتبون به فهذا ما بقي من الحق فأما الحق بعينه فقد ذهب (ومن) المنقول في تأليفنا مقالات الادباء (دخل) رجل على مسلم بن قتيبة الباهلي

فكلمه فى حاجة ووضع نصل سيفه على أصبع سلم بن قتيبة وجعل يكلمه فى حاجته وقد أدمى أصبعه وسلم صابر فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف دعا سلم بمنديل فمسح الدم من أصبعه وغسله فقيل له الا نحيت رجلك أصلحك الله أو أمرته برفع سيفه عنها فقال خشيت ان أقطعه عن حاجته (حديث الاصمعى) قال سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجة فوعده بها ثم ان الحاجة تعذرت على أبي عمرو فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له يا أبا عمرو وعدتنى وعدا فلم تنجزه قال له أبو عمرو فمن أولى بالغم انا او أنت فقال له أنا فقال له عمرو بل انا فقال له الرجل وكيف ذلك أصلحك الله قال لانى وعدتك وعدا فأبت بفرح الوعد وأبت أنا بهم الانجاز وبت ليلتك فرحا وبت مفكرا مغموما ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة فلقيتنى مدلا ولقيتك محتشما فمن هنا صرت أولى بالغم منك (اجتمع) جماعة من الشعراء بباب أبى الغيث فلم يأذن لهم فكتبوا اليه

أيها ذا العزيز قد مسنا الضر * ودبت به الخطوب الينا
ولدينا بضاعة مزجاة * قل طلابها فبارت لدينا
فأزل ضرنا وأوف لنا الكيل * لعاشئت أو تصدق علينا

فأحسن اليهم وانصرفوا (روى) ان عكرمة بن ربعى الفياض ولى أصبهان فأنهب خراجها فى زوارة وقدم المدينة فتتبع اخوانه وأعطاهم عطايا لم يكن فيها أقل من عشرة آلاف درهم ثم سأل عن بشر بن غالب الذى تنسب اليه جبانة بشر بالكوفة فقيل له غلبه الدين حتى اختفى قال فأمهل حتى اذا أمسى حمل معه بدرة وعلى غلامه بدرة أخرى وتختا من ثياب أصبهان ثم سأل عن منزل بشر فدل عليه فدق الباب فقال

بشر

لامرأته انظرى من هذا وما حاجته وما يريد قال فخرجت اليه امرأته فقالت من أنت وما حاجتك وما تريد قال أريد بشرا قالت أوما علمت انه غائب منذ شهر قال فخاف لها بالطلاق والعتاق انه آمن وانه ليس له قبله شئ يكرهه قال فخرج بشر اليه فقال ما حاجتك قال هو هذا المال تقبض قال ومن أنت قال وما عليك أن لا تعرف اسمى فقال على ذلك قال فترضى ان توجزك قال نعم قال أنا جابر عثرات الكرام قال انك لاهل ان يقبل منك قال فلما كان بعد قليل ولى بشر بن مروان الكوفة وجعل على شرطته بشر بن غالب ودفع اليه عكرمة بن ربعى وقال له دق يديه حتى يرد ما كسر من خراج أصبهان قال فقطع عليه العذاب وهو لا يعرفه فقالت له امرأته أخبره بيدك عنده قال تأمرينى ان أتقاضى معروفى والله لا فعلت قالت فأخبرهم أنا قال ان فعلت فأنت طالق ثلاثا قالت فرأيت الطلاق أهون على من ان تتلف نفسه فدخلت على امرأة بشر فقالت تدرون من تعذبون قالت نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام قال فدعت بالويل قال فدخل عليها بشر فقالت تدرى من تعذب قال نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام الذى طرقنا ليلا بما طرق قال فدعا بثيابه وسيفه ثم مثل بين يدى بشر بن مروان وقال أصلحك الله هذا مقام العائذ قال وما ذاك قال ان الذى أخبرتك انه طرقنا ليلا بما طرقنا هو عكرمة قال فماذا تريد بما قال أريد ان تخلى سبيله قال فانا قد فعلنا قال وأخرى أصلحك الله قال وما هى قال ان تصيره مكانى معك قال فانا قد فعلنا قال فما شاء صاحبين مع بشر بن مروان رحمة الله على جميعهم (قدم) سعيد بن العاصي الكوفة عاملها لعثمان رضى الله عنه فكانت له موائد

فغشاها الاشراف والقراء فكان فيمن يغشى موائده رجل من القراء فقير فقالت له امرأته ويحك انه بلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود فاذكر له بعض ما نحن فيه فتحدث عنده ذات ليلة فلما انصرف الناس عنه ثبت الرجل فقال له سعيد انى قد أرى جلوسك وما جلست الا ولك حاجة فاذكرها رحمك الله فتعقد الرجل وتحسر فقال سعيد لغلمانه تنحوا يا غلمان ثم قال له رحمك الله انما هو أنت وأنا فاذكر حاجتك فتعقد ايضا وتحير فنفخ سعيد المصباح فأطفأه ثم قال له رحمك الله انك لست ترى وجهى فاذكر حاجتك قال أصلح الله الامير أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك قال له اذا أصبحت فالق فلانا وكيلى فلما أصبح لقى الوكيل فقال له ان الامير قد أمرنى بشئ فهل جئت بمن يحمل قال لا والله ما عندى من يحمل ورجع الى امرأته وجعل يعذلها ويلومها وقال قال لى وكيله جئت بمن يحمل وما هى الا قوصرة من تمر أو قفيز من بر ولو كانت دراهم أو دنانير أعطانيها بيده قالت ويحك ما كان من شئ فقوتنا به فمكث أياما ثم لقيه الوكيل فقال له ويحك أين تكون أخبرت الامير انه ليس عندك من يحمل فأمرنى ان أوجه معك من يحمل فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد منهم بدرة على عاتقه حتى أوردوها منزله فأطلق وكاء بدرة منها ووهب لهم منها دريهمات وقال انصرفوا قالوا الى اين ما حمل له مملوك قط هدية فرجع فى ملكه (امتدح) نصيب الشاعر عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال عبد الله بن جعفر ان كان أسود فان شعره أبيض وان ثناءه

لمروى

لمروى وقد استغنى بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى وما
لا يفنى ومطايا تنضى واعطانا مدحا يروى وثناء يبقى (دخل) ابن
السماك على محمد بن سليمان بن على فرآه معرضا عنه فقال مالى أرى
الامير كالعاتب على قال ذاك لشئ بلغنى عنك كرهته قال اذن والله لا أبالى
قال ولم قال لانه ان كان ذنبا غفرته وان كان باطلا لم تقبله (خطب)
أبو جعفر المنصور يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله
فقام اليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الذى ذكرتنا به يا أمير
المؤمنين فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية سمعا سمعا لمن ذكر بالله
وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه فتأخذنى العزة بالاثم لقد ضللت اذا
وما أنا من المهتدين وأما أنت أيها القائل فوالله ما الله أردت بها ولكن
ليقال قال فعوقب وصبر وأهون بها لو كانت وأنا أنذركم أيها الناس أختها
فان الموعظة علينا نزلت ومنا أنبتت ثم رجع الى موضعه من الخطبة
(حج) عتبة بن أبى سفيان سنة احدى وأربعين والناس قريب عهدهم
بالفتنة فصلى بمكة الجمعة ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا المقام الذى
يضاعف فيه للمحسن الاجر وعلى المسئ فيه الوزر ونحن على طريق
ما قصرنا فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى
أمنيته فاقبلوا العافية ما قبلناها منكم واياكم ولو فانها أتعبت من كان
قبلكم ولن تريح من بعدكم وانا أسأل الله ان يعين كلا على كل فصاح به
أعرابى أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد فقال يا أخاه فقال سمعت فقل
فقال تالله ان تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان
الاحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وان كان منا فما أولاكم بمكافأتنا

رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ويقرب اليكم بالخؤلة قد كثر العيال ووطئه الزمان وبه فقر وعنده شكر فقال عتبة استغفر الله منكم واستعينه عليكم وقد أمرنا لك بغناك فليت اسرا عنا اليك بقوم بابطا ثنا عنك (تنازع) ابراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن ابي دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد فأربى عليه ابراهيم وأغلظ له في القول فغضب لذلك بن ابي دؤاد وقال يا ابراهيم اذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا امرأ فلا ترفع عليه صوتا ولا تشر بيدك وليكن قصدك أمما وطريقك نهجا وريحك ساكنة وكلامك معتدلا ووف مجالس الخليفة حقها من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجه الى الحق فان هذا أشكل بك وأجمل بمذهبك في محتدك وعظيم خطرك ولا تعجلن فرب عجلة تهب ريثا والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم فقال ابراهيم أمرت أصلحك الله بسداد وحضضت على رشاد واستعاذنا بالله ثم قدري عندك ويسقطني من عينك ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه باخع بجرمه لان الغضب لا يزال يستفزني بمراده فيردني مثله بحلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد جعلت من هذا العقار لبختيشوع فليت ذلك يكون وافيا بارش الجناية عليه ولم يتلف مال أفاد موعظة وبالله سبحانه التوفيق (بعث زياد الى معاوية) برجل من بني تميم فلما مثل بين يديه قال له أنت القائل علينا المكثر امدونا قال يا امير المؤمنين انما كانت فتنة عم عماها

اوأظلم

وأظلم دجاها تزاتيها الوضيع وخف الحليم والرفيع فاختمدت وأ كلت طينا وشربت حتى اذا انحسرت ظلماؤها وانكشف غطاؤها آل الامر الى ما آله وصرح عن محضه وارتفع العبوس وثابت النفوس فتركنا فتنتنا وزمنا عصمتنا وصرفنا خليقتنا ومن يجد منا بالم يرد الله به عقابا ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فعجب معاوية من فصاحته واستغرب بحسن اعتذاره وعفا عنه وأحسن اليه (لما) غزا الاسكندر دارا بن دارا وكان دارا قد مله قومه وأهل مملكته وأحبوا الراحة منه فلحق كثيرون من وجوه أصحابه وقواده الى الاسكندر وأطلعوه على عورته وقووه عليه فلما التقيا ببلاد الجزيرة اقتتلا سنة كاملة ثم وثب على دارا جماعة من قومه فقتلوه وكان الذى فعل به هذا حاجباه فلما سيق رأسه الى الاسكندر أمر بضرب أعناق الذين ساقوه وقال هذا جزاء من اجترأ على ملكه (قال الاصمعى) كان لى صديق من أهل الادب والمروءة والحسب قد أتى عليه ثلاثة أعصار مشتهر بحفظ العلوم والاخبار والملح والاشعار وكان لا تسكن حركاته ولا تتوفر لذاته الا فى قضاء حوائج الاخوان وادخال السرور على من عرفه من الاخدان فألهانى ما شهدت منه عما وصف لى عنه فقلت له يوما ما هذا الذى تفعله وما قواك على ما تصنعه فقال يا أصمعى انى شهدت الايام فى بدء اخضرار عيشها ورأيت تصرفها وحلبت الدهر أشطره وطوت فى ريعان الشباب وجالست العلماء وصحبت أهل التصابى فما طربت بسماعهن ولا ابتهجت بما رأيت كابتهاجى لنشر نعمة وشفاعة شافع فى طلب شاكر يرجو بذلك الحياة فى العاجل وجزيل الثواب فى الآجل وانى

لا تشوق الى الرجل الاديب تشوق المريض الى الطبيب واطرب اليه
كتطرب المحب الى الحبيب وأنشد

واذا الاديب مع الاديب تحادثا * كانا من الآداب في بستان
لا شئ أحسن منهما في مجلس * يتطاعمان جواهر اللسان

(ذكر) ان المتوكل بن الافطس قرا اليه شخص من بني هود مخاصما
لابن عمه الشاعر قسطنة فآواه واحسن اليه ثم اختبره فرآه أهلا للولاية
فولاه فقال له أحد وزرائه كثير هذا في تغيير قلب قريبه يا مولاى تسخط
قادرا في حق عاجز وتفرط فيمن تحتاج اليه كما يحتاج الينا وتغتبط بمن
لا تحتاج اليه بل هو موكل علينا فقال له المتوكل الذى قلت حق ولكن
كيف يكون اقتناء المكارم (روى) ان أنوشروان غضب على وزيره
بزرجمهر فحبسه في بيت كالقبر وصفده بالحديد ولبسه الخشن من
الصوف وأمر الا يزاد في كل يوم على قرصين من الخبز وكف ملح جريش
ودورق ماء وان تنقل ألفاظه اليه فأقام شهورا لا تسمع له لفظة فقال
أنوشروان أدخلوا عليه اصحابه ومروهم ان يسألوه ويفاتحوه الكلام
ويعرفونيه فدخل اليه جماعة من المختصين به فقالوا له أيها الحكيم نراك
في هذا الضيق والحديد والشدة التي دفعت اليها ومع هذا فان سحنة
وجهك وصحة جسمك على حالهما لم تتغير فما السبب في ذلك فقال اني عملت
جوارش من ستة اخلاط آخذ منه كل يوم شيأ فهو الذى ابقانى على ما ترون
فقالوا فصفه لنا عسى ان نبتلى بمثل بلواك او واحد من اخواننا فنستعمله
او نصفه له فقال الخلط الاول الثقة بالله والثانى ان كل مقدر كائن
والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن والرابع ان لم اصبر فأى شئ أعمل

ولم

ولم آمن على نفسى بالجزع والخامس , فقد يمكن أن أكون فى شر أصعب مما أنا فيه والسادس من ساعة الى ساعة فرج

﴿القسم الرابع فى جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان﴾

(اعلم) ان الكلام فى هذا القسم لا ينحصر لاتساع القول فيه فيرأنى آتى هنا بقصدى منه وأرجو ابموت الله أن أوفيه وأنقل من ذلك ان شاء الله جملا من الوصايا النافعة كافيه ونقولا من المواعظ واقية لمن اتعظ بها شافيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده فالانقياد الى الرشد والتوفيق والاستقامة على الخير ونهج سواء الطريق والتمسك بحبل الهدى يصرف عن المرء الردى ويكشف عن قلبه الران والصدا وما أجدر العاقل بذلك وأولاه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله (قال بعض الحكماء) استصلح نفسك بعقلك واجعل نظرك وتفكرك بمنزلة المرآة فتدرك بهما القبيح من أمرك فالعقل أفصح واعظ وأحرس حافظ وبالعقل أدرك الناس معرفة الله تعالى قال الله سبحانه ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فصديق المرء عقله وعدوه جهله فالعاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد والجاهل من جهله فى اغواء ومن هواه فى اغراء قال الشاعر

من لم يكن أكثره عقله * أهلكه أكثر ما فيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل قال بعض العلماء وجميع أعمال البر وجملة دواعى الخير والشر ورأس الورع وكمال الزهد وملاك أسباب الشرع أصلها العلم بالله

وحسن الطاعة لله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله ثم خذ من الدنيا ما تيسر واجعل التقوى حظك الاوفر فالدنيا كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة وقال بعض العلماء ليس الحرج فى أن يتصرف الانسان فى طلب حظه من الدنيا فيما لابد له منه ولا غنى به عنه لان أسباب الحاجة وحيل العجز انما هى فى الدنيا التى هى دار تكليف وعمل لان الآخرة دار قرار وجزاء فما يصرف الانسان الى دنياه حظا من عنايته لانه بها يتزود لآخرته وقد قال مجاهد فى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أى اذا فرغت من مؤنة الدنيا فانصب فى العبادة (وقال لقمان الحكيم) خذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا وعلى أعناق الرجال كلا (ومن كلام عمر رضى الله عنه) ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه وانما الحرج فى الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية فانها فضول لا تجدى وزوائد لا تنفع ولا تغنى تحمل المرء فى اشتغاله لها والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة والتأخر عما فيه العائدة والعقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك فضول الدنيا من العقل وترك الذنوب من الفرض (قال بعض الحكماء) المجرب أحكم من الطبيب وفى تصرف الدنيا مواعظة لكل أريب فمن صح له يقينه وسلم له دينه فلا شىء يضيره ولا يشينه

ومن

ومن لم يعتبر بتصرف الايام غرق فى بحر الآثام (وقد قيل) كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة (ومن كلام بعض الحكماء) مواعظ الايام أبلغ من مواعظ الانام وان أعربت من غير كلام وافصحت من استعجام فطوبى لمن جعل له من نفسه واعظا ونصب عليه من الله حافظا (وقال بعضهم) لقد فاز قوم أدبتهم الحكمة وأحكمتكم التجربة فلم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فشفعوا حسن المقال بجميل الفعال وبذلوا النعيم الفانى رغبة فى النعيم الباقى ولم يؤثروا العاجل الخسيس على الآجل النفيس فلا تراهم الا فى موطن خير وعلى سبيل نفع قال الله العظيم مخاطبا النبيه الكريم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (ومن كلام عيسى عليه السلام) طوبى للناطق فى قوم يسمعون كلامه انما تصدق رجل بصدقة أعظم عند الله من موعظة قوم يصيرون بها الى الجنة وخير ذلك ما كان من قائل مخلص الى سامع منصت وانتهى الكلام فى هذا القسم فى خمسة عشر فصلا بالفصلين اللذين فى تعلم العلم

﴿فصل من مواعظ النبى صلى الله عليه وسلم ووصاياه ومواعظ السلف الصالح ووصاياهم وغيرهم من العلماء والحكماء﴾

(قال عليه السلام) أقبلوا على ما كلفتموه من اصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته فى التعرض لسخطه بمعصيته واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته والجؤا الى العمل الصالح

وأكرهوا عليه النفوس واصبروا على الضراء تفضوا الى النعيم الدائم (وقال صلى الله عليه وسلم) حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم لانفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون ولا يغنى عنكم هنالك الا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب حزتموه (وقال صلى الله عليه وسلم) فى بعض خطبه أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات وقد قال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة فوالذى نفس (محمد) بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار (وقال صلى الله عليه وسلم) فى بعض خطبه أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذى نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذلة والمسكنة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن أنفق من ماله وأمسك الفضل

من

من قوله ووصمته السنة ولم تستهوه البدعة (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين ان أعطى منها لم يشبع وان منع لم يقنع ويأمر بما لا يأتى يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح أمن لاهيا يعجب من نفسه اذا عوفى ويقنط اذا ابتلى تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ولا يثق من الرزق بما ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ان استغنى بطر وان افتقر قنط وحزن فهو من الذنب فى حالى المحنة والنعمة فهو تريبتغى الزيادة ولا يشكر ويتكلف من الناس مالا يؤمر ويضيع من نفسه ما هو أكثر ويبالغ اذا سأل ويقصر اذا عمل يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه مزاهر اللهو مع الاغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره وهو يطاع فيعصى ويستوفى فلا يوفى (وروى) ان رجلا قال لعلى رضى الله عنه عظنى يا أمير المؤمنين فقال لا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا على ما فاتك منها أسفا وكن مسرورا بما قدمت أسفا على ما أبقيت فرقا مما بعد الموت (وروى) عنه رضى الله عنه انه قال الا أخبركم بالفقيه كل الفقه قالوا نعم قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أيها الناس ان أقربكم اليوم الى الله أشدكم له خوفا وان أحبكم اليه أحسنكم له عملا وان أعظمكم عنده

نصيباً أعظمكم فيما عنده رغبة وان أكرمكم عند الله أتقاكم (وبما ينسب اليه من الشعر)

﴿يمثل ذو الحزم في نفسه * مصائبه قبل أن تنزلا﴾
﴿فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلا﴾
﴿رأى الامر يفضي الى آخر * فصير آخره أولا﴾
﴿وذو الجهل يامن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا﴾
﴿فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا﴾
﴿ولو آثر الحزم في أمره * لعلمه الصبر عند البلا﴾

(وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) أيها الناس اتقوا الله فليس من هالك الا له كاف بالتقوى واحذروا الموت فانه أشد ما قبله وأهون ما بعده ولا تستصغروا الذنوب والتمسوا تمحيصها بالتوبة فان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين (وكان) رضي الله عنه يتمثل بهذه الابيات

﴿نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والاسى لك لازم﴾
﴿تسر بما يفنى وتفرح بالمنى * كما سر باللذات في النوم حالم﴾
﴿وسعيك فيما سوف تكره غبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائم﴾

(وخطب رضي الله عنه فقال) أيها الناس ان لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامر فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل لمن لا يدري لعله لا يمسي بعد اصباحه ولا يصبح بعد امسائه وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا

وانما

وانما يطمئن من وثق بالنجاة من العذاب وأهوال يوم القيامة فأما من لا يداوى من الدنيا كلما الا أصابه منها جارح من ناحية أخرى كيف يطمئن أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتبدو مسكنتى ليوم لا ينفع فيه الا الصدق والحق (وكان رضى الله عنه) بعث رسلا الى ملك الروم فى فداء من عندهم من المسلمين فمات عمر وهم فى بلاد الروم فبلغ صاحب الروم موت عمر ولم يبلغ المسلمين فأعلمهم ملك الروم بموته فبكوا فقال لا تبكوا عليه فقد استراح من نصب الدنيا وكربها وأعراضها وكان الى الروح والدعة والسرور ان بقاء أهل الخير مع أهل الشر قليل وان صاحبكم كان أعجب عندى من الرهبان الذين تفردوا فى الصوامع لانه رفض الدنيا مع اقبالها عليه وتركها وهى فى يديه (ووعظ) بعض الحكماء قوما فقال يا قوم استبدلوا العوارى بالهبات تحمدوا العقبى واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى واستدعوا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة واعرفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الموت وانتقال العمل وحلول الاجل فانما أنتم فى الدنيا اغراض المنايا وأوطان البلايا ولن تنالوا نعمة الا بفراق أخرى ولا يستقبل معمر منكم يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله ولا يحيى له أثر الا مات له أثر فانتم أعوان الحتوف على أنفسكم وفى معائشكم أسباب مناياكم لا يمنعكم شئ منها ولا يشغلكم شئ عنها وأنتم الاخلاف بعد الاسلاف وستكونون الاسلاف قبل الاخلاف فىكل سبيل منكم صريع منعفر وقائم ينتظر فمن أى وجه تطلبون البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا شيأ قط الا أسرعا الكرة فى هدمه ولا عقدا أمرا قط الا رجعا فى نقضه دخل أبو

الدرداء الشام فقال يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح فاجتمعوا اليه فقال مالى أراكم تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا (ونظر) الحسن البصرى الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المحقون وخسر المبطلون ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسئ باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر (ونظر وهب ابن منبه) الى قوم يضحكون فى يوم عيد فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين (روى) انه قيل للحسن البصرى ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبرونى فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذى أخبرناك به وأشاروا اليه فمضى اليه الحسن فقال له يا عبد الله أراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مخالطة الناس فقال أمر شغلنى عن الناس فقال فما يمنعك ان تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن قال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال انى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت ان أشغل نفسى بالاستغفار من الذنب وشكر الله على النعمة فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه (وروى) ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة أملاك

وباد

وباد جميعهم فقال هل بقي من نسلهم أحد فقالوا نعم رجل يسكن المقابر فدعاه فأتاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال أردت ان أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء فقال له هل لك ان تتبعني فأحيي شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة قال همتي عظيمة قال وما هي قال حياة لا موت معها وشباب لا هرم بعده وغنى لا فقر معه وصحة من غير سقم وسرور من غير مكروه قال هذا مالا تجده عندي فقال فدعني أطلبه ممن هو عنده فقال الاسكندر ما رأيت رجلا أحكم من هذا وخرج من عنده فلم يزل في المقابر حتى لحق بأهله رحمه الله (دخل) بعض الصالحين يوما على أبي جعفر المنصور ومعه ابنه المهدي فقال له المنصور هذا المهدي ابني وقد وليته عهد المسلمين فقال له الرجل الصالح انك قد رضيت له الامر الذي يرزؤك في وقت أنت عنه مشغول فبكى المنصور وقال له عظني فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فان هذا الامر الذي أصبح في يديك لو بقي في يدي غيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده (وقال بعض السلف) عاملوا الله بتقواه واسترضوه بطاعته ولا تملوا من ذكره ففيه النجاة من النار ولا تستصغروا الذنوب وتستحقروها فانه من استصغر الذنب وقع فيه ومن ركب المعصية أهلك نفسه فان الله عز وجل لم يترك صغير الذنوب للانبياء فكيف للاشقياء (قال الشاعر)

﴿نسير الى الآجال في كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل﴾
﴿ولم نر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل﴾
﴿ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل﴾

(وعظ) رجل من الصالحين بعض أصحابه فقال له هل رأيت الخير كله الا من الله قال نعم قال فلم تكره لقاء من لم تر الخير الا من عنده والله من مات واتقى الله موقنا بالقدر فقد خلص من الادناس وخرج من الوحشة الى الايناس لا سيما ان لحقته نار المحاذير ورضى بتصرف المقادير لقد خلصته تخليص التبر من الخبث ونقلته أنقى من الدر الى الجدث (قال محرز) قال النضائرى عنانى فأنشد

﴿حياتك أنفاس تعد فكلما * مضى نفس منك انتقصت به جزؤا﴾
﴿فتصبح فى نقص وتمسى بمثله * ومالك معقول تحس به رزؤا﴾
﴿يميتك من يحييك فى كل ساعة * ويحدوك حاد ما يريد بك الهزؤا﴾

(وقال الشاعر)

﴿تأهب للحمام فكل حى * قصاراه وان عاش الممات﴾
﴿ودع شغلا يفوتك منتهاه * فان الشغل غايته الفوات﴾
﴿ولا يطمع ذهابك فى رجوع * فان طلاق ذى الدنيا بتات﴾

(وقال بعضهم) ان كل يوم يمر بكم يحمل ما تدت فيه من خير أو شر ثم يمضى فلا يعود أبدا فان قدرتم ان تحفظوا كل يوم بكرمة وتثبتوا فيه حسنة فلا تؤخروا فان الايام صحائف تخلدوا فيها الجميل فقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد والمكارم فى قديم الدهر وحديثه (قال الشاعر)

﴿حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين﴾
﴿يوم تولى ويوم نحن نامله * لعله أقرب الايام للحين﴾

(وقال عامر العدوانى) الايام ثلاثة يوم مضى عليك لا ترجوه ويوم أنت فيه لا بد منه ويوم يأتيك لا تأمنه فامس واعظ واليوم غنيمة وغدا لا تدرى

ماحكمه

ما حكمه وأمس الماضي شاهد مقبول وأمين مؤد أودعته زاداً خيراً أو شراً وترك الشعور بنا شبه لتحسن صحبته واليوم الذي أنت فيه ضعيف سريع الظعن فأحسن له الصحبة يلقك الجنة وتحبوك الشهادة وغد المقبل ما كم تنتظر قدومه فاما حبيب لا يظلم واما عدو لا يرحم (وقال بعضهم) اخواني اقبلوا قول ناصح لكم واعملوا لآخرتكم في هذه الايام التي تسير كأنها تطير وتلوح كأنها بروق فما انقضت ساعة من أمسك الا وأخذت بضعة من نفسك والسعيد من اعتبر بأمسه واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه بخيره (قال الشاعر)

﴿كل يوم يمر يأخذ بعضي * يورث القلب حسرة ثم يمضي﴾

(قال الحسن البصري) لقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم ان ترد عليهم أشفق منكم من سيآتكم ان تعذبوا بها وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها (قال الشاعر)

﴿أطلب لنفسك فوزها وانظر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق﴾

﴿من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما يهلكها فليس بمشفق﴾

(رأى) اياس بن قتادة شيبة في لحيته فقال أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته اللهم اني أعوذ بك من فجأة الامور وبغتات الحوادث يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي ولزم بيته فما خرج منه حتى مات فقال له أهله تموت هزلا فقال لان أموت مؤمنا مهزولا أحب الي من ان أموت منافقا سمينا (قال الشاعر) محمود الوراق

﴿بكيت لقرب الاجل * وبعد فوات الامل﴾

﴿ووافد شيب طرا * بعقب شباب رحل﴾

﴿شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل﴾
﴿طوالت بشير البقا * وحل بشير الاجل﴾

(ومن مواعظ) بعض الصالحين اغتنم تنفس الاجل وامكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فانك في أجل محدود ونفس معدود وعمر غير ممدود والطبيب معذور اذا لم يدفع المقدور (قال زهير المهلبي

﴿مضى الشباب وولى ما انتفعت به * وليته فارط يرجى تلاقيه﴾
﴿وليت لي عملا فيه أسر به * وليتني لا جرى لي ما جرى فيه﴾
﴿فاليوم أبكي على ما فاتني أسفا * وهل يفيد بكائي حين أبكيه﴾
﴿واحسرتاه لعمر ضاع أكثره * فالويل ان كان باقيه كماضيه﴾

(وقال أبو الربيع بن سالم)

﴿وقائلة شبتم فقلت لها شبنا * وفي هذه الدنيا الدنية أنشبنا﴾
﴿ويا ليتنا لما انقضى شبابنا * خلصنا وأخلصنا ولكننا شبنا﴾
﴿فيا عجبا منا على الله نجترى * ونهفوا سوافي الريح أرواحنا جبنا﴾
﴿وكيف أضعنا باقيا بمعجل * سيفنى لقد نلنا بصفقتنا غبنا﴾
﴿وكم صرفتنا بين ملهى وملعب * فالان نكرنا قبح ذاك ولاعبنا﴾
﴿ونادى سفاه قد حضرنا وانما * عن الرشد والتوفيق يومئذ غبنا﴾
﴿فيا ليت شعري ما يكون جوابنا * اذا نحن في وفد القبور غدا أبنا﴾
﴿أينفع انكار وذو العرش عالم * بمودعة صدرا وملزمة ضبنا﴾
﴿الا ليس الا العفو عن ذنوبنا * فان يخب التقدير فيه فقد خبنا﴾

(قال بعض العلماء) وجد مكتوب في حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي

من أجلك زهدت فى طول ما ترجو من أملك ورغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك متزائد (قال أبو العتاهية)

﴿ليس فيما مضى ولا فى الذى * لم يأت من لذة لمستحليها﴾
﴿انما أنت طول عمرك ما عمر * ت فى الساعة التى أنت فيها﴾
﴿طلب النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها﴾

(وقال بعضهم) ان لله أقواما أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر له فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت العظمة وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون مدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا (قال) رجل لرجل من الزهاد ما رأيت أزهد منك قال أنت أزهد منى قال وكيف قال لأنك زهدت فى الجنة على بقائها وزهدت أنا فى الدنيا على فنائها (قال الشاعر)

﴿ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا﴾
﴿فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا﴾
﴿جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا﴾

(وجد) على حائط من حيطان المقابر يا من أبطره الغنى وأسكرته شهوات

الدنيا فجهز الرحلة الطلمى فقد نزلت على أهل البلاء وعلى الجانب الآخر يا عجبا النفس لهذا الأحياء وهم يرون مصارع الموتى يتنافسون فى السرور ومصيرهم الى القبور (حكى) ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك لكان حسنا قال أجعل هذا المال عند الله ذخرا وأجعل الله ذخرا لولدى ثم قسم المال كله فى أهل الحاجة (قال عبد الله بن مسعود) أيها الناس انكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منقوصة وأعمال محفوظة وأنفاس معدودة والموت يأتى بغتة فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطئ بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له فمن أعطى خيرا فالله أعطاه ومن وقى شرا فالله تعالى وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة ومؤانستهم سعادة انتهى (قال الشاعر)

﴿أأنت فى دارها مهلة * يفعل فيها أمل العامل﴾
﴿أما ترى الموت محيطا بنا * يقطع فيها أمل الآمل﴾
﴿نعجل الامر بما نشتهى * ونأمل التوبة فى قابل﴾
﴿والموت يأتى بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل﴾

(قال وهب بن منبه) مررت من الانبياء على عابد فى كهف جبل فقال السلام يا عبد الله منذ كم أنت ههنا قال منذ ثلاثمائة سنة قال فمن أين معيشتك قال من ورق الشجر قال فمن أين شرابك قال من ماء العيون قال وأين تكون فى الشتاء قال تحت هذا الجبل قال فكيف صبرك على العبادة قال فكيف لا أصبر وأنا غاهر يومى الى الليل فاذا أمسى

فقد

فقالمضى وأما الفدفلم يأت فعب النبي عليه السلام من حكم قولما غاهو
يوى الى الليل (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

﴿صبرجميل اذا نابتك نائبة * وان عتبت فلا تعتب على الزمن﴾
﴿هي المقادير فاحذروها فكم صرعت * من وافر العقل ذي لب وذي فطن﴾
﴿وارض القناعة لا تبغي بها بدلا * لولم تنولك الا راحة البدن﴾
﴿وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير الزاد والكفن﴾
﴿فانما الغبن في يوم النشور اذا * تغابن الناس فيه أيما غبن﴾

(قال ابراهيم بن أدهم) خرجت أريد بيت المقدس فلقيت سبعة نفر فسلمت عليهم وقلت أفيدوني شيأ فقالوا انظر كل قاطع يقطعك عن الله في الدنيا والآخرة فاقطعه فقلت زيدوني فقالوا لا ترج أحدا غير الله ولا تخف غيره وانظر كل من يحبه فأحبه وكل من يبغضه فأبغضه وعليك بالتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع له حيث كنت والرحمة للمؤمنين والنصيحة لهم قلت زيدوني رحمكم الله فقالوا اللهم حل بيننا وبين الذي شغلنا ما كفاه هذا كله قال فلا أدري الى السماء رفعتهم أم الارض ابتلعتهم فلم أرهم ونفعني الله بهم (وأنشد) أحمد بن حنبل رضي الله عنه

﴿اذا ما خلوت الدهر يوما فلا * تقل خلوت ولكن قل علي رقيب﴾
﴿ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما تخفى عليه يغيب﴾
﴿لهينا عن الاعمال حتى تتابعت * ذنوب على آثارهن ذنوب﴾
﴿فياليت ان الله يغفر ما مضى * و يأذن في توباتنا فنتوب﴾

﴿فصل﴾

(و) من المنقول في تأليفنا تذكر فمن اتى حديث سويد ابن حارث

الحارثى قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومى فقال ما أنتم قلنا مؤمنون يا رسول الله قال ما حقيقة ايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة يا رسول الله خمسة أمرتنا رسلك أن نعمل بها وخمسة أمرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمسة كنا علمها فى الجاهلية الا أن تكون تكره منهاشيأ يا رسول الله قال ما الخمسة التى أمرتكم رسلى ان تعملوا بها قلنا شهادة أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله و نقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت مع الاستطاعة قال فما الخمسة التى أمرتكم رسلى ان تؤمنوا بها قلنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فما الخمسة التى كنتم علمها فى الجاهلية قلنا الرضى بالقضاء والشكر عند الرخاء والصبر عند نزول البلاء والثبات عند اللقاء وترك الشماتة اذا نزلت المصائب بالاعداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا لها من خمسة ما أجلها وما أجملها وما أحفلها احفظوا عنى خمسا تكمل لكم عشرون خصلة لا تأملون ما لا تدركون ولا تبنون ما لا تعمرون ولا تجمعون ما لا تأكلون ولا تشتغلون بما أنتم عنه راحلون واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فحفظنا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا قال لاصحابه ترونهم قالوا بلى يا رسول الله قال حكماء علماء فهماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء (توفى) رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قال فلا تبكيا فوالله ما سرنى ان الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ثم مات فأتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ان فتى

توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيأ من خير يا رسول الله الا انه قال عند الموت كذا وكذا قال من ههنا اتى حسن الظن بالله تعالى من أفضل الاعمال عنده (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا الدنيا ولابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لى خلا مؤثرا اكرما وقد حضرنى من أمر الله ماترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبنى عليك لا استطيع ان أنفس كربتك ولكن ها أناذا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم يقول للثانى قد كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله ماترى فاذا عندك قال هذا أمر الله غلبنى عليك ولا استطيع ان انفس كربتك ولكن سأقوم عليك فى مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسمك وعورتك وقال للثالث قد نزل بى من أمر الله ماترى وكنت أهون الثلاثة على فاذا عندك قال انى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة فأدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا افارقك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثانى أهله والثالث عمله (وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه) قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل انه قال مامن قوم يكونون فى حبرة الا استتبعها عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم اهل الجنة وكل هم منقطع الا هم أهل النار فاذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعا وأكثر صنائع المعروف فان صنائع المعروف تقى مصارع السوء ومامن عمل بعد أداء الفرائض أحب الى الله عز وجل من ادخال السرور على المؤمن (وقال على رضى الله عنه)

كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء ان ينفعنى وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلى ركعتين و يستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له ثم قرأ ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه) ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام بعثه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب الى (أما بعد) فان المرء يسره ادراك ما لم يكن ليفوته و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على مافات منها وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك ما بعد الموت (وعن محمد بن على بن الحسن رضى الله عنه قال ما اغرورقت عين بمائها الا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شئ الا له جزاء الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الامة على النار (قال على رضى الله عنه) خذوا عنى هؤلاء الكلمات فلو رحلتم فيهن المطى حتى تنضوها لم تبلغوه لا يرجو العبد الا ربه ولا يخشى الا ذنبه ولا يستحى اذا كان لا يعلم ان يتعلم ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير بجسد لا رأس له (قال بعض الحكماء) مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر

لسعد

أسعد في الدارين جميعا (قيل) للشافعي رضي الله عنه كيف أصبحت
قال أصبحت تطلبني ثمانية الله تعالى بالفرض ورسوله عليه السلام
بالسنة والدهر بصروفه والعيال بقوتهم والحفظة بما ينطق لساني
والشيطان بالمعاصي والنفس بالشهوات وملك الموت بقبض روحي (ومن
رقائق أبي عبد الله المغربي رحمه الله) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس
تقواك وقم بحمد انقطاعك على قدم شكواك واحرم بتوجيه قلبك
الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس سواك (قال الربيع بن خثيم)
أقلوا الكلام الا بتسع تكبير وتهليل وتحميد وسؤالك الخير وتعوذك من
الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءة القرآن وان لا يراك الله
حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك (أراد) قوم سفرا فحادوا عن
الطريق وانتهوا الى راهب في صومعة فنادوه فأشرف عليهم فسألوه عن
الطريق فقال ههنا وأشار الى السماء فعلموا الذي أراد فقالوا انا
سائلوك فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود
والطالب حثيث في طلبه قالوا على م الناس يوم القيامة قال على نياتهم قالوا
فالى م الموئل قال الى ما قدمتم قالوا أوصنا قال تزودوا على قدر سفركم فخير
الزاد ما بلغ المحل ثم أرشدهم الى الجادة وانقمع (وقال بعضهم) أتيت الشام
فمررت بدير حرملة فاذا فيه راهب كأن عينيه مزادتان فقلت له ما يبكيك
قال يا مسلم أبكي على ما فرطت فيه من عمري وعلى يوم مضى من أجلي لم
يحسن فيه عملي قال ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه فقيل لي أسلم وغزا مع
المسلمين فقتل في بلاد الروم (وقالت) فيروز زوجة مسروق بن الاجدع
لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة ويحك يا مسروق لقد ضررت

بعدنك قال كرامته أريد قالت له أما بعدالله غيرك لماخلقت النار الالك قال لها ويحك يافيروزان طالب الجنة لا ينام وهارب النار لا ينام

(وروى) ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه فقال يا أبا اسحاق انى مسرف على نفسى فأعرض على ما يكون لها زاجرا ومستنقذا قال ان قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة قال هات يا أبا اسحاق قال أما الاولى فاذا أردت ان تعصى الله عزوجل فلا تأكل رزقه قال فمن أين آكل وكل ما فى الارض رزقه قال ياهذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتعصيه قال لا هات الثانية قال واذا أردت ان تعصيه فلا تسكن شيأ من بلاده قال الرجل هذه أعظم من الاولى ياهذا اذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن قال ياهذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه قال لا هات الثالثة قال واذا أردت ان تعصيه وأنت تحت رزقه وفى بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه فاعصه فيه قال يا ابراهيم ماهذا وهو يطلع على ما فى السرائر قال ياهذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به قال لا هات الرابعة قال اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرنى حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا قال لا يقبل منى قال ياهذا فانت اذا لم تقدر ان تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم انه اذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص قال هات الخامسة قال اذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك الى النار فلا تذهب معهم قال اذن لا يدعونى ولا يقبلون منى قال فكيف ترجو النجاة اذن قال له يا ابراهيم حسبى حسبى أنا أستغفر الله وأتوب اليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا رحمة الله عليه

(وروى) انه بنى جار لمالك بن دينار دارا فكان يتولى عطاء العمال بنفسه قال فتوضأ مالك بن دينار للغرب والتف بعباءته ودخل مع العمال قال وكان الرجل يضع الكيس بالدراهم بين يديه فيعطى منه قال فجاء مالك فاخرج يده من تحت العباءة ومدها اليه قال فنظر اليه الرجل فقال أى شئ عملت لنا قال مالك ما عملت لكم شيأ قال والله ما أعرف وجهك فى عمالنا قال وما تعطى درهمك الالمن عرفت وجهه فى عمالك قال نعم قال مالك فيعرف وجهك أنت فى عمال الله قال هاه فترك الكيس وترك البناء وتعبد حتى مات (دخل) شبيب بن شيبة على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل اذ قسم منازل الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثل ما رضى لك به من الدنيا فعليك بتقوى الله عز وجل فعليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ترد (عن بعض الصالحين) انه قال وقف رجل على طبيب وحوله خلق كثير بأيديهم قوارير والطبيب يقابل كل علة بدوائها يعطى لهذا القابض ولهذا المسهل ولهذا الحار ولهذا الرطب قال فوقف لى رجل وقال أيها الطبيب أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله قال فأطرق الطبيب رأسه الى الارض ثم رفعه وقال اسمع دواء ان عملت به رجوت لك الشفاء ان شاء الله خذ عروق الفقر وزنجبيل الصبر واخلطهما بسفوف الذكر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معه اهليلج التواضع والخشوع ودقه فى مهراس التوبة والخضوع واسقه بماء الدموع واجعله فى طنجير التذلل واوقد تحته نار التوكل وحركه بملعقة الاستغفار حتى يزبد زبد التوفيق والوقار ثم ضعه فى آنية المحبة وبرده بمروحة المودة

وصفه بعمق الاحزان وصب عليه صبر الاجفان واجعل معه حقيقة الايمان وامزجه بخوف الرحمن وتغذ قبل شربه بمر الصيام ودم على هذا ما عشت من الايام واياك ايها العليل ان تقرب فى ايام دوائك شيأ من الآثام فانها تجدد عليك ما رجوت برءه من الاسقام وتجنب فى دوائك العجب والرياء والبس لباس الحياء وشد على وسطك منطقة الصدق والوفاء واياك ان تدخل بيتك الا من باب التوبة والصفاء فاذا دمت على هذا الدواء صفا قلبك بين القلوب وزالت عنك اوجاع الم الذنوب (قال بعض العلماء) اعلم انه ما على الانسان شئ اثقل ولا اصعب من معالجة اطراح حب الدنيا من قلبه وانى له بذلك ونحن قد خلقنا من تربها وجبلنا على حبها ودواعى حب الدنيا اكثر من ان تحصى وتحصر واسباب الميل اليها والحرص عليها اظهر من ان تستتر وانما عيرت عند ذوى الالباب وتبينت لاهل النظر فعاملوها بالرفض لها والاستغناء لما تأملوها فوجدوها لا توفى العاقل حقه ولا تبخس الجاهل حظه فنعيمها غير مقيم وبؤسها لا يدوم (قال ابو العتاهية)

هى الدار دار الاذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الخلود * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير فى العيش بعد الكبر

(لما) بلغ مردك من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه نبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور وملك لولا انه هالك ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع (قال الشاعر)

الا

الا ان الركون الى غرور * الى دار الفناء من الشقاء
ودنيا نا وان ملنا اليها * فطال بها الثواء الى انقضاء

(قال بعض الحكماء) لصاحب له يا اخى تنح من الدنيا فلم تخلق فيها للبقيا وأنت فيها طالب مطلوب تطلب ما قد كفيته ويطلبك من لا تفوته كانك لم تر حريصا محروما ولا عاجزا مرزوقا وكان الذى يحجب عنك قد كشف لك والذى تفر منه قد لحق بك قال أبو الطيب

نحن بنو الدنيا فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بارواحنا * على زمان هى من كسبه
فهذه الارواح من جوه * وهذه الاجسام من تربه
يموت راعى الشاة فى جهله * ميتة جالينوس فى طبه

(وروى) عن عيسى عليه السلام انه مثلت له الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت من الخلق قالت لا أحصيهم عددا قال أفكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت قال عيسى عليه السلام بؤسا الازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين حين تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (قال المأمون) لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت ان تصف نفسها صفة أبى نواس فى هذا البيت

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(وفى كتاب الهند) مثل الدنيا وآفاتها ومخاوفها والموت والمعاد الذى اليه مصير الانسان ما قال الحكيم قال وجدت مثل الانسان المغرور بالدنيا المملوءة آفات مثل رجل الجأه خوف الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين

ثابتين على شفير البئر ووقعت رجلاه على شئ فمدهما عليه فنظر فاذا بحيات أربع قد أطلعن رؤسهن من جحورهن وقد نزلت رجلاه عليهن ونظر أسفل البئر فاذا الثعبان فاغرفاه نحوه فرفع بصره الى الغصنين اللذين تعلق بهما فاذا فى أصلهما جرذين أبيض وأسود يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو كذلك مهتما بنفسه وابتغى الحيلة فى نجاته اذ نظر فاذا بجانب منه جحر نحل قد وضعن فيه شيأ من العسل فتطاعم منه فوجد حلاوته فشغله عن الفكر فى أمره والتماس النجاة لنفسه ولم يذكر ان رجليه فوق أربع حيات لا يدرى متى تساوره احداهن وان الجرذين دائبان فى قرض الغصنين اللذين تعلق بهما وانهما اذا قطعاهما وقع فى لهوات الثعبان فلم يزل لاهيا غافلا حتى هلك (قال الحكيم) فشبهت الدنيا المملوءة آفات ومخاوف بالبئر وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربع التى بنى جسد الانسان عليها من المرتين والبلغم والدم وشبهت الغصنين اللذين تعلق بهما بالحياة وشبهت الجرذين اللذين يقرضان الغصنين دائبين بالليل والنهار ودورانهما فى افناء الايام والآجال وشبهت الثعبان الفاغر فاه بالموت الذى لا بد منه وشبهت العسلة التى تطاعمها وشغلت قلبه بهذه الحلاوة القليلة فى الدنيا التى يرى الانسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما اليه مصيره (قال ابن عباد الخزاعى لبعض اخوانه) يا أخى اترك التعلق بالدار التى يبغضها الله عز وجل وخذ حاجتك منها على الكراهة والتثاقل والاضطرار والتحامل وحاسب نفسك باللحظة فما فوقها والخطرة وما دونها فان الله تعالى لا يقبل الا ما أريد به وجهه وكان الدنيا قد اسلمت ما فيها واقبلت علينا الآخرة

بدواهيها

بدواهيها فما ظنك يا أخي بيوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيأ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها يوم يكون النبيون فيه خائفين وأولياء الله من دونهم مشفقين فكيف بمن أثقلته الذنوب وأوبقته المعاصي ﴿قال الشاعر﴾

ألا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالامس لذة * فافنيتها هل أنت الا كحالم

(قال بعضهم) ان المرء حقيق اذا طرقه ما يخيف صبره ويضيق صدره ان يعود الى علمه بالدنيا كيف نصبت على النقلة وجذبت طول المهلة وابتدئت للنفاد وشفع كونها بالفساد وان الثاوي فيها ارسل والايام فيها مراحل موهوب بها مسلوب وان أرخى الى مهل وعنوهما محروب وان أرخى الى أجل ولو خلد من سبق لما وسعت الارض من لحق ولذلك ما جعلت الدنيا دار قلعة ومحل نجعة (قال بعض الزهاد) يا ابن آدم مالك لا تزهد في الدنيا وقد علمت يقينا انها فانية ومالك تصحب الايام بآمالك وهي بك الى أجلك ساعية تقطع بك المسافات وأنت لا تشعر وتوردك المهالك وأنت لا تنظر حتى تبلغك ونا تروم فيه استدراك أمرك فلا تقدر ﴿قال الشاعر﴾

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره * فذلك محال لا يدوم سرور

(قال بعض الحكماء) مما تطيب به النفس ويرفع عنها الحزن أن يعرف

الرجل قدر الدنيا منه وقدره منها فقد قيل ان من أهانها أكرمته ومن أكرمها أهانته وان غناها فقر وعزها ذل وصحتها سقم وان الانسان فيها بمنزلة الثمرة ان لم يفسد بعضها ببعض الآفات فانها تسقط اذا أدركت أو بمنزلة من احتاطت به السباع وسدت عليه كل مجاز فلما أنجا من بعضها اعترضه بعضها حتى تفترسه كما قيل

أصبحت فى دار البليات * أدفع آفات بآفات

وقال بعض المتكلمين مما يؤدى الى التسلى والراحة الكاملة والسرور الدائم انا رأينا الله تبارك وتعالى خلق الدنيا للنقص والزوال ولم يخلقها للبقاء والدوام وجعل ذلك محنة للعباد فصرف أهلها فيها بالدول ورزق فيها الجهال والنوكى ما حرمه الاكياس والعقلاء ورزق من عصاه وخالف أحكامه وشرائعه ما حرمه كثيرا من أهل الطاعة فكان فى هذا الذى ذكرنا وما يقاسى خيار الناس وأهل الفضل من نكرها وضيق معاشها وتصرف أحوالها ما يسليهم عن الرغبة فيها والحرص عليها ولو خلقها عز وجل للخلود ولم يأذن بالفناء لاهلها القسم الارزاق فيها على استحقاق كما فعل ذلك فى المعاد فمن صبر فيها على الامتحان نال الراحة العاجلة بترك الاغتمام على ما فات منها من لا ثقة عنده ببقائه فيها ان دام له ما يحب ولا أمان عنده من زوال ما حوى ان امتد به العمر ﴿قال الشاعر﴾

الا انما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت

فان أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

(قال بعض الحكماء) طالب الدنيا لا نهاية له ولا يبلغ منها الى غاية الا طلب ما وراءها أخذ هذا المعنى بعضهم فقال

اذا ما كنت قد أوتيت مالا * من الدنيا سعيت بنيل حال
فأنت بطول دهرك في عناء * كثير السير في طلب المحال

وجدت في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا لك محسن ﴿قال الشاعر﴾

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت * ان السلامة منها ترك ما فيها
والله لو قنعت نفس بما رزقت * من المعيشة الا سوف يأتيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قال بعضهم الدنيا دار تغرير وخداع وملتقى ساعة لوداع والناس متصرفون بين ورد وصدر وصائرون خبرا بعد أثر غاية كل متحرك سكون ونهاية كل متكون أن لا يكون وآخر الاحياء فناء والجزع على الاموات عناء واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على هالك واعلم ان الدنيا تطلب لثلاثة أشياء الغنى والعز والراحة فمن زهد فيها عز ومن قنع استغنى ومن قل سعيه استراح (قال رجل من بني شيبان) نزلت على راهب فجادلته ثم قلت له يا راهب عظني فقال أأعظكم وفيكم القرآن ونبيكم محمد عليه السلام قال قلت نعم قال فاتعظ ببيت شاعر منكم يكنى أبا العتاهية

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

قيل لبقراط صف لنا الدنيا فقال ضاحكة مستعبرة وكان بقراط يقول لتلاميذه يا بني اعقلوا ما أنتم فيه فان كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون الحذر منها فاجعلوها شوكا وانظروا حيث تضعون أقدامكم

واجتنبوا جميع الشهوات فان القلوب المعلقة بالدنيا وشهواتها محجوبة عن الله عز وجل (وفي صحف موسى عليه السلام) من أصبح حزينا على الدنيا فكأنما أصبح ساخطا على الله ومن كانت الدنيا أكبر همه نزع خوف الآخرة من قلبه ومن شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه ومن لم يسأل من أين دخل عليه رزقه لم يسأل الله من أي باب أدخله النار ومن أتى خطيئة وهو يضحك أدخله النار وهو يبكي ومن جعل حاجته الى آدمي جعل الله حاجته اليه فان شاء قضاها وان شاء لم يقضها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت صحف موسى كلها عبرا عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها ﴿قال الشاعر﴾

وقد بدا لي فيما قد هديت له * ان الحياة الى دار البلى سفر
كيف البقاء وباب الموت منفتح * وليس يغلق حتى ينفد البشر

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب الآدميين من كليهما فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله تشبه بالبهائم فالعاقل كل العاقل من سبر نفسه وعرف قدره ونظر بعين الحقيقة وأمعن الفكرة التهيء وعلم ان جوارحه قد ركبت فيها جميع الشهوات وان طباعه قد جبلت اليها صنوف اللذات فلا يقدر على قهرها ولا يتمكن من صرفها وقهرها الا بالمجاهدة وملك الشهوة بخطام التقوى وما أشد وما أصعب

الا

الاترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴿ قال الشاعر ﴾

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت

(وقال لقمان) لابنه يا بني أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب ككمون النار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى (قال أفلاطون) في الانسان اربع طبائع العقل والهوى والشهوة والعفة فالعقل يعاتب الهوى والهوى يقاتل العقل والعفة تعاتب الشهوة والشهوة تقاتل العفة والانسان مسلط على مشيئته فمن عمل خيرا جوزي به ومن عمل شرا كوفئ عليه (وقال بعض الحكماء) أكمل الناس عقلا أغلبهم الهوى وأملكهم للشهوة ولا يزل الانسان المضيع لهواه المهمل لصالح دينه ودنياه منتظر الصلاح مرجو الخير والفلاح مالم يجاوز حد الفتوة الى حد الاكتهال فان سلطان الهوى عند ذلك قوي وشيطانه غوي فان خرج عن سن الحداثة ولم يسلك سنن الصلاح والديانة فقد قطع أسباب الرجاء منه ووصل علائق اليأس عنه وقد أعيى داؤه وتعذر شفاؤه (قال بعض العلماء) ومن الواجب على من استفزه الشيطان وخدعه وأغراه العصيان وأقمعه ورجاه بالتوبة وأمهله ان يستشعر هجوم المنايا وتعجيل وقوع الذنوب والرزايا انها لا تحقر الصغير ولا تهاب الكبير ولا تنظر الغني ولا الفقير ان وعدت أنجزت وان طمعت أجهزت فلا يحدث نفسه بالامهال ولا يخادعها بالقعود

والمطال فانه لا يؤمن هجومها ولا يستفيق سليمها ولا يدرى متى تصل اليه فتحول بينه وبين أمله وتقطعه عن استدراك عمله وتصيره من الوجود الى العدم فيندم حين لا ينفعه الندم فان كان ذلك وقد زالت عنه أنعم خالقه وجودته عن ثوب عافيته ومرافقه وهى عادته فيمن عصاه من خلائقه فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ولله در القائل

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم
وكم قد ترددت فى مهلة * ولم ترقب الموت حتى هجم

(قال بعضهم) والانسان فى أول خليقته يضعف عن مصادمة الشهوة ويقصر عن صرف محاولة الارادة لنقصان القوة والعقل وله ثلاث مراتب فاولها عند الخروج الى الدنيا الشرة الى الغذاء الذى لا بدله منه ولا يستطيع الصبر عنه ولا له رغبة فى سواه ثم ينتقل الى المرتبة الثانية عند تمييز الاشياء وهى الالتذاذ باللعب واللهو وحب التزين والحرص على ما يشتهى من غير تدبير ولا نظر ثم ينتقل الى المرتبة الثالثة وهى شهوة النكاح والالتذاذ بالمطاعم والمشارب وانتخاب الملابس والمراكب وسلطان الهوى عند ذلك قوى قادر وجند الشهوات غالب ظاهر فان بلغ هذه المرتبة وقد حسن تمييزه المعانى وقوى فهمه للامور واستحكم نظره الحقائق وتمكن فكره فى العواقب وقواه الملك الموكل بهدايته بفضل الملك المدبر له الذى يختص برحمته من يشاء فعلم المصالح التى يتعلق بها الثواب والقبائح التى يتعلق بها العقاب صرف نفسه عند ذلك عن مواقعة اللذات الممنوعة قاهرا ومنعها من متابعة الشهوات قامرا فتميز

بالخلائق

بالخلائق الآدمية وانتقل عن الطباع البهيمية فاذا استنار بنور اليقين قلبه وتأيد بالتقى والايمان جذبه فاستفتح بمفاتح النظر خزائن الفكر واستخرج منها لطائف المعارف وذخائر السرائر فلبس أبراد الاعتقاد وتحلى بقلائد الفوائد وركب جواد الاجتهاد فجرى فى ميادين السابقين كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولئن صادف هذه المرتبة وقد قوى سلطان هواه وضعفت عن مصادمته قواه وتملكه شيطانه واستهواه فمكن نفسه من مرادها ولم يجاهدها حق جهادها فارسلها على ماسولت وخلى بينها وبين ما أملت فاستفتح بمفاتح الشره خزائن الشهوات واستخرج منها مشاهر المناكر ولبس ثياب الارتياب وتوشح بوشاح الافتضاح وركب جواد الحرص فجرى فى ميدان البطالة ونام فى مهاد الغفلة فغلب على قلبه سنة الرين كان من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الامن آثر المتاب وأسرع الاياب واتقى يوم الحساب فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال الشاعر)

ألا أيها المستطرف الذنب جاهدا * هو الله لا تخفى عليه السرائر
فان كنت لم تعرفه حين عصيته * فان الذى لا يعرف الله كافر
وان كنت عن علم ومعرفة به * عصيت فانت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقدت فانه * عليم بما تنطوى عليه الضمائر

(قال بعض العلماء) جميع حالات الانسان راجعة الى ثلاث منازل عليا ووسطى وسفلى ذكرها الله عز وجل فى كتابه وجعلها مراتب لعباده فقال عز من قائل وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب

المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثم قص الله تعالى أحوالهم وقص مآلهم فقال سبحانه فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (قال) بزرجمهر احتهدوا فى الخير واقتصدوا فى المعيشة وارضوا من المطعم والملبس بادناهما فان أشد الناس اجتهادا فى الخير وأحسنهم اقتصادا فى المعيشة سيمتى انه كان زاد فى العمل ونقص فى المعيشة ولا يثبت دين الرجل على حال واحدة اما فى زيادة او فى نقصان فان كان غالبا للشيطان كان زائدا وان كان الشيطان غالبا عليه فى الشهوات كان ناقصا (وقال الاسود بن زيد) والله لاجتهدن فى العبادة فان يكن الامر عسيرا كما اخاف فى الآخرة كنت قد اجتهدت واخذت بالحزم وان يكن يسيرا كما ارجوا كان عملى درجات

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء الناس فى الاوامر والنواهى أربعة أصناف صنف استجابوا للطاعات وكفوا عن المعاصى وهم أكمل الناس وصنف لم يستجيبوا للطاعات ولا كفوا عن المعاصى وهم شر الناس وصنف استجابوا واقاموا على المعاصى فهم يستحقون عقاب المجترئين على المعاصى وصنف لم يستجيبوا للطاعات وكفوا عن المعاصى فهم يستحقون عقاب اللاهى عن دينه وللانسان فيما كلف به من الاعمال ثلاثة احوال أن يستوفيه وان يزيد

والانسان

فيه وان يقصرفيه (أما) استيفاء العمل من غير زيادة ولا تقصير فحال الاعتدال وخير الامور أوسطها (وأما) التقصير في العمل فعلى أربعة أحوال (احديها) العذر من مرض أوغيره فيلحق صاحبه بالعاملين لسقوط المؤاخذة بما دخل تحت العجز (الثانية) الاغترار ورجاء العفو والرجاء شاغل عن خوف الله (الثالثة) أمل الاستيفاء فيما يستقبل وذلك لا ينتهي الى غاية وما أطال عبد الامل الا اساء العمل (الرابعة) استثقال الاستيفاء لكن يفعل الواجب ويخل بالمسنونات فهو مسيء اساءة لا يستوجب بها عقابا الا ان اداء الواجب يسقط العقاب والاخلال بالمسنون يمنع من كمال الثواب ومن تهاون بالدين هان (وأما الزيادة في العمل فعلى ثلاثة أقسام (أحدها) ان تكون الزيادة رياء وأفضل الزهد اخفاء الزهد (الثاني) أن تكون الزيادة اقتداء باحد الاماثل ولولا اقتداء الناس بالناس في الخير لما كملوا (الثالث) أن تكون الزيادة ابتداء يلتمس بها الثواب وذلك من أعلى رتب العابدين والاقتصاد في في الزيادة مع المداومة أحمد من الاستكثار دون مداومة (لقوله) عليه السلام فيما روت عائشة رضي الله عنها أيها الناس اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه وللاعمال كلها آفتان (احديهما) تكسب الوزر والاخرى توهن الاجر فالمكسبة للوزر الاعجاب بالعمل لان المعجب ممتن على الله ومجترئ عليه والممتن على الله جاحد لنعمه والمجترئ على الله عاص لامره ونهيه والموهنة للاجر الثقة بالعمل لانها أمن والآمن من غير خائف ورياضة النفس للعمل تترتب على أحوال ثلاث (احديها) الزهد لقوله

عليه السلام من أشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يبلغ عناه وبامل لا يبلغ منتهاه (الثانيه) توطين النفس على ذهاب مافي اليد وبقاء حسابه قال عليه السلام لا تزول قدما ابن آدم حتى يسئل عن ثلاث شبابه فيم أبلاه وعمره فيم أفناه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه (الثالثة) قصر الامل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكيس الناس قال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة والناس فى الخير على اربعة أنحاء منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه استحياما وهو الردئ ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقي (ومن) الواجب على الانسان أن لا يجسر على نفسه بالعنف عليها ولا يصادمها بالقهر لها وان يأخذها أولا بالمنع عن يسير الشهوة والكف عن قليل الهوى مما لا ترى النفس فى تركه كبير ضرر وبه ولا تنال بالامتناع منه شديد مشقة ثم لا يزال ينقلها من حال الى حال أقواها ويرفعها من درجة الى أعلاها كما يفعل الطبيب الماهر من تدريج العليل بتلطف المعاناة وتحسين المداراة حتى يزيل الحدث العلة وهو حب الدنيا فاذا أزاله قوى بعد على قلع العلة ووجدها متأتية الزوال بزوال الدواعى المولدة لها الباعثة عليها فظهر النجح ونجع السعي وليس الزهد فى الدنيا باهمال النفس واضعاف الجسم وادخال الضرر بتقتير العيش والتعرض للعاطب والتصدى الى المهالك فان استعمال ما تصح به القوى ويعين على الطاعة والتصرف فى جميع أعمال البر صلاح بين وواجب متعين وكما أن الزيادة على قدر الحاجة ممنوعة فى الشرع والعقل يمنع منهما جميعا

(فصل)

﴿فصل﴾

كان عبد الله بن المبارك يقول الرجاء يورث الشوق والشوق يورث الاجتهاد والاجتهاد يورث الفكر فى النعم والفكر فى النعم يورث الشكر والشكر يوجب معرفة المنة ومعرفة المنة تورث محبة الله ومحبة الله تورث الزهد فى الدنيا والزهد فى الدنيا يورث الرغبة فى الآخرة والرغبة فى الآخرة تورث الاشتغال بالطاعة والاشتغال بالطاعة يورث النعيم الدائم ﴿قيل﴾ ان سبب توبة عبد الله بن المبارك وزهده انه كان من أصنع الناس فى الالحان وضرب العود فبينما هو يغنى ذات يوم

ألم يأن لى منك ان ترحما * وتعصى العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم * أقام لهجرانكم مأتما

اذ سمع من جوف العود هاتفا يقول ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فكسر العود وساح فى البرية (وقيل) لبعض العلماء ما علامة الايمان قال حسن الخلائق واتباع الحقائق وبذل المرافق وحفظ العهود والمواثق والتسليم للقدر السابق قيل فما علامة النفاق قال نقض العهد وخلف الوعد ومنع الرفد والكذب فى الهزل والجد قيل فنعيم الحياة قال عمل مبرور وقلب صبور ولسان شكور وادخال السرور والرضى بالمقدور قيل فنعيم الملكة قال كثرة الفجور واقتحام الشرور وطاوعة الغرور وعصيان الغفور (وقيل لبقراط) ما أقرب الاشياء قال الاجل قيل فما أبعدها قال الامل قيل فما أنفسها قال الصاحب المؤاتى قال فما أوحشها قال الموت قيل فما أحمدها عاقبة قال الصبر قيل فما أذمها عاقبة قال المعاصى (قالت هند)

الطاعة مقرونة بالمحبة فالمطيع محبوب وان نأت داره وقلت آثاره والمعصية مقرونة بالبغضة فالعاصى مبغوض وان حسنت رجه ونالك معروفه قال الشاعر

أراك أمراترجوا من الله عفوه * وأنت على مالايحب مقيم
فحتى متى تعصى وتهفوالى متى * تبارك ربى انه لرحيم

(قال بعض الحكماء) التسويف لمن يعلم ان المنية تأتيه بغتة غرور وترك مجالسة الحكماء حمق وطلب الحاجة من غير الله ذل وقلة معرفة الانسان بعيوب نفسه أكثر ذنوبه (روى) أن ناسا مدحوا أبابكر الصديق رضى الله عنه فقال اللهم أعلم بى من نفسى وانا أعلم بنفسى منكم فأستغفر الله مما لا تعلمون وأسئله ان لا يؤاخذنى بما تقولون (قالت عائشة) رضى الله عنها يارسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى قال الشاعر

ابدأ بنفسك وانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذران وعظت ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(روى) عن الحسن أنه قرأ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فقال هذه موعظة وعظ الله بها المسلمين (قال) بعضهم السنون مراحل والانفاس خطوات والطاعات رؤس الاموال والمعاصى قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار قال الشاعر

لله ساهر ليله ما يهجع * وجل الفؤاد من الذنوب مصدع

يبكى

يبكي بدمع ساكب هتوانه * والايل في جلبابه متبرقع
ندما على ما كان من عصيانه * ملكا تذل له الملوك وتخضع
يارب ما الذنب غير لشافر * واليك منه يا الهي المفزع
يارب عبدك ضارع فاغفر له * مالم يزل يدعوك ثم ويضرع

(حكى) عن بعض الاشياخ انه رأى الله تعالى في النوم فقال له يا عبدى بم جئتني فقال يارب جئتك بما ليس في خزائنك فقال وما هو قال الذل والانكسار فقيل له ثم الزاد زادك نقد ربحناك (وحكى). أن حاتما الاصم قال لاولاده اني أريد الحج فبكوا وقالوا الى من تكلنا وكان له بنت لها سبع سنين فقالت ما يبكيكم دعوه ويذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا فجعلوا يعذلون تلك الصبية فقالت اللهم لا تخجلني بينهم فجاز أمير البلد عليهم فقال لبعض أصحابه اطلب لي ماء فناولوه كوزا جديدا وماء باردا فشرب وقال دار من هذه فقالوا دار حاتم الاصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال من أحبني فليلق فرمى العسكر كلهم فجعلت الصغيرة تبكي فقالت أمها يا بنية ما يبكيك وقد وسع علينا فقالت يا اماه أبكي لان مخلوقا نظر الينا نظرة فاستغنينا فكيف لو نظر الينا الخالق

﴿ فصل ﴾

(عن ابن عباس) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه الا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من

لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ان عيسى عليه السلام قام في بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (قال عبد الله بن مسعود) ان أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم وأحسن السنن سنة المصطفى عليه السلام وخير الهدى هدى الانبياء وأصدق الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب اليقين وشر العمى عمى القلب والريب من الكفر والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية وأعظم الخطايا الكذب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يغفر يغفر الله له ومن يصبر على الرزية يعقبه الله خيرا وشر المكاسب كسب الربى وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وانما يكفي أحدكم ما يقنع به نفسه وانما يصير الى أربعة أذرع والامر الى آخره وملاك العمل خواتمه وأشرف الموت قتل الشهداء ومن يستكبر يضعه الله ومن يطع الشيطان يعص الله ومن يعص الله يعذبه ومن عرف الدنيا يفرغها وما قل

وكفى

وكفى خيرمما كثروألهى (قال عبدالواحد) ابن زيد جالسوا أهل
العلم والدين فان لم تقدروا عليهم فجالسوا أهل المروآت من أهل الدنيا
فانهم لا يرفثون فى مجالسهم فجالسة أهل العلم تنتج ذكاء القلوب
ومجالسة أهل الدين تجلو من القلوب صدأ الذنوب ومجالسة ذوى
المروءة تدل على مكارم الاخلاق (أتى) رجل الى ربيعة الرأى فشكا
اليه صعوبة دهره وتصرفه فقال ربيعة اكتب

أليس الزمان كما قد علمت * فمالك تحزن من صرفه
وعندك علم به ثاقب * وعين تدل على وصفه
وأيامه دول والنفوس * رهون الحوادث من حتفه
فأين المعافى من النائبات * ومن صحب الدهر لم يعفه
ومن صحب الدهر لاقى الذى * ينال على الرغم من أنفه
فكن حازم الرأى واصبر له * فللحر صبر على صرفه
ولا تخضعن الى ساقط * ولو كانت الارض فى كفه
وصن حر وجهك عن بذله * بتلميسك الترب أوسفه
فان اللئيم وان خلته * كريما يذودك عن عرفه
ويرجع محصول أخلاقه * الى اصله والى صنفه
فلا تسئل الناس ما لم يكون * ولكن سل الله واستكفه
فكل مقل وذى ثروة * فان المنية من خلفه
ومن يقض رزق له يأته * بكل مكان ويستوفه
ولو جهد الناس لم يقدروا * على دفع ذلك ولا صرفه

(قال بعضهم) اذا رضى الله عن العبد حمله ما يطيق ودون ذلك ورزقه

من حيث لا يحتسب ووفقه لفعل الخير ولم يكله الى نفسه واستنقذه من الشدائد واذا اضطر على العبد جاله ما لا يطيق وأبلاه بدين لا يجد قضاءه وأغراه بعدا وة من هو أقوى منه على دنياه وأولده بمطامع كاذبة ووكله الى نفسه وأسلمه في الشدائد (قال وهب بن منبه) كان في بني اسرائيل عابد فلبث سبعا لم يطعم هو وعياله شيأ فقالت له امرأته لو خرجت فطلبت لنا شيأ فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربي فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى أمسى وأتى أهله فقالت امرأته ماذا صنعت قال قد عملت مع أستاذلى وقد وعدنى أن يعطيني ثم غدا الى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربي فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا أمسى أقبل الى منزله فقالت له امرأته ماذا صنعت فقال ان أستاذى قد وعدنى أن يجمع لى أجرتى فخاصمته امرأته وبرزت عليه ولبث يتقلب ظهرا لبطن وبطنا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعا ثم غدا الى السوق فاستأجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربي فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا أمسى قال الى أين أمضي وانا قد تركت العيال يتضاغون من الجوع ثم تحامل على جهد منه فلما قرب من باب داره سمع ضحكا وسرورا وشم رائحة قديد وشواء فأخذ على بصره فقال أنائم أم يقظان تركت أقواما يتضاغون جوعا وأشم رائحة قديد وشواء وأسمع ضحكا وسرورا فدنا من باب داره فطرق الباب فرجعت امرأته حاسرة قد

حمرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك فأتانا بدنانير وكسوة وودك ودقيق وقال اذا جاء فلان فاقرؤه السلام وقولوا له ان أستاذك يقول لك قد رأيت عملك وقد رضيته فان أنت زدتني في العمل زدتك في الاجرة ﴿قال الشاعر﴾

عليك اذا ضاقت أمورك والتوت * بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون الا الى الله وحده * فمن عنده تأتي الفوائد والنصر

(قال سفيان الثوري) دخلت على جعفر الصادق رضي الله عنه فقلت له يا ابن رسول الله مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس فقال نعم يا ابن سعيد ان في العزلة دعة وفي الدعة القناعة وما قدرك يا ثبك يا سفيان فسد الزمان * وتغير الاخوان * فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد (قال بعضهم) ولفساد الزمان وقلة من يسكن الى مودته * ويؤمن من خانته * آثر أهل الفضل مجالسة الكتب وجعلوها عوضا لما فاتهم من مجالسة الاصحاب ووصفوها ووصفوا نفوسهم بالاقبال عليها ومن ذلك قول الشاعر

لم يبق شيء من الدنيا تسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر
مات الذين لهم فضل ومكرمة * وفي الدفاتر من احسانهم أثر

(قال بعض الحكماء) العزلة عن الناس تصون العرض وتستر الفاقة وتبعث على السلامة وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة وتورث الراحة وتبقي حسن الذكر وتقصر الامل * وتؤمن من الملل * وتولد الفكرة في الآخرة ﴿قال الشاعر﴾

الحمد لله لا شريك له * في صبح دائما وفي غلسه

لم يبق لي مؤنس فيؤنسني * الا أنيس أخاف من أنسه
فاعتزل الناس ما استطعت ولا * تركنن الى من يخاف من دنسه
والمرء يرجو ما ليس يدركه * والموت أدنى اليه من نفسه

﴿فصل﴾

(عن ابن عباس رضي الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا غلام الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيأ لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه وعلى أن يمنعوك شيأ كتبه الله لك لم يقدروا عليه فاعمل لله بالرضى في اليقين واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا (وروى عن أبي الدرداء) انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم فيوم واعدد نفسك من الموتى (وقال رجل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال له اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن (ودخل) رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أوصني قال له أوصيك بثلاث أن تحفظ آلاء الله عليك في كل حالة كنت وان تذكر اطلاع الله عليك في كل حالة كنت وان تذكر الموت ودخول القبر على أي حالة كنت (ودخل) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد ولاه فقال له أبو جعفر أوصني فقال له أوصيك بثلاث أن

تخذ

تفقد صغير المسلمين ولدا وأوسطهم أخا وأكبرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر والدك وإذا صنعت معروفا فربه وقال أبو جعفر المذكور أدبني أبي بثلاث خصال ونهاني عن ثلاث قيل له وما هن يا ابن رسول الله فقال من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم ثم أنشد

عود لسانك قول الخير تحظ به * ان اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له * في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

قيل له صدق رضي الله عنه فما الذي نهاك عنهن فقال لا تعاشر حاسد نعمة أو شامتا بمصيبة أو حاملا نميمة وأنشدني في ذلك

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

(وأوصى) أبو بكر لعمر رضي الله عنهما فقال يا عمر اني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله تعالى ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا سمعت بهم قلت اني أخاف أن لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم فاذا سمعت بهم قلت أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب

ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق فاذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه (وقال سعيد بن جبير) لابنه يا بنى انى أوصيك بوصية ان لم تحفظها منى كنت جديرا الا تحفظها من غيرى يا بنى أظهر للناس الجميل واياك وطلب الحاجة فانه فقر حاضر واذا صليت فصل صلاة مودع وأنت ترى أن لا تصلى بعدها أبدا وان استطعت أن تكون غدا خيرا منك أمس فافعل واياك أن تيأس عن شئ أتى الله منه خيرا (وعن عمر بن عتبة) قال قال لنا أبونا عتبة يا بنى انكم صغار قوم لا يحتاج اليكم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم فعليكم بالعلم والدين تنتظم لكم الدنيا واجعلوا أموالكم واقية لاديانكم يكون الله جارا لكم فان الموت فى طاعة الله حياة والفقر فى رضوانه غنى واذكروا ما خلقتم له وخلق لكم فانه لا يفنيكم من وكل بكم واياكم والعقوق فانه يثمر العقوبة (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يا بنى انك لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب وقليل من الذل يدفع كثيرا من الهوان (وأوصى) آخر ابنه فقال يا بنى نزه نفسك وسمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول بالخنا فان السميع شريك القائل وانما نظر الى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو ردت كلمة حاسد دونا ما لحق بالاذى فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها (وأوصى) آخر ابنه فقال يا بنى اذا كنت فى نادى قوم فحدث القوم ما حاذوك بآذانهم ولحظوك بأبصارهم فاذا وجدت فترة منهم فأمسك وكف عن الشتم فانه اسلم

الاعراض

للأعراض ومن يهب يهب وأحسن جوارك يحسن ثناؤك وامنع ضيم
الغريب من القريب وإذا حدثت فأوجز فإن مع الإكثار
يكون الإهذار ولا خير فيمن لا روية له مع الغضب ولا فيمن إذا عوتب لم
يعتب (وقال) سليمان بن عبد الملك لمؤدب أولاده ليكن أول صلاح
بني أول إصلاح نفسك فإن عيونهم مصروفة فالحسن عندهم ما استحسنت
والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله وروهم من الحديث أشرفه
ومن الشعر أعفه ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن زحام العلوم
مضلة للفهم وجنبهم مجالس السفلة والنساء وعلمهم سير الحكماء وهددهم
بي وأدبهم دوني وكن كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعلم موضع الداء
فقد اتكلت على أمانتك (وقال أبان) بن تغلب شهدت أعرابية وهي
توصي ابنها وقد أراد سفرا وهي تقول له يا بني اجلس حتى أوصيك وبالله
توفيقك إن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك قال أبان فوقفت أسمع
كلامها فإذا هي تقول يا بني إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق
بين المحبين وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وخليق أن لا يثبت
الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضا إلا
كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته وإياك والجود بدينك والبخل بمالك وإذا
هززت فاهزز كريما يلين لهزتك ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها
ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك
فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته لا يصدقها فعله
كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها واعلم يا بني أن الغدر أقبح
ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع العلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها

وسربالها (وأوصى) رجل ابنه فقال له يابنى ابذل المودة الصادقة تستفد اخوانا وتتخذ أعوانا فان العداوة موجودة عتيدة والصداقة متعذرة بعيدة وجنب كرامتك اللئام فانهم ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان نزلت معضلة لم يصبروا واعلم ان الحسد ماحق للحسنات والزهو جالب لمقت الله عز وجل ومقت عباده والعجب صارف للازدياد من العلم داع الى الجهل والتخبط والبخل أذم الاخلاق وأجلبها لسوء الاحدوثة (وأوصى) رجل صديقاله فقال آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ويعصمك من الردى ألجم هواك عن الفواحش وأطلقه فى المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد به شرفك (وقال بعض العلماء وصية) لايحملنك ماترى من اقبال النعمة على الجاهل على الرغبة فى الجهل ولا ادبارها عن العالم رغبة عن العلم فان اقبالها على الجاهل اتفاق وادبارها على العالم استحقاق وليس مستحق النعمة ومستوجبها كحاملها بغير استحقاق (وقال بعض الصالحين) لابنه يابنى نفسك مسترهنة بأعمالك والايام مقربة لآجالك فاشترنفسك ما دامت السوق قائمة والثمن موجودا والربح مضمونا ولاتسوفها الوقت تكون السوق فيه كاسدة والامال منقطعة متباعدة ولاسبيل الى استدراكها وقد حيل بينك وبين الثمن وهو العمل وما أحسن قول القائل

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

فالنجاة النجاة قبل حلول الوفاة والعمل العمل قبل هجوم الاجل فالويل كل الويل لمن فرط حتى تورط وآثر الاهمال حتى صار فى حيز الاهمال

الاهمال ثم هجم عليه مفرق الاحباب فحينئذ تنقطع به الاسباب
ويسدد دونه طريق الاياب ويندم يوم لا ينفع الندم حين تأخر ولم يتقدم
وانظر الى قول بعض الشعراء

قلت للنفس ان أردت رجوعا * فارجعي قبل أن يسد الطريق

وقال لقمان لابنه يا بني جالس قوما يذكرون الله بطاعته فان كنت عالما نفعك علمك وان كنت جاهلا علموك وان نزلت عليهم رحمة أو رزق كان لك فيه معهم حظ ولا تجالس قوما لا يذكرون الله فان كنت عالما لم ينفعك علمك وان كنت جاهلا زادوك جهلا وان نزلت عليهم لعنة أو سخط شاركتهم فيه وقال بعض الحكماء اصحب له ارض بالقضاء واصحب الدنيا على علاتها فانك لا ترى الا أحد رجلين متقدما أخره حظه أو متأخرا قدمه حظه فان لم ترض بالحال التى أنت فيها وان كانت دون أملك نواهيه فاقبلها اختيارا والا رضيت بها اضطرارا (قال الشاعر)

اصبر على القدر المحتوم وارض به * وان أتاك بما لا تشتهي القدر

وقال آخر لصاحب له اياك أن تذنب عوضك المعاصي فان الله لا يغفر له ولا تستغفر لذنبك الا ربك فان سواه لا يغفره واخلص لله عملك لعله يقبله وفي مثل هذا (يقول الشاعر)

الماء يغسل ما بالجسم من دنس * وليس يغسل خبث الذنب الماء

(وقال بعض العلماء) اذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع واذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع واذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع وفوض أمرك الى الله فنعم الملجأ ونعم المرجع فاذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع

(قال الشاعر)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فنعم القادر الله

(وقال بعض العلماء) لابنه يابني اياك والجزع على مافات والطمع فيما لا يرجى وما اشتد خطب الا وأعقبه فرج ولا انسد باب الا سوف ينفرج فان الله عز وجل قد جعل مع العسر يسرين وجعل في الصبر خير الدارين ومازال مع الصبر الظفر والانس ومع الجزع الكدر واليأس فاختر لنفسك مايدنيك الى الله ويقربك واطرح عنها ما يحزنك ويكربك

﴿قال الشاعر﴾

لا تجزعن ان مضت للخطب أيام * فربما ساعدت للسعد أعوام
وان تعرض عسر فانتظر فرجا * صرف الليالي كذا بؤس وانعام

(ولما) حضرت الوفاة هرم بن حيان قيل له أوص قال ما أدري بما أوصي ولكن بيعوا درعي واقضوا ديني فان لم تف فبيعوا فرسي فان لم تف فبيعوا غلامي وعليكم بخواتم سورة النحل (قال قتادة) أوصى والله بجماع الامر وبما أوصى به الله عز وجل ومن أوصى بما أوصى به الله فقد أبلغ (وقال بعض العلماء) لا أحد أجمع من السفيه للخلال المذمومة وأبعد منه من الخصال المحمودة فانه لا يستحي من المحال ولا يرى العار في حال فاحذره جهدك وباعده عن ركك فان اضطرك الدهر الى الجمع به فأعد له حلما تدفع به شره وصبرا تقمع به ذمره ولا تبتئس بما أعلق بك ولا تبال عما أصاب اليك وكن معه كمن مر بروضة شوك يسعى في تخليص جسده عنها ولم يشتغل عما تعلق بثيابه منها (وقال) رجل لبعض

الصالحين

الصالحين أوصني فقال له اتق الله سرك وعلانيتك وافعل الخير ما أمكنك ولا تضيع أمانة من ائتمنك واصدق الحديث من حدثك أو أخبرك فان فعلت ذلك فقد استعدت السياسة دينك وأرحت من المكاره قلبك وبدنك (وقال) بعض الصالحين لبنيه يا بني لا تسألوا برزق الله على عباد الله تفوزوا بالشكر وتحصلوا على الاجر ويوسع عليكم في الرزق فان لم تجدوا فكلمة طيبة فانها صدقة وان مر بكم ذو فاقة فلا تحوجوه الى السؤال فانه مقام اذلال فان لم تقدروا فقيمة مباركة فان فيها أنسا (وقالت) أعرابية لابنها يا بني عليك بحسن الخلق وجميل العشرة ولطف الموافقة ولين الجانب والاحتمال للصاحب وكف الاذى والمقاسمة في العزاء فانك تستميل القلوب وتنال كل مرغوب وتحفظك علام الغيوب (وأوصى) طاوس رجلا فقال له اني أجمع لك العلم كله في ثلاث كلمات خف الله حتى لا يكون أحد أخوف لك منه وارج الله حتى لا يكون أحد أرجى عندك منه وأحب الله حتى لا يكون أحد أحب اليك منه فاذا فعلت ذلك فقد علمت علم الاولين والآخرين (وأوصى) بعض الملوك ابنه فقال يا بني كن بما علمت عاملا وعما جهلت سؤلا وافحص الامر تجد لك واستبطن أهل التقوى وذوى الاحساب تزن نفسك وتحكم أمرك ولا تخص بسرك من لا يكتمه ولا تول أمرك من لا يفهمه ولا تثق برجل تتهمه ولا تعود لسانك الخنا وكثرة التألي ولا تكلف نفسك ما لا تقدر عليه واذا هممت بأمر خير فعجله واذا هممت بأمر شر فتأن فيه واياك وقبول التزكية فيما لا تشك فيه انك مكذوب فانها خدعة تتبعها ضرعة (وقال بعض الحكماء) ذللوا أخلاقكم

المحاسن وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم وعودوها الجميل واصبروا على الايثار على أنفسكم وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء وعظموا أقداركم بالتغافل عن دنى الامر وامسكوا رمق الضعيف بالمعونة وصلوا من رغب اليكم بجاهكم ان لم يكن بمالكم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وأصلحوا ما بدر منكم ولو بالتملق ان لم تكن حشمة واياكم والكبر فانه رأس المقت وثوب البغضة عند الله والناس (وقال بعضهم) أكثر من مخالطة أهل الادب فان صلاح الاخلاق وفسادها كثيرا ما يكون ذلك على قدر أخلاق الذين تطيل صحبتهم وتواظب على معاشرتهم وكثيرا ما يفسد الطبع الحسن معاشرة أهل الجهل والريب فانظر من تصحبه فانك موسوم بسيما من صحبت فتحفظ من دخلاء السوء وأظهر مجانبة أهل الريب واذا فطرت فيمن ترتاد لاخائك فان كان من أهل الدين فليكن فقيها غير مراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا غير جاهل ولا كذاب ولا شرير فان الجاهل أهل ان يفر عنه أبواه وان الكذاب لا يصدق في مودته وان الشرير ان سلمت من شره اكتسبت شر غيره (وأوصى) سفيان الثورى بعض اخوانه فقال اطلب العلم للعمل به ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتمارى به السفهاء وتأكل به الاغنياء وتستخدم به الفقراء فقد بلغنا ان من طلب الخير صار غريبا فى زمانه فلا يستوحش واستقم على سبيل ربك فانك اذا فعلت ذلك كان مولاك الله وجبريل وصالح المؤمنين واشتغل بذكر عيوب نفسك عن عيوب غيرك واحزن على ما مضى من عمرك فى غير طلب آخرتك وأكثر من البكاء على ما أوقرت ظهرك به من الذنوب لعلك تخلص منها وان أردت اللحاق

بالصالحين

بالصالحين فاعمل باعمالهم واكتف بما اصبت من الدنيا ولا تنس من لا ينساك ولا تغفل عمن قد وكل بك من يحصى اثرك ويطلب عملك وراقب الله فى سر يرتك وعلانيتك فهو رقيب عليك واستحى ممن هو معك وهو أقرب اليك من حبل الوريد واعرف من فاقة نفسك وحقارة منزلتها فانك ان لم ترحمها لم ترحم ولا تغشها ولا توردها الموارد وخذ منها مالك وأكثر البكاء على نفسك فانك است من الضحك بسبيل (وأوصى) بعض أئمة الصوفية ولده فقال يابنى عليك بالسيرة الجميلة والهمة الجليلة والسير على الطريقة والجمع بين الشريعة والحقيقة ولا يظهر عليك الا سر مخزون وأمر موزون وفكر يجول فيما هو كائن ويكون واجعل الشرع فى يمينك والعقل فى شمالك والتفويض بينهما واحكم فى شأنك كله بالكتاب والسنة والاجماع والقياس وعامل نفسك وغيرك بالمعروف وعليك بالتجلى والتخلى وبالبسط عند القبض وبالشكر لله على كل حال وورد لا تغفل عنه ان فاتك بالليل فاخلفه فى النهار أو فاجعله فى الذكر واعلم ان بالعلم يصعد السعداء الى المراتب العلية وبالعمل الصالح يثبتون عليها وقد صح ان العلم يفيد الكمالات كما ان العمل الصالح يحفظها ولا تعاشر أحدا غير اخوانك واهجر منهم من أهمل الادب حتى يستغفر الله وعليك باحترام كل مسلم ولا تسمح فى قليل من المنكر ولا كثيره وصم الليالى البيض وتصدق كل يوم ولو بتمرة أو بصلة وحسن ظنك بأولياء الله فهم أبواب الخير وصل الصلوات الخمس فى جامع خطبة

﴿فصل﴾

من المنقول فى تأليفنا تذكرة من اتقى (قال لقمان) الحكيم لابنه يابنى

لاتركن الى الدنيا ولاتشغل قلبك بهمها فانك لم تخلق لها وماخلق الله خلقاأهون عليه منها لانه لم يجعل نعيمها ثوابا للطيعين ولاعقوبة للعاصين يابنى ان الدنيا بحر عريض قد هلك فيه بشر كثير فان استطعت ان تجعل سفينتك الايمان بالله وعدتك التوكل على الله وزادك التقوى فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك يابنى لاتضحك من غير عجب ولاتمش فى غير أرب ولاتسئل عمالا يعنيك يابنى لاتضيع مالك ولاتصلح مال غيرك فان مالك ماقدمت ومال غيرك ماتركت يابنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لايملك لسانه يندم (وأوصى) شهاب الدين السهروردى بعض أصحابه فقال يا اخى اذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضى فان الله مطلع عليك يعلم مافى ضميرك فان رضيت فلك الثواب الجزيل وأنت فى رضاك أو سخطك لست تقدر أن تزداد فى الرزق المقسوم والامر المكتوب فان لم تجد الى الرضى سبيلا فاستعمل الصبر فانه رأس الايمان فان لم تجد فعليك بالتجمل ولاتشك من ليس بأهل أن يشكى وهو أهل الشكر والثناء فاذا اضطررت وقل صبرك فالجأ اليه بهمك واشك اليه بثك واحذر ان تستطيعه وتسىء به ظنا فان كل شئ بسبب ولكل سبب أجل ولكل أجل كتاب ولكل هم من الله فرج ومن علم انه بعين الله تعالى استحى أن يراه يرجو سواه ومن أيقن بنظر الله اليه أسقط اختيار نفسه ومن علم ان الله الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين فراقب الله واطلب الامور من معادنها واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تفشى له سرا فان غنيهم فقير وفقيرهم ذليل وعالمهم جاهل وجاهلهم حائر فى فعله

الا

الا القليل ممن عصم الله سبحانه فاتق الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فانهم فتنة لكل مفتون (وأوصى) رجل من الحكماء بنيه فقال يابني اياكم والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة للعدو واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين فاني والله ما سخرت من شئ الا نزل بي مثله فاحذروها وتوقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تتعاوره السهام فمجاوز له ومقصر عنه وواقع عن يمينه وشماله حتى يصيبه بعضها واعلموا ان لكل شئ جزاء ولكل عمل ثوابا وقد قالوا كما تدين تدان ومن يبر يوما يبر به (وأوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه عبد الله فقال) يابني اتق الله فان من اتقى الله وقاه ومن اتكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن أقرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا خير لمن لا خشية له (وأوصى) عبد الملك بن مروان بنيه فقال يابني كفوا أذاكم وابذلوا معروفكم واعفوا اذا قدرتم ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا اذا سألتم فانه من ضيق ضيق الله عليه ومن أعطى أخلف الله له (وقال بعض السلف الصالح في وصية) تفقه في الدين وعود نفسك المكروه وكل نفسك في أمورك كلها الى الله فانك تكلها الى كاف حريز ومانع عزيز وأخلص المسئلة لربك فان بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له والاستشارة به واعلم ان من كانت مطيته الليل والنهار يسار به وان كان لا يسير وان الله تبارك وتعالى قد أبى الا خراب الدنيا وعمارة الآخرة فان تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك تفز وان كنت غير قابل لنصيحتي اياك فاعلم علما يقينا انك لن تبلغ املك ولن

تعدوأجلك وانك فى ديوان من كان قبلك فأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى رغب فانك لا تعتاض بما ابتذلت من نفسك واياك ان توجف بك مطايا الطمع وتقول متى أجرمت نزعت فانه هكذا اهلك من هالك قبلك وأمسك عليك لسانك فان تلافيك مافرط من صمتك أيسر عليك من ادراك مافات من منطقك واحفظ مافى الوعاء وشد الوكاء فحسن التدبير مع الاقتصاد أكفى لك من الكثير مع الفساد والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور والمرء أحفظ لسره ولرب ساعى الى مايضره واياك والاتكال على الامانى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والدنيا ومن خير حظ قرين صالح فقارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن منهم ولا يغلبن عليك سوء الظن فانه لن يدع بينك وبين خليل صالح صلحا واعلم ان مالك من دنياك الاما أصلحت به مثواك فأنفق من خيرك ولا تكن خازنا لغيرك لم يهلك امرؤ اقتصد ولم يفتقر من زهد رأس الدين اليقين وتمام الاخلاص اجتناب المعاصى وخير المقال ماصدقه الفعال (وقال أبو نصر الكاتب فى وصية) راقب الرقيب فانه قريب واحفظ الاوقات فان الشهيد هو الحسيب ولا تغفل عن مولاك فانه دائم الشهود عليك وطهر الافكار والسرائر فانه يعلم البواطن كما يعلم الظواهر وارفض الاسباب فان بضاعتك هو الفقر ولا تساكن الدنيا فان مسكنك هو القبر واحفظ الصبر فان عدمت الرضى كفاك الصبر (وأوصى على بن أبى طالب) للحسن والحسين رضى الله عنهم فقال تنافسوا فى المعالى وسارعوا الى المكارم واكتسبوا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالبخل ذما ولا تعدرا معروفا

لم

لم تجهلوه ومهما تكن لاحد كم عند أحد نعمة لم يبلغ شكرها فالله أحسن لردها أجرا وأجزل عليها حظا واعلموا ان أفضل المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما عظمت نعمة الله تعالى عند أحد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن مل تلك الحوائج فقد عرض تلك النعمة للزوال (قال ابن العربي) قلت لبعض أشياخي أوصني فقال اقطع علائق الدنيا عنك الا مالا غنى لك عنه وتأهب لامر لا بد لك من المصير اليه واعرف الحق لغيرك بمعرفه لك ولا يقف بك التخير عن أمرين الا أخذت أقربهما الى التقوى،

﴿فصل﴾

(من المنقول في تأليفنا مقالات الادباء) قال بزرجمهر لابنه يا بني كن من الكريم على حذر ان أهنته ومن اللئيم ان أكرمته ومن الفاجر ان عاشرته ومن الاحمق ان مازحته ومن العاقل ان احرجته وكن حذرا كانك غر وكن فطنا كانك غافل وكن ذاكرا كانك ناس (وقال بعض الحكماء) في وصية لا تطلب من صاحبك خلقا واحدا وهو ذو طبائع أربع فان في تكليفه هذا خروجا من العدل الا ترى ان الله سبحانه شوق الجنة الى خلقه بضروب متفاوتة وأشياء متباينة فقال عز وجهه فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فوصف جل ثناؤه ضروبا مختلفة مما فيها ليميل كل فريق لما اشتهى منها (وقال بعض الحكماء) في وصية اذا أعجبك ما تواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن

معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك (وأوصى) الاشعث ابن قيس لبنيه فقال يا بنى ذلوا فى أعراضكم وانخدعوا فى أموالكم ولتخف بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فان لكل امرئ منكم تبعة واياكم وما يعتذر منه ويستحيي فانما يعتذر من ذنب ويستحيي من قبيح واصلحوا أموالكم بجفوة السلطان وتغير الزمان وكفوا عند حاجة أو مسئلة فانه كفى بالرد منعا واجملوا فى الطلب حتى يوافق الرزق قدرا (وقال) بعضهم فى وصية غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأت بعد ان يكن من أجلك يأتك الله فيه برزقك ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرور فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) فى وصية من علم من أخيه مروءة فلا يقبل فيه أقاويل الرجال ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى ألا لا يردن أحدكم يقينه شكا فقال له المسيب بن نجبة ومن ذا الذى يرد يقينه شكا فقال هو ان اذا علم من أخيه المروءة الجميلة ثم قيل فيه أقاويل الناس الا وقد يرمى الرامى وقد تزل السهام ويحال الكلام على طريق الشنآن والباطل يبور والله شهيد الا وان بين الحق والباطل أربع أصابع ووضع يده بين اذنه وعينه وقال الحق هو ان تقول رأيت بعينى والباطل هو أن تقول سمعت بأذنى (وأوصى) ازدشير لابنه فقال يا بنى ان الملك والعدل اخوان لاغنى لاحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك

لاهل

لاهل الدين وبرك ان عناءماعنالك من ذوى العقول (وقال) المنصور لولده يابنى لاتبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الى العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من دونه (وقال ابن عباس رضى الله عنه) لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وانى والله ما رأيت أحدا اسعفته فى حاجة الا أضاء ما بينى وبينه ولا رأيت أحدا رددته عن حاجة الا أظلم ما بينى وبينه (وقال الاصمعى) قال لى الرشيد أول يوم عزم فيه على تأنيسى يا عبد الملك أنت أحفظ منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا فى ملاء ولا تسرع الى تذكيرنا فى خلاء واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدو اياك والبدار الى تصديقنا وشدة العجب بما يكون منا وعلمنا من العلم ما نحتاج اليه على عتبات المنابر وفى فواصل المخاطبات ودعنا من رواية حوشى الكلام وغرائب الاشعار واياك واطالة الحديث الا أن نستدعى ذلك منك ومتى رأيتنا صادفين عن الحق فارجعنا اليه من غير تقريع بالخطأ ولا اضجار بطول الترداد قال الاصمعى فقلت له يا أمير المؤمنين أنا الى حفظ هذا الكلام أحوج منى الى كثير من البر (قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه) فى وصية لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم ان السماء لا تمطر له فضة ولا ذهبا وليعلم ان الله عز وجل يرزق العباد بعضهم من بعض (وقال) محمد بن حازم الباهلى لابنه يابنى اذا سألت الحوائج فتأمل بها الصباح الوجوه من ذوى العناصر

السفلة والشيم المرضية واحذر ذوى الوجوه العابسة والاكف اليابسة أصحاب القراريط وكسبة الدوانيق المعروفين بالضيق المنسوبين الى التدقيق الذين ان سئلوا ضنوا وان أعطوا امنوا فلا تخلقن بالطلب اليهم وجهك ولا تدنس بالسعى اليهم عرضك وعليك بمن أنعم الله على وجهه بالصباحة وعلى كفه بالسماحة فأولئك هم المعروفون بالصبر على ماينوبهم من ملمات الرجال (وقال الشعبى) فى وصية عليك بالصدق حيث تظن انه يضرك فانه ينفعك واياك والكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك واعلم انه لاجنة أوقى من الصدق ولاشئ أقوى من الحق ولاسبيل أخوف من الكذب ولا حادث أقبح من الزور وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وان لم ينوها والخلاص من النازلة وان لم يتوهمها (وأوصى) رجل ابنه فقال له يابنى اذا كنت فى قوم فدار بينهم تدبير فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ماعندهم ولا تستكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق فان المتابعة على الصواب احسن من الابتداء بالخطأ واعلم يابنى ان اصابتك الرأى بعد خطأ القوم أجود لك من اصابتك قبل كلامهم فانه لايعرف فضل رأيك على غيره الا بعد المعرفة بما عندهم فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه والرأى الرشيد من الكريه ومن استقبل وجوه الآراء علم مواضع الخطأ (ومن وصية بعض الحكماء) اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بالعلم والعامة تفضلك بالمال التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين واستقبل من صلاح نفسك ماستقبلك فساده ان لم تصلحه صن عقلك بالحلم ومروتك

بالعفاف

بالعفاف وتجد تلك مجانبة الخيلاء وعلمتك بالاجمال فى الطلب ان أردت أن لا يصل اليك من أحد شر فلا تعتقد الشر بقلبك ولا تطوعليه سرك وقلل التفقد لعيوب الناس يقل تفقد الناس لعيبك تجنب القول فى أخيك لخلتين أما الواحدة فلعلك أن تعيبه بشئ هو فيك وأما الاخرى فان يكن الله تعالى عافاك مما ابتلاه فلا يكن شكرك الله على العافية تعييرا لاخيك على البلاء احذره نزاتك من الفساد عند سلطانك بمثل ما اكتسبتوا به من الجد والمناصحة واحذر أن يحط التهاون بما رفعك اليه التحفظ احذر الجاهل وان كان لك ناصحا كما تحذر عداوة الجاهل اذا كان غاشا فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته فيسبق اليك مكر العاقل وتورط الجاهل لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطرائك فى وجهك فان هذا لا يكون الاردىء الغيب سريعا الى الذم اجعل اختيارك للانسان من أفعاله خصوصا لا من أقواله فان كثيرا من الناس أفعالهم رديئة وأقاويلهم سديدة طهر قلبك من دنس البخل عبه نثه وارفع نفسك عن مصاحبة أهله ونزه سمعك عن قبيح ذكره فلا داء أدوأ من البخل ولا حال أنكر من مصاحبة أهله ولا محطة أوضع من الارتسام به اذا أنعم الله عليك بنعمة فيها أفضل نعمك فاعلم ان فيها نصيبا لغيرك فتسرع الى اخراجه تأمن بغته الاستدراك

﴿فصل﴾

(لما) حضرت يونان الوفاة أوصى ابنه فقال له ابنى انى قد وافيت الاجل وقربت من الحتم وانى راحل عنك ومفارقة ومفارق أهل بيتك

واخوتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام وكنت لكم كهفا فى الشدائد وعونا على المحن وحصنا فى الرزايا فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب الرئاسة ودرج السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيدة عن الطريقة المثلى التى عليها مبنى العقل فان من ترك رأى اللب وثمرة العقل تورط فى المهالك ووقع فى مغائص التعب (وأوصى) لقمان ابنه وقد أراد سفرا فقال يابنى اذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم عليها يسرع فى دبرها واذا نزلت بأرض مكلئة فأعطها حظها من الكلاء وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك فاذا بعدت عليك المنازل فعليك بالدلج فان الارض تطوى بالليل واذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع وعليك من بقاع الارض بأحسنها لونا وألينها تربة واكثرها كلاء فانزل بها واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين واذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب وعليك بالسترة واذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع الارض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة أهلا من الملائكة واذا مررت ببقعة أو واد أو جبل فاكثر من ذكر الله فان البقاع والجبال تنادى بعضها بعضا هل مر بكم اليوم ذاكر لله وان استطعت أن لا تطعم طعاما حتى تتصدق منه فافعل وعليك بذكر الله مادمت راكبا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدعاء مادمت خاليا واياك والسير فى أول الليل وعليك بالتعاريس والدلجة من وسط الليل الى آخره واياك ورفع الصوت فى سيرك الا بذكر الله وسافر بسيفك وقوسك وتزود معك الادوية تنتفع بها ومن

معك

معك من أصحابك المرضى والزمنا وكن لاصحابك موافقا فى كل شئ يقربك الى الله عز وجل ويبعدك من معصيته وأكثر التبسم فى وجوههم وكن كريما على زادك فيهم واذا دعوك فأجبهم واذا استعانوك فأعنهم واذا استشهدوا بك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك فاذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم وان تصدقوا بصدقة أو أعطوا شيئا فاعط معهم واسمع ممن هو أكبر منك وان تحيرتم فى طريق فانزلوا فان شككتم فى القصد فتثبتوا وتآمروا فان رأيتم خيالا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيركم والحاضر يرى ما لا يرى الغائب فان العاقل اذا أبصر الشئ عرف الحق بقلبه (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يابنى انى أرانى أنقص فى كل يوم والنقص مرقاة الفناء وانك لتشتمل بعد ذلك على أمرى فتعمر منزلى وتتغنى بعدى وفى ذلك الوقت تحتاج الى مجاهدة ظن الحاسد واجحاف القاصد ورأى المعيب واطراء المنافق وكذب المحروم فان صبرت لها رزقا بالتها بحسن الروية وسدادا لتدبير فهو رت هذه الجماعة منك حسيرة مدحورة وبعد عن القادح أن يقدح فى شئ من أمرك واعلم ان مالك من مالك أكثر من ما أحرزات المكانة فى أهل طبقتك فأقمه مقام الشريك الذى تثق بسرعة اجابته وتحمد حسن صحبته ويرى زيادة جاهك ونقصانه بزيادته ونقصانه فلا تسعفن فيه رأيا نصدى لك فانه أجرى عليك منه ولا تجمع بك الرغبة فى الازدياد منه الى الطلب لمحظور عليك فان قليل ما تحبث من المال يمحق كثير ما طاب منه واعلم ان الشهوات حلوة الموارد مرة المصادر وان طاعة الرأى مرة المورد حلوة المصدر فتحمل ما فى يديها

لما فيهما ولا تنس ان التطامن لمن فوقك والرأفة بمن دونك أكبر من صبرك على استعتاب من فوقك واحتمالك لمن ضعف منك أزيد من احتمالك لمن قوى عليك واعلم ان أضر من عاشرته مغريك ومطريك ومن قصرت همته عن همتك واعلم انك ان ظننت بالشئ أكثر مما فيه فقد بلك أحوج ما كنت اليه وان ظننت به دون ما هو فيه تظالمت منك قواه فناسب بعملك طبيعة الزمان ما لم يقدح ذلك في مروءتك ودينك وأخلاقك فاذا بلغ الى هذه الثلاثة تخل منه ولا تستهين بصغير الخطأ في كبير العمل واحذر ان تستصغرن لك عدوا فيهجم عليك مكروهه من زيادة مقداره على تقديرك فيه واعلم ان الزمان الردئ يقلب أعيان المنعمين الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من كفر الاحسان ومقابلة الجميل بالقبيح وينبغى للعاقل أن يخدم فى شبيبته زمان الشيخوخة قبل مجيئه كما يخدم فى الصيف زمان الشتاء قبل هجومه فانه يجمع الحطب وما لا يصل اليه فى ذلك الوقت لصعوبته عليه واجعل حذرك من الناس أكثر من رجائك لهم وتحرزك منهم أكثر من استئناستك اليهم واذا ضاق منهم وفرك فليسعهم بشرك واعلم ان تكبر الحر على من فوقه وتكبر النذل على من دونه وينبغى أن تخاف الضعيف اذا كان تحت رأيه الانصاف اكثر من خوفك القوى تحت رأيه الجور فان النصر ربما أتاه من حيث لا يشعر واعلم ان احتمال المكاره فى هذا العالم والصبر على المحن كراء الحياة وخرج يلتزمه العاقل لايام البقاء واعلم ان من غلب الشباب ومساعدة الحظ ولم يثنياه عن الامور الفاضلة فهو القوى ومن تصور صدره فى ورده وجعله نصب عينيه وفى فكرته فهو السعيد النجيب ومن قضى ما أسلف اليه من الاحسان فهو تام

الحرية

الحرية واعلم ان الميل الى الراحة غفلة عن عدو لا يغفل وان من ضعف لسره لم يقو لشئ من أمره وان الاحرار تخاف التبكيت كما تخاف العبيد الضرب واعلم ان أعظم الفاقات فاقة الرجل الى حاشيته وان الخيار يرغبون عند الحاجة والشرار يرغبون فى الحاجة والشهوة وان سياسة الغنى للفقير أشد من سياسة الملك الرعية وان الجدة لا تكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه خير والشدة لا تكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه شر واعلم ان المعروف ذخيرة لا يحتاج صاحبها الى حارس فعاشر الشكس بالتواضع والمهين بالتأمر والبخيل بالمسامحة والسخى بالرغبة اليه ولا تغفلن فى كل الاحوال عن ثمرة حسن المداراة واعلم ان أضيق المشاهد مكان لم تجد فيه معينا لك ولا مشيرا عليك وأخوف المسالك حال حسنت فيها مفارقة حريتك وجميل أوصافك وتعددت فيها رذائلك وأسوأ المجاورين لك مخالط يحرف حسنك ويحسد فضلك ويتتبع غوائلك واذا حاولت أمرا فلا تجمع اليه ولا تر معه فأكثر جهدك وكن فيه مثل الملاح فى قطع عرض البحر يسرق له الرياح والجرية واستعمل الاخلاص لله تعالى فيما عجزت عنه لانه ربما كان الاغراق فى الامر سببا للفوات والاخطار بصاحبه فيه واعلم ان الجاه زكاة تجب على صاحبه وهى السعى فى انصاف المظلوم وقضاء حاجة المستور وتقريب النجح ممن عجز جاهه وعزت عليه مطالبه وهذه تربه وتزيد فيه واعلم ان الدهر حاملك على طبقات منها حال السخاء حتى تدنو من السرف ومنها حال الاقتصاد حتى تدنو من البخل ومنها حال الاناءة حتى تدنو من البلادة ومنها حال المناهدة للفرصة حتى تدنو من الطيش ومنها حال الزلاقة فى اللسان حتى تدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكم

الصمت حتى تدنو من العز وأنت جدير أن تبلغ فى كل طبقة حدها فى محاسنها فاذا وقفت على الحدود التى لا تجاوز معها منعت نفسك ما وراء ذلك واعلم انك بعين الله فى تصرفك وتقلبك وانه مطلع على خائنة قلبك وما عقدت عليه نيتك فخف خلافه واحرص على طاعته يجمع لك بين احسانه لك فى الدنيا ورضاه عنك فى الآخرة وانا أسأل الله أن يرشد مسعاك ويحسن الاختيار انه سميع الدعاء قريب الاجابة (وأوصى بعض العلماء) ابنه فقال له اعلم يا بنى ان الادب أفضل الاثاث وان المروءة أفضل الميراث والادب زينة الحسب وصلة فى المجالس وأنس فى الوحدة وعون فى المروءة وانما المرء بمروءته وأصل المروءة اجتناب المرء ما يشينه واختياره ما يزينه ولا مروءة لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا عقل له ﴿قال الشاعر﴾

وما أدب الانسان شئ كعقله * وما عقله الا بحسن التأدب

فواظب يا بنى على طلب الادب جهدك واشغل به عقلك وتدبر منه فى الخلا ما يزينك فى الملا ﴿قال الشاعر﴾

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد رسمت لك يا بنى رسما ان لزمته أجلك الملوك وانقادت لك السوقة والصعاليك يا بنى أول ما أوصيك به تقوى الله تعالى والشكر له فى السر والعلانية وامتثل قول الشاعر

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورع عن محارم ربه * فهناك يدعى فى الانام ظريفا

واعلم يا بنى ان الشكر مزاد والتقوى خير زاد ﴿قال الشاعر﴾

ولست

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا * وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريب * ولكن الذي يمضي بعيد

يا بني اذا اجتمعت عليك أشغال جمة فابدأ بأحبها الى الله عز وجل وأحمدها عاقبة ففي ذلك (قال الشاعر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل * محصى عليك وما خلفت موروث

واعلم يا بني ان الصبر أفضل الاعمال وأحسن المعاقل فعليك بالصبر على طاعة الله عز وجل على ما أحب الناس أو كرهوا فقد قال الشاعر

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره * ألذ وأحلى من جنى النحل في الفم

يا بني استغن عن الناس جهدك يحتاج الناس اليك واعلم ان أغنى الناس عن الناس من أفرد الله بحاجته وما استغنى أحد بالله الا افتقر الناس اليه قال الشاعر

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم من طالب كان مطلوبا اليه وراغب صار مرغوبا ما لديه واعلم ان الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان وكن كما قال الشاعر

وعد من الرحمن فضلا ومنة * عليك اذا ما جاء للعرف طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب
رايت التواهذا الزمان بأهله * وبينهم فيه تكون النوائب

يابني اذا فعلت معروفا فلا تمن به فان المنة تهدم الصنيعة وتحبط الاجر وتسقط الشكر ولذلك قال الشاعر

فلا تك منانا بخير فعلته * فقد يفسد المعروف بالمن صاحبه

وكن يابني أحسن ماتكون في الظاهر حالا أقل ماتكون في الباطن مالا واعلم ان الكريم قد كرمت عند الحاجة طبيعته وظهرت عند الافتقار نعمته قال الشاعر

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

يابني عليك بالوفاء فانه يدعو الى التقي واعلم انه لا يتم كرم المرء الا بحسن وفائه ولذلك قال الشاعر

ان الوفاء بعهد الله عادتنا * ولا يفي بعهود الله كذاب

يابني اذا وعدت أحدا عدة فتممها وعجل بها واياك أن تقول لا فيما قلت فيه نعم وامتثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ولا أقول نعم وأتبعها بلا يوما * ولو ذهبت بالمال والولد

يابني خذ في أمورك بالاناءة وحسن التثبت تسلم من عتاب الاخوان عند عواقبها كما قال الشاعر

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

يابني اذا ائتمنك أحد على أمانة فاله عن ذكرها حتى تسلمها مصونة الى أهلها وفي ذلك قال الشاعر

واذا ائتمنت على الامانة فارعها * ان الكريم الى الامانة راعي

يابني القَ صديقك وعدوك بوجه الرضي وكف الاذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن في الامور متوسطا فان خير الامور أوساطها وكن

الاخوان

الاخوان في الحضر والرفقاء في السفر قال الشاعر

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي * مشيئتهم وأترك ما أشاء

يا بني أكرم عرضك وصنه جهدك واجعل مالك وقاية لعرضك واجعل عرضك وقاية لدينك وكن كما قال الشاعر

أقي بمالي عرضي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال في المال ان أودى فأكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

يا بني كن حذرا كأنك غر وكن ذاكرا كأنك ساه وكن فطنا كأنك غافل فان اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل واذا اعتذر اليك أحد من قول بلغته عنه أو سمعته منه فاقبل معذرته ولا تدع صلته فتكون قد جعلت صديقا عدوا وفي ذلك يقول الشاعر

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق بخيلا بالسر على جميع الخلق فان من تمام كرم الحر القيام بالبر والبخل بكتوم السر كما قال الشاعر

أجود بمضنون البلاد وانني * بسرك عمن رامني لضنين
وان ضيع الاخوان سرا فانني * كتوم لاسرار العشير أمين
وعندي له يوما اذا ما ائتمنته * مكان بسوداء الفؤاد كنين

يا بني اذا التبس عليك أمر فشاور لبيبا واذا أرسلت رسولا فليكن حليما فان لم يكن حليما فكن رسول نفسك فان مشاورة اللبيب قوة لرأيك وحلم رسولك حزم في أمورك وفي ذلك قال الشاعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه

يا بنى اذا استشارك عدو أو صديق فامنحه النصيحة فان فعلت قلت بالحكمة وبرئت من التهمة وفى ذلك قال الشاعر

أشر اليوم علينا بالهدى * فتى يستشار الحر يشر

ولا تدع يا بنى مواصلة الكريم وفر الفرار كله من اللئيم فانه لا يستقيم لك وده الا من حاجته اليك أو فرق منك فان استغنى عنك كان عليك واذا احتجت اليه هنت عنده قال الشاعر

ان من أحوجك الدهر اليه * وتعلقت به هنت عليه
ليس بصفو ودّ من واخيته * ان تعرضت لشئ فى يديه

يا بنى عليك بالصدق فانه زين فى الدنيا ونجاة فى الآخرة وصدق يعطب صاحبه خير من كذب ينجو به كاذبه وقد قال الشاعر

ان خير المقال ما وافق الحق * وان قط فيه حبل الوريد
ولقط الوريد فى الحق خير * من دراك المنى على التفنيد

وجنب الكذب فانه شين فى الدنيا ووبال فى الآخرة والكذوب يرد صدقه كما يرد كذبه وعليك بالسخاء واكتساب الحمد والمداراة عن العرض وخذ بقول زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

واعلم يا بنى ان بر الوالدين حسن الطاعة لهما وبرهما بين الترحم عليهما والكف عن أعراض الناس صيانة لاعراضهما قال الشاعر

وما عق مولود من الناس والدا * عقوق الذى يجنى لوالده شتما

يا بنى

يابني لا تستخف بحقوق الرجال فيستخفوا بحقك واقبل منهم الجميل وكافئ عليه فانك اذا فعلت ذلك دام لك حمدهم وصفا لك ودهم وخذ بقول الشاعر

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة * ودع كدر الاخلاق واعمد لما صفا
وبغى عدو كاشح قد علمته * فكنت كمن أغضى بعين على قذى

يابني اذا أحببت فلا تفرط واذا أبغضت فلا تشطط وقد قال الشاعر .

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لا تدري متى أنت قاطع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا * فانك لا تدري متى أنت راجع

يابني وان سمعت كلمة جاهل فكن كانك غير شاهد قال الشاعر

اعرض عن العوراء ان أسمعتها * واقعد كانك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الامور وبحثها * فلرب حافر حفرة هو يصرع

يابني اذا نازعتك نفسك الى أمر هو لك شائق تخوفها المقت وعاتبها على ما به طالبتك فان لم ينفعها كتابك فكيف ينفعها كتاب غيرك وفي ذلك قيل

وليس عتاب الناس للمرء نافعا * اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

يابني اياك والبخل فانه لوم وصاحبه مذموم واياك والمطل فانه أجلب للذم من البخل قال الشاعر

اذا اجتمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
فلا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

يابني لا تنقل نميمة فتكسب بها شتيمة مع ان من عرف بها تحفظ من مجالسته وزهد في مواصلته قال الشاعر

ان الكريم الذى تبقى فى مودته * ويحفظ السران صافاوان صرما
ليس الكريم الذى ان زال صاحبه * بث الذى كان من أسراره علما
يابنى لا تعب أحدا بما يبدو لك من عيوبه فاذا هممت بذلك فاذكر عيوب نفسك فانك ترى ما يشغلك عن عيوب الناس فان عبت أحدا بما فيه كان ذلك قبيحا وأقبح منك أن تعيبه بما فيك وفى ذلك قال الشاعر
اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم * فلا عيب الا دون ما منك يذكر
فان عبت قوما بالذى هو فيهم * فذلك عند الله والناس منكر
وان عبت قوما بالذى فيك مثله * فكيف يعيب العور من هو أعور
يابنى اياك وقرين السوء فانما صلاح أخلاق المرء بمقارنة الكرام وفسادها بمحادثة اللئام وانما يعرف المرء بقرينه وخدينه قال الشاعر
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى
يابنى اياك وكثرة الكلام والمزاح والضحك فان مع كثرة الكلام الزلل والمزاح يورث البغضاء وكثرة الضحك يذهب البهاء فأقلل من الكلام وأفش السلام وليكن ضحكك تبسما ولا تمازح شريفا فيحقد عليك ولا وضيعا فيجترئ عليك قال الشاعر
واياك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا
والزم الصمت وليكن كلامك بتقدير وصمتك فى تفكير وحصل القول وترسل فيه ومن أكثر أهجر قال الشاعر
وأقلل اذا ما قلت قولا فانه * اذا قل قول المرء قل خطاؤه
يابنى لا تمازح حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واعلم
ان

ان المراء يمرض قلبك ويضعف رأيك ويزرى بمروءتك عند جلسائك ويفسد الصداقة القديمة وفى ذلك قال الشاعر

فاياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

واعلم يابنى ان من الكلام ماهو أحر من الجمر وأمر من الصبر وقد قال الشاعر

النار أبلغ أوجاع سمعت بها * والقول أبلغ من كى المساميم

يابنى ان لكل مقام مقالا ولكل كلام جوابا وكل كلام منكر الاوجوابه أنكر وقد قال الشاعر

ما أحر الكلام يرحمك الله * ولكن أمر منه الجواب

يابنى لا تغترن بالمال فانه كالمسافر يحل ويرحل واعلم ان العقل مقيم لا يبرح ومثل من له مال ولا عقل له كرجل له نعل ولا رجل له ومثل من له عقل ولا مال له كرجل له رجل ولا نعل له فان آتاه الله بالنعل فالرجل مهيأة له وان أتى بنعل من لا رجل له فانما هى أعجوبة فى الناس قال الشاعر

اذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنى * فأنت كذى رجل وليس له نعل
وان كنت ذا مال ولم تك عاقلا * فأنت كذى نعل وليس له رجل

يابنى اذا أتيت بلدا أهلها على غير ما تعرف فاترك كثيرا مما كنت تعرف وخذ بما يعرفون فان ذلك من حسن المداراة وكثير من دارى فلم يسلم فكيف بمن لم يدار قال الشاعر

ياذا الذى ليس له والد * يمشى على الارض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده

ان جئت ارضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

يابني كن من الحليم على حذر ان أحرجته ومن اللئيم ان أكرمته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته واعلم ان من الناس من يقول ويفعل ومنهم من يقول ولا يفعل ومنهم من لا يفعل ولا يقول وهو خيرهم وشرهم الذي يقول ولا يفعل يابني اغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث أحدا بعجائبك بولدك وزوجتك ولا بعجائبك بسيفك ولا فرسك واياك وأحاديث الرؤيا فانها تطمع فيك السفهاء فيولدوا لك الاحلام ويفسدوا في عقلك ولا تلبس من الثياب مشهورا ولا تتخذ من الدواب مبطورا ولا تتصنع تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل العبد وتوق الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تخضع في الطلبات واياك أن تعلم أهلك وولدك كثرة مالك أوقلته فانهم ان علموا قلته هنت عليهم وان علموا كثرته لم تبلغ به رضاهم يابني أخف أهلك وولدك في غير عنف وارفق بهم في غير ضعف ولا تر زوجتك حب الافراط فتجترئ عليك ولا ترها بغضا فتنفر منك وأحب ولدك وأحسن أدبه ولا تهازل أمتك ولا عبدك يابني اذا خاصمت فدع الحدة وفكر في الحجة واصبر ان خصمك ولا تغضب فتذهل عن حجتك وأر الحاكم بينكما حلمك ولا تكثر الاشارة بيدك وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان أمن اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهي واياك أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وحشمه وغلمانه وان كان لقولك فيهم مطيعا فان أهل الملوك أصحاب خلواتهم وبطانتهم يحضرون لك في موضع يربونه الوقيعة فيك ويولدون

في

فى صدره ما يغيره عليك وان الدخول بين السلطان وأهله زلة لا تقال يا بنى اذا ركبت فلا تكثر من ضرب دابتك ولا تخفق بقدميك فى ركابك واذا سايرت موكبا فكن فى وسطه ولا تكن أمام القوم فتثير الغبار عليهم ولا خلفهم فيثيروا الغبار عليك يا بنى لا تقرض عرضك لمن هو دونك ولا تنقض عهدا فتحمل بذلك حقدا وأقلل الكلام على الطعام الا بالحمد لله وكذلك عند الخلاء يا بنى اتق الله يكفيك ما تخافه وتتقيه واحذر ان تعصيه فانه ليس لك من ورائه وزر ولا من دونه معتصم واياك والفجور بحرم الناس فانه ما انتهك امرؤ حرمة الا ابتلى فى حرمه بمثله واياك والخمر فانها متلفة للمال طلابة لما لا ينال وفيها مفسدة العقل وسقوط الهيبة والبهاء واياك والاختلاف فانه ليس معه ائتلاف ولا يكن لك جار السوء جارا ولا خدين السوء زوارا

﴿فصل﴾

كان مما حفظ من مكاتبة ازدشير بن بابك الى خواص رعيته وعماله من ازدشير بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين هم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والحراث الذين هم عمدة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا أتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تأووا غدا فى المعاد وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا الى الدنيا فانها لم تدم لاحد ولا تهتموا بها فلن يكون الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة

لاتنال الا بها (وكتب) ملك الروم الى سابور بن ازدشير (أما بعد) فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ماتحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما احببت ان أسلك فيه طريقتك وأركب منا هجك (فكتب) اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا وجازيت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلا مقت وخوفا بلا جرءة وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقلوب وحسمت الفضول (وكتب) سابور الى بعض عماله اذا استكفيت رجلا فاسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاق يده بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قف من أمره على ماله تدبيته ليمتله أماما و يحفظه كلاما فان وقع أمره بما قدر سمت فاجعله غرضك وأوجب زيارته عليك وان خاص من أمرك طلقته حبلك وانطلقت بالعقوبة يدك (وكتب) هرمز بن سابور الى بعض عماله انه لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال فهم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا تنقضها الملمات بتواتر حوائجها وصدق الوعد والوعيد ليوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تبذير الاموال في حقها (كتب) حكيم الى حكيم (أما بعد) فاني سائلك عن ثلاثة ان أجبت منها تلمذت لك (فكتب) اليه سل وبالله التوفيق فكتب اليه أي الناس أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبم تتاقى النعمة من الله عز وجل

(فأجابه)

(فأجابه) أولى الناس بالرحمة الرجل البر يكون فى بلد الامير الجائر فهو خائف حزين لما يرى ويسمع والعاقل فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتنال النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فأقبل عليه ذلك الحكيم فتلمذ له حتى مات (وكتب) أيضا حكيم الى حكيم يشكو اليه دهره (فأجابه) أما بعد فانه ليس من أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه وانك لن ترى من الناس الا أحد رجلين اما متقدم أخره حظه أو متأخر قدمه حظه فارض بالحال التى أنت عليها وان كانت دون أملك فان رضيت بها فذلك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا وفى مثل ذلك قال الشاعر

لقد غرت الدنيا رجالا فاصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط عيش لا يبدل غيره * وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

(وكتب) ملك مصر الى بعض الحكماء ان اكتب لى بأشياء أنتفع بها وأوجز فكتب اليه أوفق الامور ترك الفضول والتحفظ من السقوط ولزوم الصواب وأصل المعيشة اصلاح المال بالتقدير فان التبذير مفتاح الفقر ومن العجز والتوانى تنبعث الهلكة وأحوج الناس الى الغنى من لم يصلحه الا الغنى وفى المشورة والعدل صلاح الرعية ورضى الناس غاية لا تدرك والبر أجمعه فى حسن الخلق والنجح مع الصبر والنجاة مع الايمان والعفو

يوجب المحبة والحلم قائد القلوب والرفق بالرعية يوجب الطاعة والفتنة ينشئها الضغائن والنعمة تستدام بلزوم الشكر مع اطراح الهوى والمعاصى (وكتب) أكثم بن صيفى فى وصية لطى أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم وإياكم ونكاح الحمقاء فإن نكاحها غرر وولدها ضياع وعليكم بالخيل فأكرموها فإنها حصون العرب ولا تضعوا رقاب الابل الا فى حقها فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ولو أن الابل كلفت الطحن لطحنت ولم يهلك أمرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل والرجل خير من ألف رجل ومن عتب على الدهر طالت معتبته وآفة الرأى الهوى والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغضة مع الغنى والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك والحسد داء ليس له دواء والشماتة تعقب البكاء ومن ير يوما يربه وقبل الرمى تملأ الكنائن والندامة مع السفاهة ودعامة العقل الحلم وخير الامور مغبة الصبر وبقاء المودة عدل التعاهد ومن يزر غبا يزدد حبا والتغرير مفتاح البؤس ومن التوانى والعجز نتجت الهلكة ولكل شئ ضراوة فضر لسانك بالخير وعى الصمت أحسن من عى المنطق والحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت وكثير النصح يهجم بك على كثير الظنة ومن الحف فى المسئلة ثقل ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان والرفق يمن والخرق شؤم وخير السخاء ما وافق الحاجة وخير العفو ما كان بعد القدرة (وقيل) ان زبيدة زوجة هارون الرشيد كتبت الى منصور بن عمار (أما بعد) فكيف يقف ذو اللب على ما ينفعه وكيف يجتنب ما يضره فكتب اليها (أما بعد) فمن أبصر عيب

نفسه

نفسه شغل عن عيب غيره ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر من اللباس ومن رضي برزق الله تعالى لم يحزن على ما في يدي غيره ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر بئرا لاخيه وقع فيها ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن نسي زلته استعظم زلة غيره ومن كابد الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن فجر عليهم قصم ومن سفه عليهم شتم ومن خالط الارذال حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن تهاون بالدين ارتطم ومن اغتنم أموال الناس افتقر ومن انتظر العاقبة اصطبر ومن خشي الله فاز ومن لم يجرب الامور قتل ومن صارع أهل الحق صرع ومن احتمل ما لا يطيق عجز ومن كثر غلطه كثر سقطه ومن عرف أجله قصر أمله ومن استفاد الجهل فقد ترك طريق العدل (فكتبت اليه) أما بعد فانا قد وقفنا على عيوب النفس فكيف لا نقف على عيوب الدنيا (فكتب اليها) أما بعد فان الدنيا من طلبها طالبته ومن داهنها كلمته ومن صادقها اقتلته ومن اطمأن اليها اخذلته ومن رفضها رفضته ومن تركها ولم يخدمها خدمته امتحنها من جهلها واستنكرها من عرفها نجا الناجون عند ادبارها وهلك الهالكون عند اقبالها فالعاقل يجعل الزهد حسامه والحق سهامه والورع قوسه والنصيحة درعه والقنوع رمحه وكتاب الله عز وجل حماه والرفق مركبه والعقل تجافيفه والعمل عدته والآمال بأسه والنية جنته والصمت ترسه والتقوى طليعته وخشية الله تعالى حصنه والسلام (وكتب) يوسف ابن اسباط الى حذيفة المرعشي أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله والعمل

بما ملك الله والمراقبة حيث لا يراك الا الله والاستعداد لما ليس لاحد فيه حيلة ولا تنفع الندامة عند نزوله واحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدا فان الدنيا ميدان المتسابقين ولا تقعد عن ألطهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف (واعلم) يا أخى انه لا بد لى ولك من المقام بين يدى الله تعالى فيسئلنا عن الدقيق والخفى وعن الجليل والجافى ولست آمن أن يسألنى واياك من وساوس الصدور ولحظات العيون والاصغاء الى الاستماع وماعسى ان يعجز مثلى عن وصف مثله واعلم يا أخى ان ما وصفوا به منافقوا هذه الامة انهم خالطوا أهل الدنيا بأجسامهم وطابقوهم عليها باهوائهم وخضعوا لما طمعوا فى نائلهم وسكتوا على ما سمعوا من باطلهم وفرحوا بما رأوا من زينتهم وظاهر بعضهم بعضا بالقول والفعل ولهم من الظاهر واعمال السر الحامد والرياء فقد صرنا فى زمان هذه صفة أهله الا من شاء الله وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى والسلام (وكتب) سلمان الفارسى الى أبى الدرداء أما بعد فانك لن تنال ما تريد الا بترك ما تشتهى ولن تدرك ما تأمل الا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكرا وصمتك فكرا ونظرك عبرة فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام (فاجابه أبو الدرداء) أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله وان تأخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك واذكر حياة لا موت فيها فى احدى المنزلتين اما فى الجنة واما فى النار فانك لا تدرى الى أيهما تصير والسلام (وكتب) بعض الزهاد الى أحمد بن حنبل أما بعد فمن أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته ومن

اصلح

أصلح دنياه أصلح الله آخرته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن تزى للناس بما ليس فى نفسه أساء الله به ظنهم ومن خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله وكله الله الى نفسه واليهم ولن يغنوا عنه من الله شيأ فالهرب الهرب والنجاء النجاء واياك أن تقنع بما تؤه باسمك فى الخلق فانك لن تنجوا من الله الا باداء فرائضه ولا تهرب ولا تصب اليه بمثل النصح فعليك بالنصح له وقل الحق فان الحق قديم ولا تدع أن تصلنى منك موعظة يحلى بها قلبى ويقشعر منها جلدى وتذرف بها عيناى فلست بمستغن عن علمك ورأيك نفعنا الله لنا ولك بخير وما ترك عبد شيأ من مخافة الله الا عوضه الله خيرا منه وفى الله خلف من كل هالك وعوض من كل فائت وأنس من كل وحشة وغنى من كل عدم وعزاء من كل مصيبة فبالله نثق وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿فصل﴾

(كتب) على بن أبى طالب رضى الله عنه الى ولده الحسين من عبد الله على أمير المؤمنين الوالد الفانى المقر للزمان المستسلم للحدثان المدبر العمر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الى الولد المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك عرضة الاسقام ورهينة الايام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وأسير المنايا وقرين الرزايا وصريع الشهوات ونصب الآفات وخليفة الاموات أما بعد يا بنى فان فيما تفكرت فيه من ادبار الدنيا عنى واقبال الآخرة الى وصنو الدهر على ما يزعنى عن ذكر من سواى والاهتمام بما ورائى غير انه حيث تفرد بى هم نفسى دون هم الناس وصدقنى هواى صرح بى محض رأيى فأفضى بى الى جد لا يزرى

به لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك يابني من بعضي بل وجدتك
من كلي حتى كأن شيأ لو أصابك أصابني وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني
عناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي كتبت اليك كتابي هذا يابني ان
بقيت أو فنيت فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل وعمارة قلبك بذكره
والاعتصام بحبله فان الله يقول واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
اخوانا وأي سبب يابني أوثق من سبب بينك وبين الله عز وجل أحي قلبك
بالموعظة ونوره بالحكمة وقوه بالزهد وذلله بالموت وقرره بالفناء وحذره
صولة الدهر وتقلب الليالي وأعرض عليه أخبار الماضين وسر في ديارهم
وآثارهم فانظر ما فعلوا وأين حلوا فانك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور
ونزلوا دار الغربة وكأنك عن قليل يابني قد صرت كأحدهم فبع دنياك
بآخرتك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والامر
فيما لا تكلف ومر بالمعروف بيدك ولسانك وكن من أهله وأنكر المنكر
بيدك ولسانك وباين من فعله وخض الغمرات الى الحق ولا تأخذك في الله
لومة لائم واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا فلا خير في علم لا ينفع واعلم
انه لا غنى بك عن حسن الارتياد مع بلاغك من الزاد فان أصبت من أهل
الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه فان أمامك
عقبة كؤدا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا وأجمل في الطلب وأحسن
في المكتسب فرب طلب قد جر الى حرب وانما المحروب من حرب دينه
والمسلوب من سلب يقينه واعلم انه لا غنى يعدل الجنة ولا فقر يعدل النار
والسلام عليك ورحمة الله (وقال رضي الله عنه)

صن النفس واحملها على ما يزينها * تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تر ين الناس الا تجملا * نبا بك دهر أو جفاك خليل
فان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد * لعل صروف الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئ متلون * اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عنه بماله * وعند احتمال النائبات بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

(قال كميل ابن زياد) أخذ علي رضي الله عنه بيدي فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها يا كميل احفظ عني ما أقول الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع لكل ناعق أتباع يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى كل وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق يا كميل محبة العلم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ثم قال ها ان ههنا علما وأشار الى صدره لو أصبت له حملة بل أصيبه لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على معاصيه أو منقادا لحملة العلم لا بصيرة له في احنائه يقدح الشك في قلبه بأول ناعق من شبهة الا لا ذا ولا ذاك أفمن هو منهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات ومغرم بالجمع والادخار وليس من دعاة الدين أقرب شبها به الانعام كذلك

يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خافيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وميثاقه وكم وأين أولئك الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الامور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا اليهم والى رؤيتهم وأستغفر الله لنا ولهم انصرف اذا شئت (واذ قد تضمنت هذه الوصية ذكر العلم وتعليمه وحملته) فلنذكر العلوم الضرورية على الانسان وما يلزم تبديته وتقديمه منها فى تعلمه لها وأجعل ذلك خاتمة كتابى هذا تيمنا وتبركا بذكرها وتحريضا على تعلمها ونشرها لتعظم بها الفائدة وتكمل فيها العائدة والى الله سبحانه أبتهل فى حسن العون والتأييد والتوفيق والتسديد

﴿فصل﴾

قال الامام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحق الحافظ رحمة الله عليه اعلم ان أحق ما يلزم المرء تبديته وتقديمه تعلم القرآن فان الله تعالى يقول ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الآية وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فى كثير من الآيات يكثر تعدادها ففيه والحمد لله الهدى الساطع والنور اللامع وشفاء الصدور ومراهم القلوب سراج لا يخبو ضياؤه وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه وبحر لا يدرك غوره المانع من الهلكة والبوار والدال

على سبيل الجنة والنار من رزق علمه استغنى به عن كل علم ومن علمه وتعلمه تعلم خير العلوم وأفضلها وهو أقرب ما يتقرب به العباد الى ربهم عز وجل (عن الحارث الاعور) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتك ستفتتن من بعدك فسأل رسول الله أو سئل ما المخرج منها قال كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولي هذا الامر من جبار فحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فلم تتناه أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه ثم قال الحارث خذها يا أعور فمن تعلمه فليصبر على ما يعرض له دون تعلمه ولا يكن همه في تعلمه اقامة حروفه دون القيام عند حدوده وليحذر من أن يتكبر فيه أو يأكل به ولا يترك قراءته ودرسه ليبقى له حفظه ولا يغفل عن القيام به في الليالي ويستعين على حفظ القرآن بقراءته ودوام الاصحاب والرفقاء ليبحث عن علومه ومعانيه وليحذر الكلام فيه بغير علم وليحذر أن يتوانى فيه وينساه (عن سعيد بن عبادة رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتعلم القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجذم (قال الحسن) قراء القرآن ثلاثة أصناف صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله وصنف عمدوا الى دواء القرآن فوضعوه على داء

قلوبهم فركدوا به فى عمارتهم وحنوا به فى برانسهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث وينصر بهم على الاعداء والله لهذا الضرب فى حملة القرآن أعز من الكبريت الاحمر (ثم) الذى يتلو القرآن من العلوم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فانها الحكمة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن أراد حفظ الاحاديث التى فى الاصول الصحاح فليكن فى طلبه الحديث محتسبا صادق النية فان أهل الحديث خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته من بعده (عن ابن عباس رضى الله عنه) قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارحم خلفائى قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس (فاذا) أحرز صدرا من علم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فليأخذ فى علم الفرائض فانه ثالث علوم الدين وعليه المعول فى قسمة المواريث بين المسلمين (و) المختار من علم الفرائض مذهب زيد بن ثابت الانصارى (عن عبد الله بن عمر) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فضل آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة (فاذا) أحكم علم الفرائض فليأخذ فى الفقه فانه علم الحلال والحرام وهو عصمة فى الدين وزينة فى الدنيا ويحسب الفقيه من المدحة قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (و) الذى يستحب التعلم من مذاهب الفقهاء مذهب أهل المدينة والحجاز (عن معاوية بن أبى سفيان) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخير

عادة

عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (ثم) يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو لانه آلة لجميع العلوم لا يجد أحد منه بدا ليقيم به تلاوة كتاب الله ورواية كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكيلا يخرجه جهل الاعراب الى اسقاط المعانى (عن عمر رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله امرأ أصلح من لسانه (و) ليأخذ بحظ من علم الغريب ومعرفة اختلاف اللغات ففيه اذراب اللسان وفصاحة المنطق ومعرفة المشكل وبيان الغامض (عن عطية السعدى) قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أناس من بنى سعد بن بكر فأتيته فقال لما أغناك الله فلا تسئل الناس شيأ فان اليد العليا هى المنطية وان اليد السفلى هى المنطاة وان مال الله مسؤل ومنطى فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا (ثم) ليعرف طرفا من الشعر فانه ديوان العرب وموروث فى الاعقاب والاخلاف باق مدحه وذمه لازم خيره وشره وفيه الشاهد الحاضر والمثل السائر والذم والامتداح والشرح والافصاح وبيان غريب القرآن ومعانى سنن الرسول عليه السلام (عن عائشة رضى الله عنها) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة (ثم) ليتعلم طرفا من الانساب لما فى علمه من اتصال الانسان ومعرفة الاسلاف وفضائل الاشراف وبه تواصل الارحام ويتوارث بنو الاعمام (عن أبى هريرة) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر (ثم) يتلو ما ذكرنا من معرفة علم الانساب علم الطب فانه علم الابدان وجوامع الطب

حفظ الصحة وتدبير الامراض وشفاء الاسقام فقد نطق به القرآن ودلت عليه السنة وافتقر الى أهله جميع الامة (عن أبي سعيد الخدري) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من داء الا أنزل معه دواء علمه من علمه وجهله من جهله (ثم) يتلو الطب الخط والكتابة فانه سفير العقل وبه كمال الفضل ورباط علوم الدين والدنيا وبه تحفظ الآثار وتنفع الابصار (عن أنس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة (ثم) ليتعلم عبارة الرؤيا فانه علم نبوي وبشرى علوي (عن عبادة بن الصامت) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (ثم) ليتعلم الحساب لانه علم لا غنى عنه فيه خير الدنيا والدين ثابت الدلائل واضح البراهين به تحفظ الاموال وتقسم المواريث (عن العرباض بن سارية) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب (ثم) الذى يتلو الحساب الذرع والمساحة وهما من نتائج الحساب (عن أبي سعيد الخدري) ان قتيلا أو ميتا وجد بين قريتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيسوا فانظروا الى أيهما أقرب فكأني أنظر الى شبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقاه الى أقربهما (فاذا) تعلم ما ذكرنا من العلوم فلا بأس أن يتعلم من جليل علم النجوم ومعرفة أعيان الكواكب ما به يعلم عدد السنين والشهور وأوقات الصلاة ومجاري الاهلة وساعات الليل والنهار والبراري والبحار قال الله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال وكل في فلك

يسبحون

يسبحون وقال والسماء ذات البروج وقال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (وعن عبد الله بن أبى أوفى) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله (قالت الحكماء) العلم كثير والعمر قصير فاطلب منه ما دعاك الى خير وحلك على بر (وقالوا) اقصد من أصناف العلم ما هو أشهى الى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك (وقالوا) الماء ألين من القول والحجر أشد من القلب والماء اذا كثر انحداره عليه لم يلبث أن يؤثر فيه

﴿فصل﴾

وما ذكرنا قبل فهى من أصناف العلوم التى هى من حيز الدين ونتائج العقول وأما العلوم المكتسبة التى هى من محاسن الافعال وتلبس أصحابها ثوب الجمال وهى أيضا مستحسنة فى الدنيا والدين فكالرمى والسباحة والفروسية والثقافة والعلم فى المحاربة (فأما الرمى) فالتشاغل من التجارات المربحة المنجية (من المنقول) فى تأليفنا تحفة الانفس اعلم ان الترغيب فى الرماية روى عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وكان عليه السلام يعجبه أن يكون الرجل راميا فارسا سابحا (وقال) عليه السلام علموا أبناءكم الرمى فانه نكاية للعدو وقال عليه السلام لقوم من الانصار رآهم يرمون ارموا يا بنى اسمعيل فقد كان أبوكم راميا وقال عليه السلام من رمى بسهم فى سبيل

الله مخطئا أو مصيبا كان له من الاجر كرقبة اعتقها من ولد اسمعيل وقال عليه السلام ان الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعه الخير والرامى له والممدبه (ومن على بن أبى طالب رضى الله عنه) انه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى أحدا غير سعد بن أبى وقاص فانه قال له يوم أحد ارم فداك أبى وأمى وفى ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد ولابى طلحة وقتادة وغيرهم من الرماة اثبتوا فلن يزال النصر معنا ما ثبتم وكان عدد الرماة فى ذلك اليوم خمسة عشر راميا (و) الاحاديث فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى (ولله) در الشاعر اذ يقول

فمن شاء أن يسلك سبل العناية * ويحصل من عزها فى نهاية
ويخلص بكل ثواب جزيل * فلا يبعد طريق الرماية
فان بها فى الديار فخرا * ونصر الدين نبى الهداية

وقد فضل الله تعالى القوس على جميع الاسلحة (عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما مد الناس أيديهم الى شئ من السلاح الا والقوس عليه فضيلة (وقال) عليه السلام من اتخذ فى بيته قوسا نفى الله عنه الفقر ما دامت فى بيته وكان صلى الله عليه وسلم يخطب عند الحرب وهو متكئ على قوسه وقال عليه السلام منتهى المؤمن القوس والنبل والقسى جنسان قوس اليد وهى العربية وتنقسم على أنواع وقوس الرجل وهى الافرنجية وتنقسم كذلك على أربعة أنواع فالقوس العربية أنسب للفارس لانها أسرع وأقل مؤنة والقوس الافرنجية أنسب للرجال لانها أبلغ وأكثر معونة ولا سيما فى الحصار والمراكب الحربية وشبه ذلك

وهى

وهي خاصة بأهل الاندلس بها يصيدون وعنها يرمون وفيها يتنافسون وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا (وأما السباحة) فهي من الخصال المحمودة (نقل) الامام ابو نعيم بسنده الى أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالدان يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لهو المؤمن الرمي والعيامة ومن تركها كانت نعمة جحدها (وقال) عليه السلام كل شئ من لهو الدنيا باطل الاملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه وتعلمه السباحة (قال) بعض الحكماء من تمام ما يجب للابناء على الآباء تعليمهم الكتابة والحساب والسباحة (وقال) الحجاج بن يوسف لمعلم ولده علم ولدى السباحة قبل تعليم الكتابة فانهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم (وأما الفروسية) فهي من أفضل الاعمال وأشرفها (ومن) المنقول في تأليفنا تحفة الانفس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير معاش الناس لهم رجل يمسك عنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أوفزعة طار على متنه يبتغي الموت مظانه (قال) عليه السلام طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع وقال عليه السلام ارموا واركبوا وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم الخيل وعنده عيينة ابن حصن الفزاري فقال عليه السلام لعيينة أنا أفرس بالخيل منك وقال عليه السلام لوأن هذه الامة أنتهت عندما أموت لا كلوا غير زارعين لان الله تعالى جعل أرزاقها في سنابك خيلها وأسنة رماحها وقال عليه

السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري (وكتب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية واخشوشنوا وانزوا على الخيل نزوا (ويروى) عنه انه قال لن تزالوا أصحاء ما نزعتم ونزوتم يعني نزعتم بالقسي ونزوتم على ظهور الخيل (وقال) أسلم مولاه رأيت عمر رضي الله عنه يمسك باذن نفسه ثم يمسك باذن فرسه فينزو عليه وكان يقال قديما العز في صدور الصفوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف والفروسية أفضل مدارجها وأكرم معارجها وارتباط الجياد أعز اعتدادا وأقوى للاستعدادا فبها تشن الغارات وتدرك الثارات فيجب على الفارس أن يشمر عن ساق الجد والعزم ويكشف عن ساق الحذر والحزم فيأخذ نفسه في كل حين بالاستعداد والتأهب للجهاد وينظر قول من عرف الحرب وباشر فيها الطعن والضرب فقال

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

قال بعض السلف غزا المسلمون أرض الروم ففر فارس منهم الى جانب صومعة راهب فقال الراهب ياصاحب الفرس أمن المتطوعة أنت أم من أهل الديوان فقال بل من المتطوعة قال له ومالك والديوان فانا نجدهم في بعض كتبنا انهم عدة الله في الارض (عن ابن عباس رضي الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل ويتقوون على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها (قال ابن محيريز) أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يروعون (وقال مكحول) روعات البعوث تنفي روعات يوم القيامة

(قال

(قال الطرطوشى) اعلم ان الجند هم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحوزة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الارض والعدة للحوادث وامداد المسلمين والجهد الذى يلقى العدو والشوكة عليه والسهم الذى يرمى به والسلاح المدفوع فى نحورهم بهم يذب عن الحريم و يؤمن السبيل وتسد الثغور قال أبو ذر الخشنى

بقاء الدين والدنيا جميعا * بكل مقاتل ثبت الجنان
اذا شهد الحروب رأيت أسدا * تهش كرامة نحو الطعان
هم بيض وفى الايمان بيض * فما تدرى من السيف اليمانى

(وأما الثقافة) والعلم فى المحاربة فمن الواجب المؤكد تعلمها (من المنقول) فى تأليفنا تحفة الانفس اعلم ان الحرب معالمها الصبر وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد وثقافها الاناءة وزمامها الحذر ولكل شئ من هذه ثمرة فثمرة الصبر التأييد وثمرة المكر الظفر وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الاناءة اليمن وثمرة الحذر السلامة (وقالوا) جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر فاذا قاتلت فلا تبذل مهجتك وقوتك من أول وهلة لئلا يأتى معظمها فتعجز وتنكل ولا تنشب فى حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه التخلص منها فمن استضعف عدوه فقد اغتر ومن اغتر بقوته فقد وهن والحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى (وقد) قالوا التمكن أشد ما تكون من عدوك حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا

فليس من القوة التورط في الهوة (قال هدبة العذري)

ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

وقد جمع الله سبحانه تدبير الحروب كلها في آيتين من كتابه العزيز فقال يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقوله عز وجل ما استطعتم مشتمل على ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمى وقد تقدم ذلك عن اسامة بن زيد الليثي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ويقول الحرب خدعة (وكان) المهلب يقول لبنيه عليكم في الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة وفسر بعضهم النجدة فقال النجدة هي الجرأة على الاقدام عند ازورار الاقدام (وعن الحسن بن السائب) قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح فأخذ القوس وأخذ النبل فقال أي رسول الله اذا كان القوم قريبا من المائتي ذراع أو نحو ذلك كان الرمي بالقسي واذا دنا القوم حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تقصف فاذا تقصفت وضعناها وأخذ السيف فتقلده واستله فقال وكانت المجالدة بالسيوف قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل قتال عاصم (قال عتبة) ابن عبد السلمي أعطاني رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم سيفا قصيرا فقال ان لم تستطع أن تضرب به ضربا فاطعن به طعنا (قال) بعضهم ومن شرط السيف الا يسل الا عند الضرب به وان سل قبل ذلك أورث الجبن وليس فى السلاح ما يجب أن يحذر عند العمل به كالسيف فقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا دربة أصاب اذن فرسه أو عضده وربما أصاب اذن نفسه أو رجله فقطعها أو أثر فيها فينبغى للفارس أن يقرن فى الضرب به حتى يخف عليه العمل به (وأما الرمح) فينبغى للفارس أن يخففه ما قدر فانه على الخفيف أقوى وله أضبط وبه أحكم وليكن بين الدقيق والغليظ قدر ما لا يعجز عنه الكف ولا تلتقى عليه الانامل فالتوسط هو المحمود بحسب قدر اليد والتمكن من ذلك (قلت) واحكام العمل بالسلاح لا يتساوى الناس فيه بل التفاوت بينهم فى ذلك شديد والتباين فيه بعيد فيجب على العاقل أن يشاهد من أهلها الاعمال ويحاضر بها الرجال ويأخذ بحظ من التمرن فيه مع من يراه أهلا لذلك ممن يصطفيه حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقافة فى السلاح بالحرب ووجوه العمل فى الكر والفر والامتناع والدخول على المبارزين والخروج عنهم فى المطاعنة والمصاع وملاحظة مواقع السهام وأوقات الاقدام والاحجام واستراق الارض فى المبارزة واستدبار الشمس عند اللقاء والمناجزة والمراوغة والعطف فى القتال وتوقى ذلك ولواحقه عند النزال وترصد غرة العدو فى حال الحركة والهدو من الختل فى تعطيل الرمح عليه أو ملكه على ربه أو ورده اليه أو خلع عذار الفرس أو قطع عنانه ليشتغل الفارس بأمر فرسه وشأنه فيتمكن منه فى الحين وتظهر الفرصة فيه وتستبين ومن لم يتمرن فى

ذلك فلا تعرض نفسه بأن تسلك به هذه المسالك ففى معرفة ذلك كله وامعان النظر فيه يتفاضل الفرسان مع الاستنبات وجرءة الجنان وشدة الحذر عند منازعة الاقران ومنازلة الميدان والله جل وعلا فى كل حال هو المستعان (قال أبو الطيب المتنبى)

ان السلاح جميع الناس يحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

(فهذا) ما كتبه قلم الاستعجال على ضيق المجال اذ الخاطر منقسم بين مراوضة طبع ومحافظة على أصل وفرع ونظر فى أمردين ومسالمة قرين ومداراة حاسد ومدافعة معاند وتأديب ولد وملاحظة عادة بلد وسياسة أهل فى استصحاب حلم وعدل وتدبير معاش واعداد رياش واصلاح حال وفكرة فى مآل ومعاناة دهر فى صروف عام وشهر وفى هذا كله عذران وقع تقصير ولا ينفرد بالكمال الا العليم الخبير سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا (محمد) وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

يقول مصححه الفقير الى مولاه مصطفى محمد قشيشة

بحمد الله وحوله تم طبع هذا الكتاب النفيس على أحسن طراز وأجمل منوال مصحما بغاية الضبط والاتقان بالمطبعة الاعلامية لا زالت بعين العناية محمية وكان الفراغ من طبعه يوم الثلاثا الموافق للتاسع من ربيع الاول عام ثلاث وثلثمائة والف من هجرة سيد الاولين والآخرين

﴿ فهرسة عين الآداب والسياسة ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	١	قضب	قصب
٨	١٩	باده	عباده
٩	٩	الخيروويل	الخيرفلاقاالشر وويل
١٠	٢	أحنى	حى
١٥	٣	انماامام أدلك	انما أهلك
١٦	٦	بالرضى	فالرضى
١٦	٦	الفلك	لفلك
١٧	١٨	محزع	مجدع
٢١	٢١	ممن	على من
٣٨	٤	الغدر	القدر
٤١	٧	وجدت مافاتك	وجدت مافاتك
٤٣	٥	قصته	فصنه
٥٥	٢٠	بمخ	يمنع
٦٨	٩	والثبات	والشباب
٧٦	١٧	راكبا	واكيا
١١٣	١٦	حداد	حدا
١٢٣	٦	التغابن	التغابى
١٨٧	٥	وأحكمتكم	وأحكمتم
٢٠١	١١	اقت	أتقنت
٢٤٨	٢٠	يدعن	يدعى
٢٥٣	١٥	يعتابه	يعاتبه